فَتْحُ الرَّحْمٰن فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ

تأليف

الإِمَامِ القَاضِي مُجِيرِ الدِّينِ بْنِ مُحَمَّدٍ العُلَيْمِيِّ المَقْدِسِيِّ الحَنْبَلِيِّ

المولود سنة (٨٦٠ هـ) - والمتوفى سنة (٩٢٧ هـ)

رَحِمَهُ الله تعالى

المُجَلَّدُ السَّادِسُ

اِعتَنَى بِهِ

تَحقِيقًا وَضَبطًا وَتَخرِيجًا

نُورُ الدِّينِ طَالِب

إصدارات

وَزَارَةُ الأَوْقَافِ وَالشُّؤُونِ الإِسْلَامِيَّةِ

إِدَارَةُ الشُّؤُونِ الإِسْلَامِيَّةِ

دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

فتح الرحمٰن

الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

قامت بعمليات التنضيد الضوئي والإخراج الفني والطباعة
دار النوادر لصاحبها ومديرها العام نور الدين طالب
سوريا - دمشق - ص . ب : ٣٤٣٠٦
لبنان - بيروت - ص . ب : ١٤/٥١٨٠
هاتف : ٠٠٩٦٣ ١١ ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس : ٠٠٩٦٣ ١١ ٢٢٢٧٠١١
www.daralnawader.com

سُورَةُ صٓ

مكية بإجماع من المفسرين، وآيها: ثمان وثمانون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وتسعة وستون حرفاً، وكلمها: سبع مئة واثنتان وثلاثون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾.

[١] ﴿صٓ﴾ أبو جعفر على أصله في السكت، فيقف على ص، والقراء العشرة متفقون على أن قراءة (صَادْ) بسكون الدال[1]؛ لأنها لا تستحق حركة بناء؛ لأن سكونها عارض؛ لأنها لفظ محكي[2] كألفاظ الأعداد، ولا إعراب؛ لعدم مقتضيها، والجمهور على أنه حرف المعجم المعروف، ويدخله ما يدخل سائر السور من الأقوال.

واختلف في معناه على وجوه، منها: أنه مفتاح أسماء الله تعالى التي أولها صمد، وصادق الوعد، ومنها: أن معناه صدق الله، ومنها: أنه إشارة

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٤١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٥٣).

(٢) «لأنها لفظ محكي» زيادة من «ت».

إلى صدور الكفار عن القرآن، وعن ابن عباس: معناه: «صدق محمد»[(١)]، وقيل غير ذلك.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ أي: ذكر البيان، وهو قسم جوابه محذوف، تقديره: إنه لكلام معجز. قرأ ابن كثير: (وَالْقُرَانِ) بالنقل، والباقون: بالهمز[(٢)].

* * *

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾.

[٢] ثم قال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة.

﴿فِى عِزَّةٍ﴾ تكبر عن الإيمان ﴿وَشِقَاقٍ﴾ عداوة للنبي ﷺ.

* * *

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾.

[٣] ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ من الماضين ﴿فَنَادَواْ﴾ استغاثة عند حلول النقمة، ﴿وَّلَاتَ﴾ بمعنى ليس، واسمها تقديره: ولاتَ الحينُ.

﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ والمناص: المفر، ناص ينوص: إذا فات، المعنى: ليس وقت فرار. ووقف الكسائي: (وَلاَهْ) بالهاء[(٣)].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٨٥)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٤٩١).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٥٤).

(٣) انظر: «الكشف» لمكي (٢/ ٢٣٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٥٤).

﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾ .

[٤] ولما قال النبي ﷺ للكفار: إن إلهكم إله واحد، نفروا ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ ﴾ هو محمد ﷺ .

﴿ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ فيما يقوله على الله .

* * *

﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ .

[٥] ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ ﴾ كيف يسعُ الخلقَ كلَّهم إلهٌ واحد .

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ بليغ في العجب .

* * *

﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ ﴾ .

[٦] ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ ﴾ وهم أشراف قريش بعد اجتماعهم في مجلس أبي طالب، وشكواهم إليه: أن رسول الله ﷺ يسب آلهتهم، فبكَّتهم النبي ﷺ، وأمرهم بالتوحيد، فنفروا من ذلك، وانطلقوا من ذلك[١] الجمع قائلين بعضهم لبعض:

﴿ أَنِ ٱمْشُواْ ﴾ سيروا على طريقتكم ﴿ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ﴾ عبادة ﴿ ءَالِهَتِكُمْ ﴾ ولا تلتفتوا إلى قول محمد .

﴿ إِنَّ هَٰذَآ ﴾ الذي نراه من زيادة أصحاب محمد ﷺ .

---

(١) «وانطلقوا من ذلك» زيادة من «ت» .

﴿لَشَىۡءٌ يُرَادُ﴾ أي: لأمر يريده الله، وقيل: يريدون: ظهورَ محمد ﷺ وعلوه بالنبوة؛ أي: يراد الانقياد منا إليه، وذلك أن عمر ـ رضي الله عنه ـ لما أسلم، وحصل للمسلمين قوة بمكانه، قالوا ذلك.

* * *

﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِى ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧﴾.

[٧] ﴿مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا﴾ التوحيد ﴿فِى ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: دين قريش.

﴿إِنۡ هَٰذَآ﴾ القولُ بالتوحيد والبعث ﴿إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾ كذب، اختلقه محمد من تلقاء نفسه.

* * *

﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِى شَكٍّ مِّن ذِكۡرِىۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨﴾.

[٨] ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾ أَخُصَّ بالقرآن من دوننا؟ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب: (أَانْزِلَ) بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية، وفصل بينهما بألف: أبو جعفر، واختلف عن أبي عمرو وقالون، وقرأ الباقون، وهم الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: بتحقيق الهمزتين، واختلف عن هشام راوي ابن عامر في الفصل مع تحقيق الهمزتين[١].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٥٦).

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ من القرآن، فلم يؤمنوا ﴿بَل لَّمَّا﴾ **أي: بل**[1] **لم.**

﴿يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ **فلذلك شكوا، فإذا عذبوا، زال شكهم، وآمنوا، فلا ينفعهم إيمانهم.** قرأ يعقوب: (عَذَابِي) بإثبات الياء[2].

* * *

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ **المعنى: أيملكون مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤوا؟!**

* * *

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ **فإن زعموا ذلك.**

﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ **أي: ليصعدوا في الطرق التي توصلهم إلى السماء، وليأتوا منها بالوحي لمن يختارون.**

* * *

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ **(ما) زائدة بمعنى النفي، و(هُنَالِكَ) إشارة إلى حيث وضعوا أنفسهم من الكفر ومعاداة**

---

(١) «أي: بل» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٥٦).

رسول الله ﷺ، المعنى: ما هم إلا جند من الكفار المتحزبين على رسول الله ﷺ مكسورٌ عن قريب، فمن أين لهم التدابير الإلهية؟! فلا يضيق صدرك، فإني ناصرك.

* * *

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ۝١٢ ﴾.

[١٢] ثم ذكر المتحزبين قبلهم فقال: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ أي: البناء المحكم، وكان أيضاً يعذب الناس بالأوتاد.

* * *

﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ۝١٣ ﴾.

[١٣] ﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ﴾ وهم قوم شعيب، وتقدم تفسير (الأيكة)، واختلاف القراء فيها في سورة الشعراء.

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ المذكورون ﴿ ٱلْأَحْزَابُ﴾ الذين تحزبوا على الأنبياء.

* * *

﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤ ﴾.

[١٤] ﴿ إِن كُلٌّ﴾ أي: ما كل واحد من الأحزاب ﴿ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ لأنهم إذا كذبوا واحدهم، فقد كذبوا جميعَهم؛ لأن دعوتهم واحدة.

﴿ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ وجب عليهم عذاب. قرأ يعقوب: (عِقَابي) بإثبات الياء[١].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٥٧).

﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥ ﴾ .

[١٥] ﴿ وَمَا يَنظُرُ ﴾ أي: ينتظر ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي: كفار مكة ﴿ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ تحل بهم العذاب سريعاً، وهي النفخة الأولى. واختلاف القراء في الهمزتين من (هَؤُلَاءِ إِلَّا) كاختلافهم فيهما من (عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ) في سورة النور [الآية: ٣٣] ﴿ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴾ أي: ليس بعدها إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (فُوَاقٍ) بضم الفاء، والباقون: بفتحها[١]، وهما لغتان، فالفتح لغة قريش، والضم لغة تميم.

* * *

﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦ ﴾ .

[١٦] ولما نزل في الحاقة: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ ﴾ [الآية: ٢٥]، استهزأ المشركون ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا ﴾ كتابنا[٢] في الدنيا.

﴿ قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾ والقِطُّ: الصحيفة التي أحصت كل شيء.

* * *

﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧ ﴾ .

[١٧] قال الله تعالى: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ يا محمد فيك مما يؤذيك، فإني ناصرك، ولما أمر بالصبر، أُمر بذكر داود ـ عليه السلام ـ، وما جرى

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٨٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٥٧ـ٢٥٨).

(٢) «كتابنا» زيادة من «ت».

له؛ ليعلم الكفار أن داود وإن كان عظيماً عند الله تعالى، لما صدرت عنه المعصية(١)، لم يزل مستغفراً إلى أن فارق الدنيا، فلعلهم يؤمنون؛ لأن كفرهم أعظم من ذنب داود، فقال تعالى:

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ ذا القوة في الدين والعبادة.

قال ﷺ: «إنَّ أَحَبَّ الصيام إلى الله صيامُ داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاةُ داود، وكان يصوم يوماً، ويفطر يوماً، وكان ينام نصف الليل الأول، ويقوم ثلثَه، وينام سدسَه»(٢) مع سياسته الملك، وكان قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوماً: يقضي فيه بين الناس، ويوماً يخلو في عبادة ربه، ويوماً لنسائه وأشغاله ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ رَجَّاع إلى الله.

* * *

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾ بتسبيحه ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾ وقت العشاء.

﴿وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ حين تشرق الشمس.

---

(١) انظر ما سيأتي من التعليق (ص ١٧ـ ١٨) لتعلم أن الأخبار الواردة في شأن سيدنا داود ـ عليه السلام ـ غير ثابتة، وليس لها من الصحة أدنى نصيب، ومعلوم أن من أسباب وضعها واختلاقها أن يبرِّر واضعوها ـ وهم بعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى ـ لأنفسهم المعاصي والآثام، وأما الذي نصَّ عليه القرآن في قصته: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾.

(٢) رواه البخاري (٣٢٣٨)، كتاب: الأنبياء، باب: أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، ومسلم (١١٥٩)، كتاب: الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر، من حديث عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ [١٩] .

[١٩] ﴿ وَٱلطَّيۡرَ ﴾ عطف على الجبال .

﴿ مَحۡشُورَةٗۖ ﴾ حال ؛ أي : مجموعةً إليه .

﴿ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ مطيع رجّاع بصوته ، فكان إذا سبح ، سبحت الجبال ، وجمعت له الطير ، فسبحت معه .

* * *

﴿ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴾ [٢٠] .

[٢٠] ﴿ وَشَدَدۡنَا ﴾ قوّينا ﴿ مُلۡكَهُۥ ﴾ بالعدل والتأييد .

﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ النبوة ﴿ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴾ علم القضاء ، والخطاب : قول يفهم منه من سمعه شيئاً مفيداً .

* * *

﴿ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴾ [٢١] .

[٢١] روي أن داود لما صار له ثمان وخمسون سنة ، وهي السنة الثانية والعشرون من ملكه ، كانت قصته مع أوريا وزوجته ، وملخصها : أنه رأى في الكتب ما أُعطي إبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ ، فقال : يا رب ! أرى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي ، فأوحى الله إليه أنهم ابتلوا فصبروا ، فقال : يا رب ! لو ابتليتني ، لصبرت ، فأوحي إليه أنك تبتلى في شهر كذا في يوم كذا ، فاحترس ، فلما جاء الموعد ، دخل محرابه ، وأغلق عليه بابه ، فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن ، فوقعت بين رجليه ، فأراد أخذها

ليري بني إسرائيل قدرة الله تعالى، فذهبت إلى كوة هناك، فأراد أخذها، فذهبت، فنظر في الكوة، فإذا بامرأة من أجمل النساء تغتسل، فعجب داود من حسنها، فالتفتت فأبصرت ظله، فنقضت شعرها، فغطى جميع بدنها، فزاد عجباً، فسأل عنها، فقيل: هي تيشارع امرأة أوريا بن حنانا، وزوجها في غَزاة في البلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود، فكتب داود إلى ابن أخته أيوب أن ابعث أوريا إلى موضع كذا، وقدمه قبل التابوت[(١)]، وكان من قدم على التابوت، لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه، أو يستشهد، فبعثه وقدمه، ففتح عليه [ثم أرسل إليه أن قدمه إلى جيش كذا، أعظم من الأول، فقدمه، ففتح عليه][(٢)]، فأمره أن يقدمه ثالثة إلى جيش أعظم من الأولين، ففعل، فقتل، وانقضت عدتها، فتزوجها داود، وهي أم سليمان ـ عليه السلام ـ، فلما دخل بها، لم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله إليه ملكين في صورة رجلين في يوم عبادته، وهما جبريل وميكائيل، فطلبا أن يدخلا عليه، فمنعهما الحرس، فتسورا المحراب عليه، فما شعر وهو يصلي إلا بهما بين يديه جالسين، فذلك قوله تعالى: ﴿ ۞وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ ﴾ مفرد يعم الذكر والأنثى، والقليل والكثير، والمراد: الملكان ﴿ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ﴾ تصعدوا سور ﴿ ٱلْمِحْرَابَ ﴾ صدر المسجد. قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف عنه: (الْمِحْرَابَ) بالإمالة[(٣)]، والاستفهامُ هنا بمعنى الإخبار، المعنى: قد وصل إليك خبرهما.

---

(١) «التابوت» ساقطة من «ت».

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٥٩).

﴿ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ٢٢ ﴾.

[٢٢] ﴿ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ ﴾ بغتة من غير الباب.

﴿ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ ﴾ حين هجما عليه بغير إذنه، فقال: ما أدخلكما علي؟

﴿ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ ﴾ نحن.

﴿ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾ جئناك لتقضي بيننا، فرضا ذلك فرضاً.

﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ ﴾ لا تَجُرْ في حكمك.

﴿ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ أرشدنا إلى طريق الصواب.

* * *

﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣ ﴾.

[٢٣] فقال داود: تكلما، فقال أحدهما: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي ﴾ أي: في الدين.

﴿ لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ ﴾ تمييز، يعني: امرأة ﴿ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴾ والعرب تكني بالنعجة عن المرأة. قرأ حفص عن عاصم (وَلِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١].

﴿ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا ﴾ ضُمَّها إلي[٢]؛ أي: طلقها لأتزوجها

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦١).

(٢) «ضمها إلي» زيادة من «ت».

﴿ وَعَزَّنِي ﴾ غلبني ﴿ فِي ٱلْخِطَابِ ﴾ أي: في القول، المعنى: له الغلبة علي بكل حال، وإن كان الحق لي؛ لضعفي، وهذا كله تمثيل لأمر داود مع أوريا زوج المرأة التي تزوجها داود؛ حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة، ولأوريا امرأة واحدة، فضمَّها إلى نسائه.

* * *

﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] فبعد اعتراف المدعى عليه ﴿ قَالَ ﴾ داود: ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ ﴾ قرأ أبو عمرو، وورش، وحمزة، والكسائي، وخلف: (لَقَد ظَّلَمَكَ) بإدغام الدال في الظاء، واختلف عن هشام في هذا الحرف، وقرأ الباقون: بالإظهار[(١)].

﴿ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ ﴾ أي: بسؤاله إياها ليضيفها.

﴿ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ ﴾ الشركاء.

﴿ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ يظلم بعضهم بعضاً[(٢)].

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ استثناء من (بَعْضُهُمْ)؛ أي: لا يظلمون أحداً.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٢).

(٢) «يظلم بعضهم بعضاً» زيادة من «ت».

﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ يعني: الصالحين الذين لا يظلمون قليلٌ، و(ما) زائدة، فلما قضى بينهما داود، تحولا في صورتيهما، وصعدا إلى السماء وهو ينظر، ويقولان: قضى الرجل على نفسه.

﴿وَظَنَّ﴾ أي: أيقن.

﴿دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ أنا ابتليناه بالذنب، ونبهناه على خطئه بتلك الحكومة.

﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ لذنبه ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ [حال؛ أي: ساجداً، على تسمية السجود ركوعاً، لأنه مبدؤه؛ لأنه لا يكون ساجداً حتى يركع](١).

﴿وَأَنَابَ﴾ رجع عن جميع المخالفات، ثم مكث أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه إلا لحاجة ضرورية، أو لصلاة مكتوبة، لا يأكل ولا يشرب، وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه، وهو يجهد نفسه بالبكاء الدائم، والتضرع والاستغفار حتى كاد يهلك(٢)، وهذه السجدة من عزائم السجود

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ١٨٥-١٨٦)، وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٩٦-٦٩٨)، وحيثما وقعت هذه القصص وأمثالها، فعقيدة أهل السنة والجماعة تنزيه الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ عمَّا يخلُّ بعصمتهم.
قال العلامة الآلوسي في «روح المعاني» (٢٣/ ١٨٥): وللقصاص كلام مشهور، لا يكاد يصح لما فيه من مزيد الإخلال بمنصبه ـ عليه السلام ـ، وقال أبو حيان: «الذي نذهب إليه ما دلَّ عليه ظاهر الآية من أن المتسورين المحراب، كانوا من الإنس، دخلوا عليه من غير المدخل وفي غير وقت جلوسه للحكم، وأنه فزع منهم؛ ظاناً أنهم يغتالونه إذ كان منفرداً، فلما اتضح له أنهم جاؤوا في حكومة... فاستغفر من ذلك الظن وخرَّ ساجداً ورجع إلى الله، وأنه =

عند أبي حنيفة ومالك، وكل منهما على أصله، فأبو حنيفة يقول: هي واجبة، ومالك يقول: هي فضيلة؛ كما تقدم ذكره عند سجدة مريم، وعند الشافعي وأحمد: هي سجدة شكر تستحب في غير الصلاة، فلو سجد بها في الصلاة، بطلت عندهما.

* * *

﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] فلما مكث داود أربعين يوماً لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه، نودي: يا داود! أجائع فتطعم، أو ظمآن فتسقى، أو عار فتكسى؟ فأجيب في غير ما طلب، فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر جوفه، ثم أنزل الله التوبة والمغفرة، وأتاه نداء: إني قد غفرت لك، قال: يا رب! كيف وأنت[1] لا تظلم أحداً؟ قال: اذهب إلى قبر أوريا، فناده، وأنا أُسمعه نداءك، فتحللْ منه، فانطلق وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره، ثم نادى أوريا، فقال: لبيك، من هذا الذي قطع علي لذتي وأيقظني؟ قال: أنا داود، قال: ما حاجتك يا نبي الله؟ قال: أسألك أن تجعلني في حل مما كان مني إليك، قال: وما كان منك إلي؟ قال: عَرَّضتك للقتل، قال: عرضتني للجنة، فأنت في حل، فأوحى الله إليه: يا داود! ألم تعلم أني حكم عدل، لا أقضي بالتعنت؟ ألا أعلمته أنك قد

= سبحانه غفر له ذلك الظن، فإنه ـ عز وجل ـ قال: ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ﴾ ولم يتقدم سوى قوله تعالى: ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ ﴾، انظر: «البحر المحيط» (٧/ ٣٧٧). وانظر: ما سيذكره المصنف قريباً بعد ذكره لهذه القصص المكذوبة.

(١) «وأنت» ساقطة من «ت».

تزوجت امرأته؟ فرجع إليه فناداه، فأجابه، فقال: من هذا الذي قطع علي لذتي؟ قال: أنا داود، قال: يا نبي الله! أليس قد عفوت عنك؟ قال: نعم، ولكن إنما فعلت ذلك لمكان امرأتك، وتزوجتها، فسكت فلم يجبه، ودعاه فلم يجبه، فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه، ثم نادى: الويل لداود إذا نصبت الموازين بالقسط، سبحان خالق النور، الويل لداود، ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار، سبحان خالق النور، فأتاه نداء من السماء: يا داود! قد غفرت لك ذنبك، ورحمت بكاءك، واستجبت دعاءك، وأقلت عثرتك، قال: يا رب! كيف وصاحبي لم يعف عني؟ قال: يا داود! أُعطيه يوم القيامة من الثواب ما لم تر عيناه، وما لم تسمع أذناه، فأقول له: رضي عبدي؟ فيقول: يا رب! أنى لهذا ولم يبلغه عملي؟ فأقول: هذا عوض من عبدي داود، فأستوهبك منه، فيهبك لي، قال: يا رب! الآن عرفت أنك قد غفرت لي، فذلك قوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ الذنب.

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا﴾ بعد المغفرة يوم القيامة ﴿لَزُلْفَىٰ﴾ لقربى ومكانة.

﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ حسن مرجع ومنقلب يوم القيامة.

ولما تاب الله على داود، قال: يا رب! قد غفرت لي، فكيف لي ألاَّ أنسى خطيئتي، فأستغفر منها لي وللخاطئين إلى يوم القيامة؟ فوسم الله خطيئته في يده اليمنى، فما رفع طعاماً ولا شراباً إلا بكى إذا رآها، وما قام خطيباً في الناس إلا بسط راحته، فاستقبلَ الناسَ ليروا وسم خطيئته، واستغفر للخطائين قبل نفسه، وكان إذا ذكر عقاب الله، تخلعت أوصاله، وإذا ذكر رحمة الله، تراجعت.

وقد أنكر القاضي عياض ـ رحمه الله ـ ما نقله المؤرخون والمفسرون في هذه القصة، ووهَّى قولهم فيها، ونقل عن ابن عباس وابن مسعود أنهما قالا: «ما زاد داود على أن قال للرجل: انزل لي عن امرأتك، وأكفلنيها»، فعاتبه الله على ذلك[1]، ونبهه عليه، وأنكر عليه شغله بالدنيا، قال: وهذا الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره، وحكى قولاً أنه خطبها على خطبته، وقيل: بل أحب بقلبه أن يستشهد، ونقل عن الداودي أنه ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم، انتهى[2].

***

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ يَٰدَاوُۥدُ ﴾ في الكلام حذف يدل عليه ظاهر الكلام، تقديره: وقلنا له: يا داود ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ تدبر أمر العباد بأمرنا، والخليفة: من استُخلف مكان من كان قبله، مأخوذ من أنه خلف لغيره،

---

(١) «ذلك» ساقطة من «ت».

(٢) قال الشيخ محمد أبو شهبة بعد ذكره لهذه الأقوال من أنه ـ عليه السلام ـ «خطبها أو أحب بقلبه أن يستشهد...»: وهذه الأقوال ونحوها لست منها على ثلج ولا اطمئنان؛ فإنها وإن كانت لا تخل بالعصمة، لكنها تخدشها، ثم هي لا تليق بالصفوة المختارة من الخلق وهم الأنبياء...، وقال الشيخ الساعاتي: بل لا يصح وقوعها من المتسمين بالصلاح فضلاً عن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ: انظر: «الإسرائيليات» (ص:٢٦٩ـ٢٧٠)، و«الأحاديث الصحيحة في أخبار الأنبياء» لإبراهيم العلي (ص:١٨٠).

يقوم مقامه في الأمر الذي أُسند إليه فيه؛ كما قيل: أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ، فأما الإمام، فمأخوذ من التقدم على غيره في سائر الأمور الشرعية، وعلى الرعية كلها أن يطيعوه في أمره، ويتدبروا بتدبيره، فهو المقدم عليهم إذا انعقد له ذلك بالحجة التي يجب على الجماعة التسليم لها، والانقياد لمن دعا إليها.

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ بالعدل، والحكم لغةً: الفصل، وشرعاً: أمر ونهي يتضمن إلزاماً ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ هوى النفس ﴿فَيُضِلَّكَ﴾ نصب جواب، أو جزم جواب النهي، وفتحت اللام للساكنين ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن الدلائل الدالة على الوحدانية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ أي: بتركهم الإيمان به، والإعداد له.

* * *

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ خلقاً.

﴿بَٰطِلٗاۚ﴾ إلا لغرض صحيح.

﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ يعني أهل مكة، ظنوا أنهما خلقا لغير شيء، وأنه لا بعث ولا حساب.

﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

* * *

﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ولما قال الكفار(١) للمؤمنين: إنا نعطى في الآخرة مثلَ أجركم، نزل:

﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ أي: لا نجعل الصالحين كالطالحين، ولا المتقين كالكافرين.

* * *

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذا كتاب.

﴿ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ لينظروا في معانيها فيؤمنون. قرأ أبو جعفر: (لِتَدَبَّرُوا) بالخطاب بتاء واحدة مع تخفيف الدال، وقرأ الباقون: بالغيب وتشديد الدال؛ أي: ليتدبروا، فأدغمت التاء(٢).

﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ويتعظ ذوو العقول السليمة.

* * *

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ﴾ سليمانُ؛ لأنه المخصوص بالمدح.

---

(١) في «ت»: «ولما قال كفار قريش».
(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٧٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٤).

﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ رَجَّاع عن المخالفات.

* * *

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] ولفظة (أَوَّاب) هي العامل في: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ﴾ وهو ما بعد الزوال، وكان لسليمان ألف فرس، فصلى الظهر، وكان يريد جهاداً، فجلس على سريره، فأمر أن تُعرض عليه ﴿ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ﴾ جمع صافن من الخيل، وهو القائم على ثلاثة قوائم، ويثني الرابعة، والصفون يختص به عِتاقُ الخيل.

﴿ٱلْجِيَادُ﴾ جمع جواد، وهو الخيار، إن استوقفت سكنت، وإن ركضت سبقت.

* * *

﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] فعرضت عليه تسع مئة، فتنبه لصلاة العصر، فإذا الشمس قد غربت، ولم يُعلم بذلك هيبةً له، فندم ﴿فَقَالَ﴾ اعترافاً بذنبه: ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: آثرت حبَّ الخيل، والعرب تعاقب بين الراء واللام، وسميت بذلك؛ لأن الخير معقود بنواصيها. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١]، المعنى اشتغلت بنظري إلى الخيل.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٤).

﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ عن صلاة العصر ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ الشمس.

﴿بِٱلْحِجَابِ﴾ ظلمة الليل.

* * *

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ثم قال: ﴿رُدُّوهَا﴾ أي: الخيل ﴿عَلَيَّ﴾ فردُّوها.

﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ فجعل يقطع سوقها وأعناقها بالسيف، وكان الذبح على ذلك الوجه مباحاً في شريعته، فذبحها وتصدق بلحومها، فأبدله الله خيراً منها الريح.

روي أنه قتلها إلا مئة، فجميع خيل الدنيا من تلك المئة. قرأ قنبل عن ابن كثير: (بِالسُّؤْقِ) بهمز الواو مضموماً، وعنه وجه ثان بالهمز مجزوماً، وقرأ الباقون: بإسكان الواو بغير همز(١).

* * *

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه(٢)، وسببه أنه

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«الكشف» لمكي (٢/ ١٦٠-١٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٤).

(٢) قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٨١): نقل المفسرون في هذه الفتنة وإلقاء الجسد أقوالاً يجب براءة الأنبياء منها، وهي ممَّا لا يحل نقلها؛ وهي من أوضاع اليهود والزنادقة، ولم يبين اللهُ الفتنةَ ما هي، ولا الجسد الذي ألقاه على=

غزا مدينة حصينة في البحر يقال لها: صيدون، فقتل ملكها، وأخذ ابنته جرادة، فاصطفاها لنفسه لحسنها، فعملت تمثال أبيها في بيتها بإذن سليمان لتأنس به، فجعلت هي وجواريها يسجدون له بكرة وعشياً أربعين يوماً، وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك، وبلغ ذلك آصفَ بنَ برخيا، وكان صِدِّيقاً، وكان مقرَّباً عند سليمان، فقال: يا نبي الله! كبرت سني، ورق عظمي، ونفد عمري، ولقد حان مني ذهابه، وقد أحببت أن أقوم مقاماً قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله، وأُثني عليهم بعلمي فيهم، وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم، فقال: افعل، فجمع له سليمان الناس، فقام فيهم خطيباً، فذكر من مضى من أنبياء الله، فأثنى على كل نبي بما فيه(١)، فذكر ما فضله الله به حتى انتهى إلى سليمان، فقال: ما كان أحلمك في صغرك، وأفضلك في صغرك(٢)، وأحكم أمرك في صغرك، وأبعدك من كل ما تكره في صغرك! ثم انصرف، فوجد سليمانُ في نفسه من ذلك حتى ملأه غيظاً، فلما دخل سليمان داره، أرسل إليه، فقال: يا آصف! ذكرت من مضى من أنبياء الله، فأثنيت عليهم خيراً في كل زمانهم، وعلى كل حال من أمرهم، فلما ذكرتني، جعلت تثني علي بخير

= كرسي سليمان، وأقرب ما قيل فيه أن المراد بالفتنة كونه لم يستثن بالحديث الذي قال: «لأطوفن الليلة على سبعين امرأة. . فلم تحمل إلا امرأة واحدة وجاءته بشق رجل»، فالفتنة هو هذا، والجسد الملقى هو المولود شقَّ رجل اهـ، ولتمام الفائدة انظر التعليق في نهاية هذه القصة المختلقة.

(١) «بما فيه» زيادة من «ت».

(٢) «وأفضلك في صغرك» ساقطة من «ت».

في صغري، وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري، فما الذي أحدثت في آخر أمري؟ فقال: إن غير الله ليعبد في دارك منذ أربعين صباحاً في هوى امرأة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فهدم التمثال، وعاقب النساء، ثم أتى الخلاء ووضع خاتمه عند امرأته الأمينة، وكان ملكه في خاتمه، وكان لا يمسه إلا وهو طاهر، فأتاها الشيطان صاحب البحر، واسمه صخر، على صورة سليمان، فأعطته الخاتم، فلبسه، وجلس على كرسي سليمان يحكم بين الناس، وعكفت عليه الطير والوحش والإنس والجن، فخرج سليمان فأتى الأمينة، وقد غيرت حاله وهيئته عند كل من رآه، فقال: يا أمينة! خاتمي، قالت: من أنت؟ قال: أنا سليمان بن داود، قالت: كذبت، فقد جاء سليمان فأخذ خاتمه، وهو جالس على سرير ملكه، فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته، فخرج، فكان يقول لمن مر به: أنا سليمان بن دواد، فيهزؤون منه، ويحثون التراب في وجهه، فعمد إلى البحر، فكان ينقل الحيتان[1] لأصحاب البحر إلى السوق، فيعطونه كل يوم سمكتين، فإذا أمسى، باع إحدى سمكتيه بأرغفة، وشوى الأخرى فأكلها، فمكث كذلك أربعين صباحاً عِدَّةَ ما كان عُبد الوثنُ في داره، فأنكر آصف بن برخيا وعظماء بني إسرائيل حكم[2] عدو الله الشيطان في تلك الأربعين، ثم استخبر آصف نساء سليمان، فأخبرنه بأمور قبيحة يعتمدها ذلك الشيطان، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم خرج على بني إسرائيل، وأخبرهم بالحال، فاجتمع القراء والعلماء، وأقبلوا حتى أحدقوا به ونشروا التوراة

---

(١) في «ت»: «الحيات».

(٢) «حكم» ساقطة من «ت».

فقرؤوها، فطار من بين أيديهم، وألقى الخاتم في البحر، فابتلعه حوت، فأخذه بعض الصيادين، وقد عمل له سليمانُ صدرَ يومه ذلك، حتى إذا كان العشي، أعطاه سمكتيه، فباع إحداهما بالأرغفة، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويها، فوجد الخاتم في جوفها، فلبسه، وخر ساجداً شكراً لله تعالى، وعكفت عليه الطير والوحش والجن والإنس، وعاد إلى حسنه وبهائه وملكه كحاله الأول، ثم جلس على كرسيه، وطلب صخراً، فجيء به، فجعله في صخرة، وأطبق عليه أخرى، ثم أوثقها بالحديد والرصاص، وختم عليها بخاتمه، وألقاه في البحر، وكانت فتنته بعد عشرين سنة من ملكه، وملك بعدها عشرين سنة[١].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ١٩٧ـ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧٠٤ـ٧٠٦)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٧).

قال الإمام ابن كثير: إسناده إلى ابن عباس قوي، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس إن صح عنه من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان ـ عليه السلام ـ؛ فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان في السياق منكرات من أشدها ذكر النساء. . . وقد رويت القصة مطولة عن جماعة من السلف. . . وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله أعلم بالصواب. اهـ

يقول الشيخ محمد أبو شهبة ـ رحمه الله ـ ما ملخصُّه: قوة السند لا تنافي كونها مما أخذه ابن عباس وغيره عن كعب الأحبار وأمثاله من مُسلمة أهل الكتاب؛ فثبوتها في نفسها لا ينافي كونها من إسرائيليات بني إسرائيل وخرافاتهم وافتراءاتهم على الأنبياء. . . والحق أن نسج القصة مهلهل، عليه أثر الصنعة والاختلاق، ويصادم العقل السليم والنقل الصحيح في هذا، وإذا جاز للشيطان أن يتمثل برسول الله (سليمان)، فأيّ ثقة بالشرائع تبقى بعد هذا؟ وكيف يسلِّطُ اللهُ الشيطان على نساء نبيه سليمان، وهو أكرم على الله من ذلك؟! وأيُّ ملك ونبوة يتوقف أمرهما على (خاتم) يدومان بدوامه ويزولان بزوالهٰ!!؟ وإذا=

وروى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن عفريتاً من الجن تفلَّت البارحة ليقطع علي صلاتي، فأمكنني الله منه، فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ فرددتهُ خاسئاً»[1].

ولما رد الله على سليمان ملكه وبهاءه، وحامت عليه الطير، وعرف الناس أنه سليمان، قاموا يعتذرون إليه مما صنعوا، فقال: ما أحمدكم على عذركم، ولا ألومكم على ما كان منكم، هذا أمر كان لا بد منه.

وأطاعَ سليمانَ جميعُ ملوك الأرض، وحملوا إليه نفائس أموالهم، واستمر على ذلك حتى توفي، وتقدم ذكر وفاته في سورة سبأ، ومحل قبره في سورة البقرة، ومعنى الآية: اختبرنا سليمان بن داود بزوال ملكه.

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ يعني: العفريت الذي أخذ خاتمه، وجلس على كرسيه، وهو صخر صاحب البحر على أشهر الأقاويل، وسمي جسداً؛ لأنه قد تمثل في جسد سليمان، وليس به.

= كان (خاتم سليمان) ـ عليه السلام ـ بهذه المثابة، فكيف يُغفِلُ اللهُ شأنه في كتابه، فلم يذكره بكلمة! وهل غيَّر اللهُ خِلْقَةَ سليمان في لحظة، حتى أنكرته أعرف الناس به وهي زوجته؟! إذن آثار الكذب والاختلاق بادية على نسج القصة. انظر: «الإسرائيليات» (٢٧٠ـ٢٧٤).

(١) رواه البخاري (٣٢٤١)، كتاب: الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾، ومسلم (٥٤١)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة.

وقد أنكر[1] القاضي عياض ـ رحمه الله ـ هذه القصة، وقال: إن معنى ﴿فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ ابتليناه، وابتلاؤه ما حكي عن النبي ﷺ: «أنه قال: لأطوفنَّ الليلة على مئة امرأة، أو تسع وتسعين امرأة، كلُّهن يأتينَ بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله، فلم يقل، فلم تحملْ منهن إلا امرأةٌ واحدةٌ جاءت بِشِقِّ رَجُل»، قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده! لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله»[2]، قال أصحاب المعاني: والشقُّ: هو الجسد الذي أُلقي على كرسيه حين عرض عليه، وهي عقوبته ومحنته، قال القاضي عياض[3] ـ رحمه الله ـ: وإن سئل: لِمَ لَمْ يقلْ سليمانُ في القصة المذكورة: إن شاء الله؟ فعنه أجوبة، أَسَدُّها ما روي في الحديث الصحيح: أنه نسي أن يقولها، وذلك لينفذ مراد الله، والثاني: أنه لم يسمع صاحبه، وشغل عنه.

﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ رجع إلى ملكه بعد أربعين يوماً.

* * *

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] فلما رجع ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي﴾ لا يكون.

---

(١) جاء على هامش «ت»: «وقد ذكر الزمخشري عن صاحب «المدارك» أنه من الأباطيل كما ذكرنا، وأنها مما لا يصح نقلها كما في «النهر».

(٢) رواه البخاري (٣٢٤٢)، كتاب: الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾، ومسلم (١٦٤٥)، كتاب الأيمان، باب: الاستثناء، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «الشفا» للقاضي عياض(٢/ ١٦٦ـ١٦٧).

﴿لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِيٓ﴾ المراد: أراد أن يفرده في البشر؛ ليكون خاصة له وكرامة، ولم يفعل هذا غيرةً على الدنيا، ولا نفاسةً بها.

قال ابن عطية: وهذا هو الظاهر من قول النبي ﷺ في خبر العفريت الذي عرض له في صلاته، وقيل: أراد: لا ينبغي لأحد من بعدي مدة حياتي؛ أي: لا أُسلبه ويصير إلى أحد كما صار إلى الجني[1]. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (مِن بَعْدِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[2].

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ المعطي ما تشاء لمن تشاء.

* * *

﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ فذللناها لطاعته إجابةً لدعوته. قرأ أبو جعفر: (الرِّيَاحَ) بألف بعد الياء على الجمع، وقرأ الباقون: بغير ألف على التوحيد[3].

﴿تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً﴾ حال من ضمير (تجري)؛ أي: رخوة لينة.

﴿حَيۡثُ أَصَابَ﴾ أي: قصد.

* * *

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٥٠٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٥).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٥).

﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

[٣٧] ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ عطف على ﴿ بَنَّآءٍ ﴾ وتبدل من الشياطين .

﴿ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ فكانوا يبنون له الأبنية العجيبة ، ويغوصون في البحر يستخرجون له اللؤلؤ .

* * *

﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

[٣٨] وتعطف على ﴿ وَغَوَّاصٍ ﴾ : ﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ ﴾ مشدودين ﴿ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ بالقيود ، فكان يأخذ مَرَدَةَ الشياطين ، فيجمع أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع ، ويتركهم كذلك .

* * *

﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

[٣٩] ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا ﴾ الذي لا يقدر عليه غيرنا .

﴿ فَٱمْنُنْ ﴾ فأعطِ منه مَنْ شئت .

﴿ أَوْ أَمْسِكْ ﴾ امنع عن الإعطاء من شئت ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أي : غيرَ محاسَبْ على الإعطاء والمنع ، وكان إذا أعطى أُجر ، وإن منع لم يأثم ، بخلاف غيره .

* * *

﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

[٤٠] ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ ﴾ لقربى في الآخرة ﴿ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ وهو الجنة .

* * *

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ثم أمر ﷺ بذكر ـ أيوب عليه السلام ـ وما ابتلي به؛ ليأتم به[١] الصابرون، فقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى ﴾ أي: بأني[٢] ﴿ مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ ﴾ مشقة ﴿ وَعَذَابٍ ﴾ ألم المرض. قرأ حمزة: (مَسَّنِي الشَّيْطَانُ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها، وقرأ أبو جعفر: (بِنُصُبٍ) بضم النون والصاد، وقرأ يعقوب: بفتحهما[٣]، وقرأ الباقون: بضم النون وإسكان الصاد[٤]، وكلها لغات بمعنى البلاء والشدة، والمراد: ما قاساه في مرضه قال: ﴿ مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ تأدباً مع الله تعالى، وإن كانت الأشياء كلها منه تعالى، ونسب ذلك إلى الشيطان؛ لأنه كان بسببه ووسوسته، وتقدم ذكر القصة في سورة الأنبياء.

* * *

﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] فعوفي، وقيل له: ﴿ ٱرْكُضْ ﴾ اضرب الأرض ﴿ بِرِجْلِكَ ﴾ فركض، فنبعت عين ماء، فقيل: ﴿ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ ﴾ أي: موضع غسل.

﴿ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ أي: ماء تغتسل به، وتشرب منه فتبرأ.

---

(١) «ليأتم به» ساقطة من «ت».

(٢) «أي: بأني» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٦).

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٧٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٦ـ٢٦٧).

روي أنه ركض باليمنى[١]، فخرجت عين حارة، وركض باليسرى، فخرجت عين باردة، فاغتسل من الحارة، وشرب من الباردة، فزال عنه كل ألم كان بظاهره وباطنه[٢].

وروي أن سبب بلاء أيوب أنه دخل مع أهل قريته على مَلِكهم، فكلَّموه في ظلمه، وأغلظوا له، إلا أيوب؛ فإنه رفق به مخافة على زرعه، فعاقبه الله على ذلك ببلائه[٣].

* * *

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ ﴾ روي أن الله سبحانه وهب له أهله وماله في الدنيا، فأحيا الله[٤] مَنْ مات منهم، وما هلك من ماشيته وماله[٥].

﴿ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ بارك في جميع ذلك، وولد له الأولاد حتى تضاعف الحال.

---

(١) في «ت»: «باليمين».

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٩٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٣٨٤)، وظاهر نظم القرآن الكريم عدم تعدد الضرب والنبع، كما ورد في «روح المعاني» للألوسي (٢٣/ ٢٠٧)، و«الإسرائيليات» لأبي شهبة (ص: ٢٨١).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ٦١)، عن الليث بن سعد.

(٤) لفظة الجلالة لم ترد في «ش».

(٥) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٥٠٨).

﴿ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ أي: لرحمتنا عليه.

﴿ وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: وتذكيراً لذوي العقول.

* * *

﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] روي أن أيوب ـ عليه السلام ـ كانت زوجته مدة مرضه تختلف إليه، فيتلقاها الشيطان في صورة طبيب، ومرة في هيئة ناصح، فيقول لها: لو سجد هذا المريض للصنم الفلاني، لبرىء، ولو ذبح عناقاً للصنم الفلاني، لبرىء، ويعرض عليها وجوهاً من الكفر، فكانت هي ربما عرضت ذلك على أيوب، فيقول لها: أَلَقيتِ عدوَّ الله في طريقك؟ فلما أغضبته ونحوه[١]، حلف إن عوفي ليجلدنها مئة جلدة[٢]، فلما عوفي، لطف الله تعالى بها؛ لخدمتها أيوب، فقال:

﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ هو قبضة من الشجر فيها مئة قضيب.

﴿ فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ زوجتك لتبرَّ بيمينك ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ أي: لا تدع الضرب فتحنث، فأخذ مئة عود، وضربها ضربة واحدة، فحلل الله يمينه، وهي رخصة في الحدود.

واختلف الأئمة فيها، فمذهب الشافعي إذا وجب الحد على مريض، وكان جلداً، أُخِّر للمرض، فإن لم يرج برؤه، جُلد بعثكال عليه مئة غضن،

---

(١) «ونحوه» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٥/ ٢١٢).

فإن كان خمسون، ضرب به مرتين، وتمسه الأغصان، أو ينكس بعضها على بعض ليناله بعض الألم، فإن برىء، أجزأه، ومذهب أبي حنيفة: يؤخر فلا يجلد حتى يبرأ؛ كمذهب الشافعي، فإن كان ضعيف الخلقة يخاف عليه الهلاك لو ضرب ضرباً[١] شديداً، يضرب مقدار ما يتحمله من الضرب، ومذهب مالك: لا يضرب إلا بالسوط، ويفرق الضرب، وعدد[٢] الضربات مستحق لا يجوز تركه، فإن كان مريضاً، أخر إلى أن يبرأ؛ كمذهب الشافعي وأبي حنيفة، ومذهب أحمد: يقام الحد في الحال، ولا يؤخر للمرض، ولو رجي زواله، ويضرب بسوط يؤمن معه التلف؛ كالقضيب الصغير، فإن خشي عليه من السوط، أقيم بأطراف الثياب، وعثكول النخل، فإن خيف عليه من ذلك، جمع ضغث فيه مئة شمراخ، فضرب به ضربة واحدة؛ كقول الشافعي.

وأما إذا كان الحد رجماً، فلا يؤخر بالاتفاق، ولا يقام الحد على حامل حتى تضع بغير خلاف، فأبو حنيفة إن كان حدها[٣] الجلد، فحتى تتعالى؛ أي: تخرج من نفاسها، وإن كان الرجم، فعقيب الولادة، وإن لم يكن للصغير من يربيه، فحتى يستغني عنها، والشافعي: حتى ترضعه اللبأ ويستغني بغيرها، أو فطام لحولين، ومالك وأحمد: بمجرد الوضع.

﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ على البلاء، وقول أيوب: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ لم يكن جزعاً؛ لأنها شكاية إلى المحبوب، فدل على أنه في غاية الصبر.

---

(١) «ضرباً» ساقطة من «ت» و«ش».

(٢) «الضرب وعدد» زيادة من «ت».

(٣) «حدها» ساقطة من «ت».

﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أيوبُ ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ رجاع إلى الله تعالى.

* * *

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ قرأ ابن كثير: (عَبْدَنَا) بفتح العين وإسكان الباء بغير ألف على الإفراد، فيجعل (إِبْرَاهِيمَ) عطفَ بيان، ويعطف عليه (وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ)، وقرأ الباقون: (عِبَادَنَا) بكسر العين وفتح الباء وألف بعدها على الجمع[١]، جعلوا الأسماء الثلاثة بعده عطفَ بيان، ولم يذكر إسماعيل معهم؛ لأنه لم يُبتل كهؤلاء، تلخيصه: أخبر يا محمد عن هؤلاء.

﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى﴾ القوة على العبادة والأفعال الجميلة، وعبر باليد عنها؛ لأنها غالباً تفعل باليد ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ البصائر في الدين والعلم.

* * *

﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم﴾ اصطفيناهم ﴿بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وهشام عن ابن عامر بخلاف عنه: (بِخَالِصَةِ) بغير تنوين على الإضافة؛ أي: أخلصناهم بذكر الدار الآخرة؛ أي: يعملون لها، والذكرى بمعنى الذكر، وقرأ الباقون: بالتنوين[٢]؛ أي: بخالصةٍ هي ذكرى الدار، فتكون (ذِكْرَى الدَّارِ) بدلاً عن (الْخَالِصَةِ).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧١٠)، =

﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ﴾ المختارين، جمع مصطفى.

﴿ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ جمع خَيِّر.

* * *

﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ ﴾ هو ابن إبراهيم عليهما السلام.

﴿ وَٱلْيَسَعَ ﴾ هو ابن أخطوب بن العجوز [استخلفه إلياس على بني إسرائيل، ثم استنبىء، وتقدم ذكره في سورة الأنعام، وكان هو وإلياس قبل زكريا عليهم السلام][١]. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (وَاللَّيْسَعَ) بتشديد اللام وإسكان الياء، والباقون: بإسكان اللام مخففة وفتح الياء[٢]، وهما لغتان، فمن قرأ بلامين، فأصل الاسم لَيْسَع، ثم أدخلت الألف واللام [للتعريف، ومن قرأ بلام واحدة، فالاسم يَسَعُ، ودخلت الألف واللام][٣] زائدتين؛ كزيادتهما في نحو الخمسة عشر.

﴿ وَذَا ٱلْكِفْلِ ﴾ تقدم ذكره[٤] في سورة الأنبياء.

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٩).

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧٠).

(٣) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٤) في «ت»: «تفسيره».

﴿ وَكُلٌّ ﴾ تنوينه عوض من محذوف ؛ أي : كلهم ﴿ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ .

* * *

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

[٤٩] ﴿ هَٰذَا ﴾ أي : الذي يتلى عليكم ﴿ ذِكْرٌ ﴾ شرف وثناء جميل للأنبياء .

﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ مَرْجع .

* * *

﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

[٥٠] ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ عطف بيان لحسن مآب .

﴿ مُّفَتَّحَةً ﴾ نعت للجنات ﴿ لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ رفع ، بدل من الضمير ، تقديره : مفتحة هي الأبواب .

* * *

﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ﴾ .

[٥١] ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا ﴾ على الأرائك ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ والاقتصار على الفاكهة للإشعار بأن مطاعمهم لمحض التلذذ .

* * *

﴿ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

[٥٢] ﴿ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ لا ينظرن إلى غير أزواجهن .

﴿أَتْرَابٌ﴾ جمع تِرْب، وهم الأصفياء على سن واحد، فكأن التراب[1] قد مسهم في وقت واحد عند الولادة، وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة، لا يتباغضن ولا يتغايرن.

* * *

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٥٣﴾.

[٥٣] ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (يُوعَدُونَ) بالغيب؛ أي: المتقون، وقرأ الباقون: بالخطاب[2]؛ أي: قيل لهم ثَمَّ: هذا ما توعدون.

﴿لِيَوْمِ﴾ أي: لأجل يوم[3] ﴿ٱلْحِسَابِ﴾ كادخر هذا ليوم كذا.

* * *

﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤﴾.

[٥٤] ﴿إِنَّ هَٰذَآ﴾ المذكور ﴿لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ أي: انقطاع.

* * *

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝٥٥﴾.

[٥٥] ﴿هَٰذَا ۚ﴾ أي: الأمر هذا.

﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ للكافرين ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ مرجع.

---

(١) «التراب» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٥)، و«التيسير» للداني (ص:١٨٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧١).

(٣) «يوم» زيادة من «ت».

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] ﴿جَهَنَّمَ﴾ بدل من (لَشَرَّ) ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها.

﴿فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراش.

* * *

﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾.

[٥٧] ﴿هَٰذَا﴾ أي: العذاب ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ وهو الماء الحار الذي انتهى حره ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ الزمهرير، وقيل: هو ما يسيل من صديد أهل النار وفروج الزناة. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (وَغَسَّاقٌ) بتشديد السين، والباقون: بتخفيفها[١]، ومعناهما واحد.

* * *

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] ﴿وَءَاخَرُ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب: بضم الألف من غير مد على الجمع؛ أي: مذوقات أخر، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة مشبعة على التوحيد[٢]؛ أي: وعذاب آخر ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ أي: مثله.

﴿أَزْوَٰجٌ﴾ أجناس تماثل العذاب؛ أي: يعذبون بأنواع مختلفة.

* * *

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧١-٢٧٢).

﴿هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾﴾ .

[٥٩] فإذا دخل القادة النار، ثم دخل بعدهم الأتباع، قالت الخزنة للقادة إشارة إلى الأتباع: ﴿هَـٰذَا فَوْجٌ﴾ جمع.

﴿مُّقْتَحِمٌ﴾ داخل ﴿مَّعَكُمْ﴾ النار، والاقتحام: الدخول بشدة.

روي أن الزبانية تضربهم بالمقامع في النار، فثم يقول القادة دعاءً منهم على أتباعهم:

﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ أي: لا سعة عليهم في عيشهم، والمرحبة والرحبة: السعة، تقول العرب: مرحباً، وأهلاً وسهلاً؛ أي: أتيت رحباً وسعة، وتقول: لا مرحباً بك؛ أي: لا رحبت عليك الأرض.

﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ داخلوها مثلنا.

* * *

﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾﴾ .

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: الأتباع للقادة: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ بل أنتم أحق بما قلتم.

﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ أي: الكفر، وشرعتموه.

﴿لَنَا﴾ فلنا ولكم النار ﴿فَبِئْسَ﴾ الدارُ ﴿الْقَرَارُ﴾ جهنم.

* * *

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾﴾ .

[٦١] ﴿قَالُوا﴾ أي: الأتباع: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا﴾ أي: هذا الدين، وهو الكفر ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي: مضاعفاً ﴿فِي النَّارِ﴾.

﴿ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ولما دخل الكفار من صناديد قريش النار، تحيروا ﴿ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ ﴾ هنا ﴿ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم ﴾ في الدنيا ﴿ مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴾؟ يعنون: فقراء المسلمين، وهم عمار، وخباب، وصهيب، وبلال، وسلمان رضي الله عنهم(١).

* * *

﴿ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ثم ذكروا أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء، فقالوا: ﴿ أَتَّخَذْنَٰهُمْ ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف: (مِنَ الأَشْرَارِ اتَّخَذْنَاهُمْ) بوصل همزة (اتَّخَذْنَاهُمْ) على الخبر؛ أي: إنا اتخذناهم، ويبتدئون بكسر الهمزة، وقرأ الباقون: بقطع الهمزة مفتوحة على استفهام توبيخ أنفسهم(٢).

﴿ سِخْرِيًّا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف: بضم السين؛ من التسخير، وهو العمل بلا أجر، وقرأ الباقون: بكسرها؛ من الهزء(٣).

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٣٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٤/ ٢٢٦). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٢٠١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧١٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦١ـ ٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧٣).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٦٠)، =

﴿أَمْ زَاغَتْ﴾ مالت ﴿عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي: هم معنا ولا نراهم.

* * *

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذي وصفنا ﴿لَحَقٌّ﴾ لصدق.

﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ سمي تخاصماً؛ لتقاولهم.

* * *

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لمشركي مكة: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ مخوِّفٌ.

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾ الذي لا شريك له ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ لكل شيء.

* * *

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾.

[٦٦] ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فهو مالك جميع العالم.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ لمن تاب.

* * *

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾.

[٦٧] ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿هُوَ﴾ أي: القرآن.

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧٣).

﴿نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾ يتضمن وعظُه: أن التصديق فيه نجاة، والتكذيب فيه هلكة.

* * *

﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾.

[٦٨] ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ لتمادي غفلتكم، هو توبيخ لهم.

* * *

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٦٩﴾.

[٦٩] ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ﴾ هم الملائكة ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في شأن آدم حين قال الله لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]. قرأ حفص عن عاصم: (مَا كَانَ لِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١].

* * *

﴿إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٧٠﴾.

[٧٠] ﴿إِن يُوحَىٰ﴾ أي: ما يوحى ﴿إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ قرأ أبو جعفر: (إِنَّمَا) بكسر الهمزة على الحكاية، كأنه قيل له: إنما أنت نذير مبين، فحكى هو المعنى، وهذا كما يقول إنسان: أنا عالم، فيقال له: لم قلت: إنك عالم؟ فيحكي المعنى، وقرأ الباقون: بالفتح[٢]؛ كأنه

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧٣).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٧١٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

يقول: إلا الإنذار، والمعنى: ما علمت هذا إلا بوحي.

* * *

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ بدل من قوله: ﴿ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾:

﴿ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ يعني: آدم.

* * *

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ ﴾ أتممت خلقه ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ وأحييته بنفخ الروح فيه ﴿ فَقَعُواْ ﴾ خروا ﴿ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ تكرمةً وتبجيلاً، لا عبادة، ولم يكن فيه وضع الوجه على الأرض، وإنما كان الانحناء، فلما جاء الإسلام، أبطله.

* * *

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾.

* * *

﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ استثناء من الساجدين.

﴿ ٱسْتَكْبَرَ ﴾ عن السجود ﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ باستكباره.

= (٢/ ٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧٤).

﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

[٧٥] ﴿ قَالَ ﴾ الله : ﴿ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ بنفسي من غير توسيط كأب وأم؟ واليدان صفة من صفات الله تعالى ـ عز وجل ـ نؤمن بها كما جاءت، ونكل العلم فيها إلى الله، ثم أدخلت همزة استفهام التوبيخ على همزة الوصل، فحذفت وبقيت مفتوحة، فقيل:

﴿ أَسۡتَكۡبَرۡتَ ﴾ عن السجود لآدم ﴿ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾ المتكبرين من غير استحقاق؟

* * *

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

[٧٦] ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ تقدم الكلام عليه في سورة الأعراف، والحجر، والإسراء.

* * *

﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

[٧٧] ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا ﴾ من الجنة ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴾ مطرود.

* * *

﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

[٧٨] ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر: (لَعْنَتِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١).

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

[٧٩] ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ .

* * *

﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

[٨٠] ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ .

* * *

﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ ﴾ .

[٨١] ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ هي النفخة الأولى .

* * *

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

[٨٢] ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ ﴾ فبسلطانك وقهرك ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ .

* * *

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

[٨٣] ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ استثناء منقطع . وتقدم اختلاف القراء في (الْمُخْلَصِينَ)، وتوجيه قراءاتهم في سورة الصافات [الآية: ٤٠] .

* * *

= (٢/ ٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧٥) .

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾.

[٨٤] ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾.

* * *

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

[٨٥] ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ يا إبليس وذريتك ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي: من ذرية آدم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيد للضمير في (مِنْهُمْ). قرأ عاصم، وحمزة، وخلف: (فَالْحَقُّ) بالرفع في الأول، معناه: أنا الحقُّ، وأقول الحقَّ، والباقون: بالنصب فيهما[1]، فنصب الأول على الإغراء؛ كأنه ألزم الحق، والثاني بإيقاع الفعل عليه؛ أي: أقول الحقَّ، ومن رفعهما على القراءة الشاذة، فمعناه: أنا الحقُّ، والحقُّ أقوله، والمراد بالحق: اسمه تعالى في قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].

* * *

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

[٨٦] ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ جُعل.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ المتقوّلين القرآنَ من تلقاء نفسي.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧٦).

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ أي: القرآن ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ ﴾ موعظة.

﴿ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ للخلق أجمعين.

* * *

﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ ﴾ أيها المشركون ﴿ نَبَأَهُ ﴾ صدقَ ما أخبرتُكم به في القرآن من الوعيد ﴿ بَعْدَ حِينٍ ﴾ بعد مدة، وهو يوم القيامة، والله أعلم.

* * *

سورة الزمر

مكية إلا ثلاث آيات، نزلت في شأن وَحْشي قاتلِ حمزة بن عبد المطلب، وهي: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ الآيات الثلاث[١]، وقالت فرقة: بل إلى آخر السورة مدني، وقيل: فيها مدني سبع آيات، وآيها: خمس وسبعون آية، وحروفها: أربعة آلاف وسبع مئة وثمانية أحرف، وكلمها: ألف ومئة واثنتان وسبعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ① ﴾.

[١] ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هذا تنزيل الكتاب، وإن شئت جعلته مبتدأ، وخبره ﴿ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ﴾ في قدرته ﴿ ٱلْحَكِيمِ ﴾ في إرادته[٢]، والإشارة إلى القرآن أنه تنزيل من الله لا من غيره.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٣٩).

(٢) في «ت» و«ش»: «إبداعه».

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآنَ ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ فيه، وفي أحكامه وأخباره.

﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا ﴾ حالٌ من العابد ﴿ لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ نصب به؛ أي: الطاعة.

* * *

﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ أَلَا لِلَّهِ ﴾ أي: من حقه، ومن واجباته.

﴿ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ ﴾ من الشرك، لا يقبل غيره.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ أي: من دون الله ﴿ أَوْلِيَآءَ ﴾ والعائد إلى (الَّذِينَ) محذوف؛ أي: والذين اتخذهم الكفار آلهة من دون الله؛ كالأصنام، وعيسى، والعزير، والملائكة، قالوا:

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ تقريباً، مصدر.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ بين العابد والمعبود، والمسلم والكافر.

﴿ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ ﴾ من الدين، فيدخل المؤمن الجنة، والكافر النار.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ﴾ إلى الإسلام ﴿ مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ﴾ في أن الآلهة تشفع

له، أو تقربه ﴿كَفَّارٌ﴾ وهذه المبالغة إشارة إلى المتوغل في الكفر، العاتي فيه.

* * *

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما زعموا ﴿لَّٱصْطَفَىٰ﴾ لاختار.

﴿مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ ولم يخص[١] مريم ولا عيسى بذلك، ولخلق أشرف منه، واتخذه ولداً[٢] ثم نزه نفسه فقال: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً له.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾ المنفرد عن الصاحبة والولد ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ اتصاف على الإطلاق؛ لأن أحداً من البشر إن اتصف بالقهر، فمقيد في أشياء قليلة، وهو في حيز قهره لغيره مقهور لله تعالى على أشياء كثيرة.

* * *

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالواجبِ الواقعِ موقعَه، الجامعِ للمصالح.

﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ يذهب أحدهما،

---

(١) في «ت»: «يختص».

(٢) «ولداً» زيادة من «ت».

ويغشي مكانه الآخر، فيكون كأنه قد غشيه، ولف عليه، وأصل التكوير: اللفُّ والجمع، ومنه كور العمامة التي تلوى بعضها على بعض.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ وتسخيرهما: دوامهما على الجري لمصالح العباد.

﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مدة الدنيا ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القادر على كل ممكن ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ لذنوب التائبين.

* * *

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني: نفس آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني: حواء خلقت من ضلعه القصيرى، و(ثم) لترتيب الأخبار، لا لترتيب المعاني؛ لأنه لما كان خلق حواء من آدم غريباً عادة، عطفت (ثم) ما بعدها على ما قبلها لفظاً، فكأنه قال: ثم كان من أمره قبل ذلك أن جعل منها زوجها.

﴿وَأَنزَلَ﴾ أحدث ﴿لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ هي المذكورة في سورة الأنعام. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (وَأَنْزَل لَّكُمْ) بإدغام اللام الأولى في الثانية[١].

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٩).

﴿ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا ﴾ مصدر ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ ﴾ أي: نطفاً، ثم علقاً، ثم مضغاً، ثم عظاماً، ثم خلقاً سوياً. قرأ حمزة: (إِمِّهَاتِكُمْ) بكسر الهمزة والميم، وقرأ الكسائي: بكسر الهمزة فقط، وكل منهما بشرط الوصل، وقرأ الباقون: بضم الهمزة وفتح الميم، واتفقوا على الابتداء كذلك(١).

﴿ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ﴾ هي ظلمة البطن، والرحم، والمشيمة.

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الذي خلق هذه الأشياء ﴿ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾ فكيف تعدلون عن طريق الحق، وبأي سبب تضلون؟!

* * *

﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧ ﴾.

[٧] ثم بين أن لا حاجة به إليهم، فقال: ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ ﴾ مع ذلك.

﴿ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ ﴾ رحمة لهم إذا وقعوا فيه ﴿ وَإِن تَشۡكُرُواْ ﴾ لله تعالى، فتؤمنوا ﴿ يَرۡضَهُ ﴾ أي: يرضى الشكر ﴿ لَكُمۡ ﴾ لأنه سبب فلاحكم. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (يَرْضَهُو) بإشباع ضمة الهاء، وقرأ السوسي عن أبي عمرو: بإسكان الهاء، وقرأ نافع، وحمزة، ويعقوب، وحفص عن

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٩).

عاصم: باختلاس ضمة الهاء، وروي عن كل من الدوري راوي أبي عمرو، وابن جماز راوي أبي جعفر: وجهان: الإسكان، والإشباع، وروي عن كل من هشام راوي ابن عامر، وأبي بكر راوي عاصم: وجهان: الإسكان، والاختلاس، وروي عن كل من ابن ذكوان راوي ابن عامر، وابن وردان راوي أبي جعفر: وجهان: الاختلاس والإشباع[(١)].

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: لا يحمل أحد ذنب غيره.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالمحاسبة والمجازاة.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فلا تخفى عليه خافية من أعمالكم.

* * *

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾.

[٨] ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ راجعاً إليه مستغيثاً.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ﴾ أعطاه ﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ من الله.

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ أي: نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٩)، و«تفسير البغوي» (٤/٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٣٠٧ـ٣٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٩ـ١٠).

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ يعني: الأوثان ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ ليصد عن دين الإسلام. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس بخلاف عنه: (لِيَضِلَّ) بفتح الياء، والباقون: بضمها[1].

﴿قُلْ﴾ لهذا الكافر: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ في الدنيا إلى انقضاء أجلك.

﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾.

* * *

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ونزل في كل مؤمن: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ مصلٍّ ساعاتِه. قرأ نافع، وابن كثير، وحمزة: (أَمَنْ) بتخفيف الميم دخلت همزة الاستفهام على (مَنْ)، تقديره: أمن هو قانت كغيره؟ وقرأ الباقون: بتشديدها[2]، دخلت (أَمْ) على (مَنْ)، فأدغمت فيها الميم، فـ(أم) منقطعة، تقديره: الكافر خير أم المطيع؟ فمن خفف، اتبع المصحف؛ لأنها فيه بميم واحدة، ومن شدد، فعلى الأصل.

﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ يعني: في الصلاة، ونصبهما حال من ضمير (قَانِتٌ) ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ يخاف عذابها ﴿وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ هي المغفرة، ثم بين أنْ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠-١١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١).

لا مساواة بين من نزلت فيه هذه الآية، وبين من نزلت فيه الآية التي قبل بقوله:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ التوحيدَ، ويعملون بمقتضاه، وهم المؤمنون.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، وهم الكفار؟

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ بأمثال هذه البيانات.

* * *

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)﴾.

[١٠] ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ بطاعته. أجمع القراء على الوقف على (يَا عِبَادِ) بالحذف، إلا ما انفرد به الحافظ أبو العلاء عن رويس.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ أي: للمحسنين بالطاعات في الدنيا مثوبة ﴿حَسَنَةٌ﴾ في الآخرة.

﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ قال ابن عباس: «يعني: ارتحلوا من مكة»[١]، وفيه حث على الهجرة من البلد الذي تظهر فيه المعاصي.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ﴾ الذين صبروا على دينهم، فلم يتركوه للأذى.

﴿أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: مكيال، قيل: نزلت في جعفر بن أبي طالب

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٩).

وأصحابه؛ حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد بهم البلاء، وصبروا[1].

* * *

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ التوحيدَ، لا أشرك به شيئاً.
قرأ نافع، وأبو جعفر: (إِنِّيَ) بفتح الياء[2]، والباقون: بإسكانها[3].

* * *

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ من أمتي، و(أُمِرْتُ) الثاني معطوف على (أُمِرْتُ) الأول، وإن كان لفظهما واحداً؛ لأن الأول أمر بالعبادة مع الإخلاص، والثاني بالسبق، فلاختلاف جهتيهما تنزَّلا منزلةَ المختلفين، وصح عطف أحدهما على الآخر.

* * *

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ عبدتُ غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهذا حين دُعي إلى دين آبائه. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٩)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٥٢٣)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٤٠).

(٢) «الياء» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢).

وأبو عمرو[١]: (إنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٢].

***

﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ ﴾.

[١٤] ﴿ قُلِ ٱللَّهَ ﴾ نصب بقوله: ﴿ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴾ أُمر بالإخبار عن إخلاصه، وأن يكون مخلصاً له دينه بعد الأمر بالإخبار عن كونه مأموراً بالعبادة والإخلاص، خائفاً على المخالفة من العقاب.

***

﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥ ﴾.

[١٥] ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ ﴾ أمر توبيخ وتهديد؛ كقوله: ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ ﴾ [فصلت: ٤٠].

﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ المبالغين في الخسران ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ بدخول النار ﴿ وَأَهۡلِيهِمۡ ﴾ المعدين لهم في الجنة من الحور والولدان لو آمنوا؛ بعدم وصولهم إليهم ﴿ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ حين يدخلون النار بدل الجنة.

﴿ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ مبالغة في خسرانهم.

***

---

(١) «وأبو عمرو» زيادة من «ت».

(٢) المصادر السابقة.

﴿ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ أطباق وسرادقات من النار[١] ودخانها.

﴿ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٌۚ ﴾ لمن تحتهم، وهي فرش لهم ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ ﴾ المؤمنين؛ ليتقوه، يوضحه:

﴿ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ قرأ رويس عن يعقوب: (يَا عِبَادِي فَاتَّقُونِي) بإثبات الياء فيهما، وافقه روح في الثاني[٢].

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ونزل في أبي ذر، وسلمان، وزيد بن عمرو بن نفيل: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[٣] أي: الأوثان، وتذكر وتؤنث، وهو من الطغيان، وزيدت التاء فيه مبالغة؛ كالرحموت.

---

(١) «أطباق وسرادقات من النار» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٥٢٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٠)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٤٤). قال ابن عطية: وهي على كل حال عامة في الناس إلى يوم القيامة يتناولهم حكمها.

﴿ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ رجعوا إلى عبادته ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ في الحياة الدنيا بالثواب، وفي الآخرة بحسن المآب على ألسنة الرسل ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ .

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ ﴾ أي: قول الله. قرأ السوسي عن أبي عمرو: (عِبَادِي) بإثبات الياء ساكنة وقفاً، مفتوحة وصلاً، وافقه يعقوب وقفاً[(١)] ﴿ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ أي: أفضله، وهو ما في القرآن من عفو وصفح، واحتمال على صبر، ونحو ذلك.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ المذكورون مبتدأ، خبره ﴿ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ﴾ لأنهم كانوا يأخذون بعزائم القرآن، وهو أحسنه بالنسبة إلى أخذه؛ لأنه كله حسن، لا أن فيه حسناً وأحسن.

﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ العقول السليمة.

* * *

﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ ﴾ أي: ثبت ﴿ عَلَيْهِ ﴾ من الكفار ﴿ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ ﴾ وهي: هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَلا أُبَالِي ﴿ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾ هذه الآية جملة

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ٦٧ و١٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٨ و٣٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣).

واحدة من شرط وجزاء، فالشرط (مَنْ)، وجيء بالفاء قبله للعطف على محذوف، والهمزة قبلها للإنكار، والفاء في (أَفَأَنْتَ) جزاء الشرط، والهمزة قبلها زيادة في الإنكار، تقديره: أأنت المتصرفُ، فمن وجب عليه العذاب، فأنت منقذه؟ أي: لا تقدر على هداية الكافرين، والمراد: أبو لهب وولده، قاله ابن عباس[١].

***

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾ قرأ أبو جعفر: (لَكِنَّ) بتشديد النون، والباقون: بتخفيفها[٢].

﴿لَهُمْ غُرَفٌ﴾ علالي ﴿مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ كبناء المنازل في الأرض، بعضُها فوق بعض.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: من تحت المنخفضة والمرتفعة من غير تفاوت بين العلو والسفل.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد.

﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ لأن الخلف نقص، وهو تعالى منزه عنه.

***

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١١)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٤٤).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ هو المطر ﴿ فَسَلَكَهُۥ ﴾ أدخله ﴿ يَنَٰبِيعَ ﴾ عيوناً وركايا ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فكل ما في الأرض من السماء ينزل منها إلى صخرة بيت المقدس، ثم يقسمه الله تعالى في الأرض كالعروق في الأجساد.

وروي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: أنه قال: «المياه العذبةُ، والرياح اللواقحُ من تحتِ صخرةِ بيتِ المقدس»[١].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الأنهار الأربعةُ سيحانُ وجيحانُ والنيلُ والفراتُ»، فأما سيحان، فنهر بلخ، وأما جيحان، فدجلة، وأما النيل، فنيل مصر، وأما الفرات، ففرات الكوفة، فكل ما يشرب ابن آدم، فهو من هذه الأربعة، وتخرج من تحت الصخرة[٢].

﴿ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ ﴾ بالماء ﴿ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ من أخضر وأحمر وغيرهما.

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/ ٧٣)، ومن طريقه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٢٢٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: وهو حديث منكر كما قال ابن عدي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٣٥ـ١٣٦)، وروى مسلم في «صحيحه» (٢٨٣٩)، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: ما في الدنيا من أنهار الجنة، من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «سَيحان وجيحان، والفرات والنيل، كلٌّ من أنهار الجنة».

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي: يتم جفافه ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ بعد خضرته وحسنه.

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ فتاتاً.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ إذ لا يتذكر به غيرهم، وهذا مثل الدنيا.

* * *

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ﴾ أي: وسعه ﴿لِلْإِسْلَٰمِ﴾ فقبله، وأقبل عليه.

﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ﴾ هدى ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وجواب (مَنْ) محذوف، تقديره: أفمن شرح صدره، فاهتدى، كمن طبع على قلبه فضل؟ يدل عليه:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ المعنى: إذا ذكر عندهم، ازدادت قلوبهم قسوة.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ والآية نزلت في حمزة وعلي ـ رضي الله عنهما ـ، وأبي لهب وولده، قال مالك بن دينار: «ما ضُرب عبدٌ بعقوبة أعظمَ من قسوة قلب، وما غضب الله على قوم إلا نزع منهم الرحمة»(١).

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٢)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٤٨).

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ أي: القرآن، وتبدل من (أَحْسَن) ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ يشبه بعضه بعضاً حسناً ونظماً ﴿مَّثَانِيَ﴾ أي: مردَّد ومكرَّر في أحكامه ﴿تَقۡشَعِرُّ﴾ تضطرب وتشمئز ﴿مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ خوفاً وإجلالاً لله تعالى، والقشعريرة: تغير في جسد الإنسان عند الوجد والخوف.

﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ فهي تقشعر عند الوعيد، وتلين عند الوعد.

عن العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اقشعر جلدُ العبد من خشية الله، تَحاتَّتْ عنه ذنوبُه كما تتحاتُّ عن الشجرة اليابسة وُرقها»(١).

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الكتاب ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ بخذلانه.

﴿فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ ينقذه من الضلال. قرأ ابن كثير: (هَادِي) بإثبات الياء

(١) رواه البزار في «مسنده» (١٣٢٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٥٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠٣)، من حديث العباس رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣١٠): فيه أم كلثوم بنت العباس ولم أعرفها، وبقية رجاله ثقات.

حالة الوقف، وروي ذلك عن قنبل، ويعقوب[1].

***

﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى ﴾ معناه: أفمن يدخل النارَ فيتقي ﴿ بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ أشدَّه، كمن هو آمن منه ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ المعنى: أن الإنسان إذا عرض له ما يخافه، اتقاه بيده، وطلب أن يتقي بها وجهه؛ لأنه أعز أعضائه، والذي يلقى في النار مغلولةً يداه إلى عنقه، فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه ﴿ وَقِيلَ ﴾ أي: ويقول الخزنة.

﴿ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ ﴾ جزاء.

﴿ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ من الكفر والمعاصي.

***

﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ثم حذر كفار مكة بعذاب من تقدمهم، فقال:

﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ رسلَهم.

﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ من جهة لا يخطر ببالهم أن العذاب يأتيهم منها.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٦-١٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥).

﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ ﴾ الذلَّ والهوان، والمسخ والقتل والسبي، وغيرها .

﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ المعدُّ لهم ﴿ أَكْبَرُ ۚ ﴾ لشدته ودوامه .

﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك، لاعتبروا به .

* * *

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ يحتاج إليه .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يتعظون .

* * *

﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ حال مؤكدة؛ كقولك: جاءني زيد رجلاً صالحاً، وإنساناً عاقلاً، ويجوز أن ينتصب على المدح .

﴿ غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ بريئاً من التناقض .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ الكفر .

* * *

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا﴾ بدل من (مَثَلاً) ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ متنازعون، سيئة أخلاقُهم.

﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (سَالِماً) بألف بعد السين وكسر اللام؛ أي: خالصاً، لا مشاركَ له فيه، وقرأ الباقون: (سَلَماً) بغير ألف وفتح اللام[1]؛ أي: لا تنازع فيه، وهذا مثل ضربه الله لأهل التوحيد، ومثَّل الذي عبد الآلهة كمثل الشركاء.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ في الصفة ﴿مَثَلًا﴾ نصب على التمييز، وهذا توقيف لا يجيب عنه أحد إلا بأنهما لا يستويان، فلذلك عاملتهم العبارة الوجيزة على أنهم قد أجابوا، فقال:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: على ظهور الحجة عليكم من أقوالكم، ثم قال تعالى:

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه، فأضرب عن مقدر محذوف يقتضيه المعنى، تقديره: الحمد لله على ظهور الحجة، وأن الأمر ليس كما يقولون، بل أكثرهم لا يعلمون.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦).

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] ولما استبطؤوا موته ﷺ، نزل:

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[١] أي: ستموت، ويموتون، فلا شماتة بالموت.

***

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

[٣١] ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ بعدَ البعث.

﴿ تَخْتَصِمُونَ ﴾ تتحاكمون؛ يعني: المحق والمبطل، والظالم والمظلوم.

عن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال: «كنا نقول: ربُّنا واحد، ودِيننا واحد، ونبينا واحد، فما هذه الخصومة؟! فلما كان يوم صفين، وشدَّ بعضُنا على بعض بالسيوف، قلنا: نعم، هو هذا»[٢].

***

﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

[٣٢] ﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ بإضافة الولد والشريك إليه.

﴿ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ القرآنِ ﴿ إِذْ جَآءَهُۥٓ ﴾ من غير تفكر في أمره.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٥).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ١٣٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٦)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٥٥)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٢٠٤).

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ منزلٌ ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾ استفهام بمعنى التقرير .

* * *

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

[٣٣] ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ هو محمد ﷺ .

﴿ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ ﴾ هو أبو بكر رضي الله عنه، وقيل: (الذي) هاهنا للجنس؛ ليتناول الرسل والمؤمنين؛ لقوله:

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ قال ابن عطية: وهو أصوب الأقوال(١) .

* * *

﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

[٣٤] ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ﴾ في الجنة .

﴿ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ على إحسانهم .

* * *

﴿ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

[٣٥] ﴿ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ يسترها عليهم بالمغفرة .

﴿ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: يجزيهم بمحاسن أعمالهم، ولا يجزيهم بمساوئها .

* * *

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٣١).

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ استفهام إنكار للنفي؛ مبالغة في الإثبات. قرأ أبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف: (عِبَادَهُ) بألف على الجمع؛ يعني: الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، قصدهم قومهم بالسوء، فكفاهم الله شر من عاداهم، وقرأ الباقون: (عَبْدَهُ) بغير ألف على التوحيد[1]؛ يعني: محمداً ﷺ، وروي عن قنبل، ويعقوب: الوقف بالياء[2] على (بِكَافِي).

﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ ﴾ الكفارُ يا محمد ﴿ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ بالمعبودين من دون الله تعالى، وهي الأصنام؛ لأنهم قالوا له: نخشى عليك أن تقتلك، أو تخبلك.

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ يهديه. وقف ابن كثير (هَادِي): بإثبات الياء، وروي ذلك عن يعقوب[3].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٨).

(٢) «بالياء» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٦ـ١٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩).

﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

[٣٧] ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ ﴾ إذ لا راد لفعله .

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ﴾ غالب ﴿ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾ من الكافرين؟

* * *

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

[٣٨] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ ﴾ لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية .

﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من آلهتكم ﴿ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ بشدة وبلاء ﴿ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ ﴾ بنعمة وبركة ﴿ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ ﴾ المعنى: أفرأيتم هؤلاء إذا أراد الله أمراً لهم قدرةٌ على نقضه؟ وحذف الجواب عن هذا؛ لأنه من البين أنه لا يجيب أحد إلا بأنه لا قدرة للأصنام على شيء من ذلك. قرأ حمزة: (أَرَادَنِي اللَّهُ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها، وقرأ أبو عمرو، ويعقوب: (كَاشِفَاتٌ) (مُمْسِكَاتٌ) بالتنوين، ونصب (ضُرَّهُ) و(رَحْمَتَهُ) على الأصل؛ لأنه اسم فاعل بمعنى الاستقبال، وقرأ الباقون: بغير تنوين فيهما تخفيفاً، وخفض (ضُرِّهِ) و(رَحْمَتِهِ) على الإضافة[1]، فسألهم رسول الله ﷺ عن ذلك،

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٨)، و«النشر في =

فسكتوا، فقال الله له: ﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾[1] من كل شيء.

﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يثق الواثقون.

* * *

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ثم أمره بتوعدهم بقوله: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: على ما رأيتموه متمكناً لكم. قرأ أبو بكر عن عاصم: (مَكَانَاتِكُمْ) بألف بعد النون على الجمع، والباقون: بغير ألف على الإفراد[2].

﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ أي: على مكانتي، فحذف؛ للاختصار، والمبالغة في الوعيد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

* * *

﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ هو عذاب الدنيا يوم بدر.

﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم، وهو عذاب الآخرة أعاذنا الله منه برحمته.

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٨٤).

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ١٣٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٨).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠).

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾ .

[٤١] ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآن ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ أي : لأجلهم ؛ لما فيه من مصلحة العالم وهداية الناس ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ في أخباره وأحكامه .

﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ﴾ عمل وسعى .

﴿ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ فإن وبال ضلاله عليه .

﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ والوكيل : القائم على الأمر حتى يكمله .

* * *

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤٢] ثم نبه تعالى على آية من آياته الكبرى تدل الناظر على الوحدانية ، وأن ذلك لا شرك فيه لصنم ولا غيره ، فقال : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ﴾ لأن للإنسان نفسين : نفس الحياة ، هي الروح تفارق بالموت ، ونفس التمييز تفارق بالنوم ، وتبقى نفس الحياة ، وبينهما مثل شعاع الشمس ، قال ابن عباس : «فيقبض الله تعالى جميع الأنفس التمييزية والحيوانية» .

﴿ حِينَ ﴾ أي : وقت ﴿ مَوْتِهَا ﴾ لانقضاء أجلها .

﴿ وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ ﴾ والأنفس التي لم يحكم بموتها يقبض نفسها التمييزية ﴿ فِى مَنَامِهَا ﴾ أي : وقت نومها ؛ بأن تخرج عن جسدها ، وتبقى فيه

الحيوانية؛ لأن النفس والحركة بها تكون والنائم نفس[١] يتنفس ويتحرك.

﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ فلا يردها إلى جسدها. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (قُضِيَ) بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء (الْمَوْتُ) بالرفع على ما لم يُسم فاعله، وقرأ الباقون: بفتح القاف والضاد، فتصير الياء ألفاً، ونصب (الْمَوْتَ)[٢] مفعولاً به لقوله: (اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ)[٣].

﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ يردُّ النفسَ التي لم يحكم عليها بالموت إلى جسدها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقتِ موتها، المعنى: يتوفى الأنفس التي حكم بموتها وقتَ الموت، ويتوفى الأنفس التي لم يحكم بموتها وقت النوم، شبه النائم بالميت؛ لعدم تمييزه، وروي أن أرواح المؤمنين تعرج عند النوم إلى السماء، فمن كان منهم طاهراً، أذن له في السجود، ومن لم يكن منهم طاهراً، لم يؤذن له فيه[٤].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ لدلالات.

﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيستدلون على قدرته تعالى على البعث.

* * *

---

(١) «نفس» ساقطة من «ت».

(٢) في «ت»: «ونصب الياء».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١).

(٤) انظر: «تفسير النسفي» (٤/ ٥٦).

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ﴾ أي: بل اتخذ قريش ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي: من غير إذنه ﴿ شُفَعَآءَ ﴾ والهمزة إنكار عليهم؛ لاعتقادهم شفاعة الأصنام حيث قالوا: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [يونس: ١٨].

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد: ﴿ أَوَلَوْ كَانُوا۟ ﴾ أي: وإن كانوا؛ يعني: الآلهة.

﴿ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا ﴾ من الشفاعة ﴿ وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ أنكم تعبدونهم؟ وجواب هذا محذوف، تقديره: وإن كانوا بهذه الصفة تتخذونهم.

* * *

﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ ﴾ هو مختص بها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه؛ لأنه.

﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ يُحصي أعمالكم هنا.

﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ ﴾ إلى حسابه ثَمَّ ﴿ تُرْجَعُونَ ﴾ فيجازيكم. قرأ يعقوب: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء ونصب الجيم[1].

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١).

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ .

[٤٥] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ﴾ أي: أُفرد بالذكر دون آلهتهم ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ﴾ نفرت ﴿قُلُوبُ﴾ الكافرين.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ يعني: الأصنام.

﴿إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ يفرحون بذلك.

روي أن رسول الله ﷺ قرأ سورة النجم، فألقى الشيطان في أمنيته: تلك الغرانيق العلا، ففرح الكفار بذلك(١).

***

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٣٠): جاءت من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح. وقال الآلوسي في «تفسيره» (١٧/ ١٧٧) بعد أن ذكر من أسند هذه القصة: قد أنكر كثير من المحققين هذه القصة؛ فقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل. وقال القاضي عياض في «الشفا»: يكفيك في توهين هذا الحديث أنه لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند صحيح سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم. ثم ذكر ـ رحمه الله ـ عن محمد بن إسحاق وأبي منصور الماتريدي ما ملخصه: أن هذه القصة من وضع الزنادقة يلقونها بين الضعفاء وأرقاء الدِّين ليرتابوا في صحة الدين، وحضرةُ الرسالة بريئة من مثل هذه الرواية.. إلخ. وانظر: «الإسرائيليات» لأبي شهبة (ص: ٣١٤ـ٣٢٢).

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

[٤٦] ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ﴾ خالقَ ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ أي: التجىء إليه بالدعاء؛ فإنه قادر على ما يشاء، ومعنى اللهم: يا ألله برحمتك وفضلك، والغيب: ما غاب عن البشر، والشهادة: ما شهدوه.

﴿ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا افتتح صلاةً من الليل يقول: اللهمَّ ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، فاطرَ السموات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، أنت تحكمُ بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اخْتُلف فيه من الحق بأمرك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[1].

* * *

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

[٤٧] ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أخبر تعالى عن سوء حال الكفرة يوم القيامة، وأن ما نزل لو قدروا على الافتداء منه بضعف الدنيا بأسرها، لفعلوا.

---

(١) رواه مسلم (٧٧٠)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ أي: ظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن في حسابهم.

* * *

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ﴾ أي: جزاء سيئات ﴿مَا كَسَبُواْ﴾ من الشرك عند عرض صحائفهم.

﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ من البعث والعذاب.

* * *

﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾ شدةٌ ﴿دَعَانَا﴾ وعطف هذه الآية بالفاء، وعطف مثلها في أول السورة بالواو؛ لأن هذه وقعت مسببة عن قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ﴾ على معنى: إنهم يشمئزون عن ذكر الله، ويستبشرون بذكر الآلهة، فإذا مس أحدَهم ضر، دعا من اشمأز من ذكره، دونَ من استبشر بذكره، وما بينهما من الآيات[١] اعتراض مؤكد لإنكار ذلك عليهم.

﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ﴾ أعطيناه ﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾ تفضُّلاً ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: علم من الله أني أهل له، وذكر الكناية؛ لأن المراد بالنعمة: الإنعام.

---

(١) في «ت»: «من الآتي».

﴿ بَلْ هِيَ ﴾ أي: النعمة ﴿ فِتْنَةٌ ﴾ استدراجٌ لهم.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك.

* * *

﴿ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ قَدْ قَالَهَا ﴾ أي: مقالته ﴿ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ يعني: قارون؛ حيث قال: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ [القصص: ٧٨].

﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ من الأموال والمعاصي.

* * *

﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ أي: جزاؤها وهو العذاب.

﴿ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ ﴾ يعني: كفار مكة.

﴿ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ كما أصاب أولئك.

﴿ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ بفائتين، فقتل صناديدهم ببدر، وقحطوا سبع سنين.

* * *

﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ فإنه وسَّع عليهم سبع سنين بعد تلك السبعة.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

* * *

﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ .

[٥٣] عن ابن عباس: أَنَّ ناساً من المشركين كانوا قَتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا النبي ﷺ، وقالوا: إن الذي تدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل:

﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾(١) فَرَّطوا وتعدَّوا الطورَ ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ القنط: أعظم اليأس. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، وعاصم(٢): (يَا عِبَادِيَ) بفتح الياء، وقرؤوا هم وحمزة: (لا تَقْنَطُوا) بفتح النون، وقرأ الباقون: بإسكان الياء وكسر النون(٣).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ عموم بمعنى الخصوص، على أن الشرك ليس بداخل في الآية إجماعاً، وهي أيضاً في العاصي مقيدة بالمشيئة، و(جَميعاً) نصب على الحال.

---

(١) رواه البخاري (٤٥٣٢) كتاب: التفسير، باب قوله: ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا﴾، ومسلم (١٢٢)، كتاب: الإيمان، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله، من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) «وعاصم» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦ و١٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢).

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

قال ﷺ : «إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي»(١) .

* * *

﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

[٥٤] ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ ﴾ وارجعوا ﴿ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ ﴾ عن الذنب تائبين .

﴿ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ أخلصوا العمل لوجهه .

﴿ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ﴾ في الدنيا والآخرة .

﴿ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ إن لم تتوبوا قبل نزول العذاب .

* * *

﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

[٥٥] ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ وهو القرآن .

﴿ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً ﴾ فجأة .

﴿ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ لشغلكم(٢) .

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٣٧) كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة الزمر ، والإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٥٤) من حديث أسماء بنت يزيد ، قال الترمذي : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث ثابت عن شهر بن حوشب .

(٢) في «ت» : «لغفلتكم» .

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ أَن تَقُولَ ﴾ (أن) في هذه الآية مفعول من أجله؛ أي: وأنيبوا وأسلموا من أجل أن تقول ﴿ نَفْسٌ ﴾ نكر نفساً إرادة الكثرة؛ ليشيع في كل النفوس ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ ﴾ أصلها: يا حسرتي، ومن العرب من يرد ياء الإضافة ألفاً، فيقول: يا غلاما، ويا جارا. قرأ أبو جعفر: (يَا حَسْرَتَاي) بياء بعد الألف، وروي عنه فتحها وإسكانها، وكلاهما صحيح عنه، وقرأ الباقون: بغير ياء، ووقف يعقوب: (يَا حَسْرَتَاهْ) بهاء ساكنة بعد الألف(١).

﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ ﴾ قصرت ﴿ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ أي: طاعة الله.

﴿ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ ندامة على استهزائه بأمر الله تعالى، والسخر: الاستهزاء.

* * *

﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى ﴾ بألطافه.

﴿ لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ الشركَ.

* * *

﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ ﴾ عياناً: ﴿ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً ﴾ رجعة

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣).

إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الموحِّدين، ويحمله على هذا القول تحيره وندمه حيث لا ينفع.

***

﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

[٥٩] فثم يقال رداً عليه[1]: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى﴾ يعني: القرآن، وهي سبب الهداية ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ﴾ عنها.

﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ بها.

***

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

[٦٠] ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بأن جعلوا له البنات والصاحبة، وشرعوا ما لم يأذن به، إلى غير ذلك.

﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾ بما ينالهم من الشدة.

﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مقام ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الإيمان؟

***

﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ قرأ روح عن يعقوب:

---

(١) «فثم يقال رداً عليه» زيادة من «ت».

(وَيُنْجِي اللَّهُ) بإسكان النون وتخفيف الجيم، وقرأ الباقون: بفتح النون وتشديد الجيم[1]، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (بِمَفَازَاتِهِمْ) بألف بعد الزاي على الجمع؛ لأن لكل واحد مفازة؛ أي: بالطرق التي تؤديهم إلى الفوز، وقرأ الباقون: بغير ألف على الإفراد إرادة الجنس[2]، وهو مصدر من الفوز: النجاة؛ أي: مكان الفوز، وهو الجنة.

﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ لا يصيبهم المكروه.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ تفسير للمفازة.

* * *

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾.

[٦٢] ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ كلام مستأنف دال على الوحدانية.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ والوكيل: القائم على الأمر، الزعيم بإكماله، فالخلق غير المخلوق، وهو فعل الرب تعالى القائم به، مغاير لصفة القدرة في قول الحنفية وأئمة الشافعية والسلف وأكثر أصحاب أحمد؛ خلافاً لأكثر المعتزلة وغيرهم في قولهم: هو هو.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٦ـ٢٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٧).

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

[٦٣] ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ﴾ أي: مفاتيح خزائن ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾ واحدها مِقْلاد، فمفاتيح السموات: المطر، والأرض: النبات.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ متصل بقوله: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ وما بينهما اعتراض، التقدير: وينجي المتقين، والكافرون هم الخاسرون.

* * *

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ وذلك أن كفار قريش دعوه إلى دين آبائه. قرأ ابن عامر: (تأْمُرُونَنِي) بنونين ظاهرتين خفيفتين على الأصل، الأولى علم الرفع، والثانية للوقاية، ويسكن ياء الإضافة، وقرأ نافع، وأبو جعفر: بنون واحدة خفيفة على الحذف مع فتح ياء الإضافة، وقرأ الباقون: بنون واحدة مشددة على الإدغام، فابن كثير منهم يفتح ياء الإضافة، والباقون: يسكنونها(١).

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٠ـ١٩١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٣ـ٣٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٧ـ٢٨).

﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾ من الرسل.

﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ الذي عملته قبلَ الشرك وحبط معناه: بطل، فالخطاب مع الرسول ﷺ، والمراد منه: غيره.

﴿ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ في صفقتك بسبب حبوط عملك، وتقدم حكم بطلان أعمال المرتدين من صلاة وحج، واختلاف الأئمة في ذلك في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾ [الآية: ٢١٧].

* * *

﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ ﴾ الفاء جواب شرط محذوف، تقديره: لا تعبد ما أمرك الكفار بعبادته، بل إن عبدت، فاعبد الله، فحذف الشرط، وأقيم المفعول مقامه، معناه: لا تعبد إلا الله.

﴿ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ له على فضله.

* * *

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره، ثم أخبر عن عظمته.

فقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ حال من الأرض[1] ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾ أي: في تصرفه، والمراد: الأرضون السبع؛ لقوله: (جَميعاً).

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ أي: مجموعات بقدرته.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: هو منزه عن الشبه الذي لا يليق به.

* * *

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

[٦٨] ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ وهو قرن، والصحيح أنها النفخة الثانية بعد نفخة الفزع بأربعين سنة، وفي الخبر: أنها ثلاث نفخات، وتقدم ذكرها في سورة النمل.

﴿فَصَعِقَ﴾ فمات.

﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من الحور والولدان وغيرهما.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾ نفخة[2] ﴿أُخْرَىٰ﴾ هي نفخة البعث، وروي أن بين النفختين أربعين، لا يدري أبو هريرة سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة[3].

---

(١) «حال من الأرض» زيادة من «ت».

(٢) «نفخة» زيادة من «ت».

(٣) رواه البخاري (٤٥٣٦) كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾، ومسلم (٢٩٥٥) كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين.

﴿فَإِذَا هُم﴾ جميع الخلائق ﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ أهوالَ يوم القيامة وما يُفعل بهم.

* * *

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

[٦٩] ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: أضاءت عرصات يوم القيامة.

﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ إضافة خلق إلى خالق؛ أي: بنور الله تعالى، وقيل: بعدله.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي: كتاب الأعمال، ووحِّد على اسم الجنس؛ لأن كل واحد له كتاب على حدة ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ليشهدوا على أممهم ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ يشهدون للرسل بالإبلاغ، وهم أمة محمد ﷺ الذين جعلهم الله شهداء على الناس، وقيل: الحفظة.

﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ أي: بين العالم بأجمعه ﴿بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1] لا يوضع شيء من أمورهم في غير موضعه. قرأ قنبل عن ابن كثير، وهشام عن ابن عامر، ورويس عن يعقوب: (وَجِيءَ) و(قِيلَ)، (وَسِيقَ): بإشمام الضم الجيمَ والقافَ والسينَ، وافقهم في إشمام السين: ابنُ ذكوان راوي ابن عامر[2].

* * *

(١) في «ت» كتبت الآية: ﴿بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ وهو خطأ.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٢ و١٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٣٠).

﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

[٧٠] ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ ثوابَ .

﴿ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ لا يحتاج إلى كاتب ولا شاهد .

***

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

[٧١] ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ ﴾ جماعات ، واحدتها زُمرة ، ونصبه على الحال ؛ أي : يساقون سوقاً خبيثاً إلى النار .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ السبعة عند مجيئهم ؛ تهويلاً لشأنها ، ولم تفتح قبل ؛ لبقاء حرها .

﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ ﴾ وهم الزبانية توبيخاً : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ من جنسكم ﴿ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ ﴾ يخوفونكم .

﴿ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ وهو وقت دخول النار .

﴿ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ ﴾ وهي قوله تعالى : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود: ١١٩] ﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ فوجبت لنا النار .

***

﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ جهنمُ، وأُبهِمَ القائل؛ لتهويل ما يقال لهم.

* * *

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ ﴾ تكرمة لهم، ونصبه على الحال. قرأ أبو عمرو: (إِلَى الْجَنَّة زُمَراً) بإدغام التاء في الزاي[١].

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ وجواب (حتى) محذوف تقديره: حتى إذا جاؤوها، اطمأنوا، وجيء بالواو في (وَفُتِحَتْ) للإيذان [أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم تكرمةً، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ [ص: ٥٠] قالوا: وللحال تقديره: جاؤوها وقد فتحت أبوابها، وحذفها في الآية الأولى لبيان][٢] أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم، فالكفار يساقون إلى النار سريعاً إهانةً، والمتقون يساقون إلى الجنة ليصلوا إلى ما أعد لهم فيها تكرمة لهم. قرأ الكوفيون، وهم: عاصم، وحمزة،

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٣٢).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

والكسائي، وخلف: (فُتِحَتْ) (وَفُتِحَتْ) بتخفيف التاء فيهما، والباقون: بالتشديد على التكثير[1].

﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ لا يعتريكم بعدُ مكروه.

﴿ طِبْتُمْ ﴾ أي: طاب لكم المقام ﴿ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ والفاء للدلالة على أن طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم، فدخلوها.

* * *

﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ (٧٤) ﴾.

[٧٤] فلما رأوا ما أعد لهم فيها، أعجبوا سروراً ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾ بالبعث والثواب ﴿ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ ﴾ أي: أرض الجنة، والوراثة هنا مستعارة؛ لأن حقيقة الميراث أن يصير شيء إلى إنسان بعد موت إنسان، وهؤلاء إنما ورثوا مواضع أهل النار لو كانوا مؤمنين ﴿ نَتَبَوَّأُ ﴾ نتنزل ﴿ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾ منها، ثم يدخل سائر الأمم[2]، وهو إشارة إلى السعة والزيادة عن قدر الحاجة، لا أن أحداً ينزل في غير منزله، روي أن أمة محمد ﷺ تدخل أولاً الجنة، فتنزل حيث تشاء منها، ثم يدخل سائر الأمم، قال الله تعالى: ﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ ثواب المطيعين.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٣١).

(٢) «منها ثم يدخل سائر الأمم» ساقطة من «ت».

﴿ وتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

[٧٥] ثم وصف حال الملائكة فقال: ﴿ وتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾ أي: محيطين بجوانبه.

﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْۖ ﴾ تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد؛ لأن التكليف يزول في ذلك اليوم.

﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم ﴾ أي: بين جميع الخلائق.

﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ بالعدل، فيدخل المؤمن الجنة، والكافر النار.

﴿ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ والقائلون هم المؤمنون؛ شكراً لله حين تم وعده لهم، وقد فتح الله أول الخلق بالحمد فقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [الأنعام:١]، وختم القيامة بالحمد في هذه الآية؛ للإيذان أن يحمد تعالى في أول كل أمر وخاتمته، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

سورة غافر

مكية بإجماع، وقد روي في بعض[1] آياتها أنها مدنية، وذلك ضعيف، والأول أصح، وآيها: خمس وثمانون آية، وحروفها: أربعة آلاف وتسع مئة وستون حرفاً، وكلمها: ألف ومئة وتسع وتسعون كلمة.

روى أنس عن النبي ﷺ: «أن الحواميمَ ديباجُ القرآن»[2]، ومعنى العبارة أنها خلت من الأحكام، وقصرت على المواعظ والزجر وطرق الآخرة محضاً، وأيضاً فهي قصار لا يلحق قارئها فيها سآمة.

وعن عبد الله بن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «من أراد أن يرتعَ في رياض مؤنقةٍ من الجنة، فليقرأ الحواميم»[3].

وعن ابن عباس قال: «لكل شيء لُباب، ولُباب القرآن الحواميم»[4].

---

(١) «بعض» ساقطة من «ت».

(٢) رواه أبو الشيخ، وأبو نعيم، والديلمي، كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٦٩). ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٦٣٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٧١)، عن ابن مسعود موقوفاً عليه من قوله.

(٣) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٦٩).

(٤) رواه القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص: ١٣٨).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١﴾.

[١] ﴿حمٓ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف[١]، وابن ذكوان عن ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بإمالة الحاء محضاً، وقرأ ورش عن نافع: بإمالتها بين اللفظين، واختلف عن أبي عمرو، فروي عنه بين اللفظين، والفتح، والوجهان صحيحان عنه، وقرأ الباقون، وهم: ابن كثير، وأبو جعفر، ويعقوب، وحفص عن عاصم، وقالون عن نافع، وهشام عن ابن عامر: بالفتح، وأبو جعفر: يقطع الحروف على أصله، وكذا اختلافهم في بقية الحواميم، وقد تقدم الكلام في الحروف المقطعة في أوائل السور، ويختص هذا المحل بقول آخر: أن هجاء (حُمَّ) بضم الحاء وشد الميم المفتوحة[٢][٣]؛ كأنه يقول: حتم الأمر[٤]، ووقع، وقال ابن عباس: «(الٓر) و(حمٓ) و(نٓ) هي حروف (الرحمن) مقطعة في سور»[٥]، وروي أنه

---

(١) «وخلف» ساقطة من «ت».

(٢) في «ش»: «مفتوحة».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٧٠ـ٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٣٥).

(٤) في «ت»: «حُمَّ الأرض».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٠)، وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٣)، والتعليق الآتي عند تفسير الآية (١) من سورة الشورى.

اسم الله الأعظم، أقسم بحلمه وملكه، وقيل: الأقرب هاهنا أن يقال: (حمٓ) اسم السورة.

* * *

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] فقوله: ﴿حمٓ﴾ مبتدأ، خبره ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ والتقدير: أن هذه السورة المسماة بحم تنزيلُ الكتاب من الله.

﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي لا مثل له ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بكل المعلومات.

* * *

﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿غَافِرِ﴾ أي: ساتر ﴿ٱلذَّنۢبِ﴾ للمؤمنين، والذنب: مأخوذ من الشيء الدنيء الرذل، ومنه ذَنَبُ كل شيء؛ أي: آخره ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ لهم؛ أي: التوبة، مصدر تاب يتوب توباً ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ للمشركين.

﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ أي: ذي التطول[١] والمن بكل نعمة، فلا خير إلا منه، فترتب في هذه الآية وعيد بين ضدين، وهكذا رحمة الله تغلب غضبه، وقال ابن عباس: «الطَّول: السعة والغنى»[٢]، ثم صدع بالتوحيد في قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وبالبعث والحشر في قوله: ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فيجازي المطيع والعاصي.

---

(١) «أي: ذي التطول» زيادة من «ت».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٦٤)، وانظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٥٤٦).

﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤ ﴾.

[٤] ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي: في دفعها بالباطل.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ بقولهم مرة: إنه سحر، ومرة: إنه قول الكهنة، ومرة: هو أساطير الأولين[١]، ومرة: إنما يعلمه بشر، وأشباه هذا، أما الجدال فيه لحل عقده، واستنباط حقائقه، وتقرير الحق فيه، فمن أعظم الطاعات.

روي أن رسول الله ﷺ سمع قوماً يتمارون فقال: «إنما هلكَ مَنْ كان قبلكم بهذا، ضربوا كتابَ الله بعضَه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدِّقُ بعضُه بعضاً، فلا تكذبوا بعضَه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فكِلوه إلى عالمه»[٢].

﴿ فَلَا يَغۡرُرۡكَ ﴾ يا محمد ﴿ تَقَلُّبُهُمۡ ﴾ تصرُّفهم للتجارة.

﴿ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾ فإنهم إن تمتعوا بزخارف الدنيا، فإنهم يعذبون في الآخرة.

* * *

---

(١) «الأولين» ساقطة من «ت».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٨٥)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٣٦٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٩٩٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٥٨)، من حديث عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾.

[٥] لأنهم كذبوك كما ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ نوحاً ﴿وَٱلْأَحْزَابُ﴾ الذين تحزبوا على أنبيائهم، وكفروا بهم ﴿مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد قوم نوح.

﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ﴾ كافرة ﴿بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ أي: ليقتلوه.

﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بالشرك، والباطل: ما كان فائت المعنى من كل وجه مع وجود الصورة، إما لانعدام الأهلية، أو لانعدام الحِلِّية(١)؛ كبيع الخمر وبيع الصبي.

﴿لِيُدْحِضُوا۟﴾ ليزيلوا ﴿بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ الإسلام.

﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بالإهلاك ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ فإنكم تمرون على آثارهم، وهذا تهديد لكفار مكة. قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (فَأَخَذْتُهُمْ) بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام(٢)، وقرأ يعقوب: (عِقَابِي) بإثبات الياء، والباقون بحذفها(٣).

* * *

(١) في «ت»: «المحلية».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٣٦).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٣٦).

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾.

[٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: العذاب ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ من قومك، كما حقت على الأمم المكذبة.

﴿أَنَّهُمْ﴾ أي: بأنهم ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ سكانها. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (كَلِمَاتُ رَبِّكَ) بألف بعد الميم على الجمع، والباقون: بغير ألف على التوحيد، وهي للجنس[١].

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾.

[٧] ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ من الحافين به، وهم الكَرُوبيُّون سادة الملائكة. قال ابن عباس: «حملةُ العرش ما بين كعبِ أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرةُ خمس مئة عام، وهم خشوع، لا يرفعون طرفهم، وهم أشد خوفاً من أهل السماء [السابعة، وكل أهل سماء أشدُّ خوفاً من أهل السماء][٢] التي دونها».

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٣٦-٣٧).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الملك الحي الذي لا يموت، سبوح قدوس رب الملائكة والروح.

روي أن حملة العرش ثمانية، فأربعة منهم يقولون: [سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على حكمك بعد علمك، وأربعة منهم يقولون][1]: سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك[2]، وكأنهم يرون ذنوب بني آدم.

وروي أن حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة يطوفون ويحمدون مسبحين بحمد ربهم[3] ﴿ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ تعالى أنه واحد[4] لا شريك له.

﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ يقولون:

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ أي: وسعتْ رحمتُك وعلمك كل شيء، ونصبه على التمييز.

﴿ فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ ﴾ دينَ الإسلام.

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».
(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٦١)، عن شهر بن حوشب.
ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٩٥٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٥٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٤)، عن هارون بن رئاب.
(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٦).
(٤) «واحد» زيادة من «ت».

﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ احفظهم عنه. قرأ رويس عن يعقوب بخلاف عنه: (وَقِهِمُ) بضم الهاء[1].

قال مطرف: أنصحُ عباد الله للمؤمنين الملائكةُ، وأغشُّ الخلقِ للمؤمنين هم الشياطين، وتلا هذه الآية[2].

* * *

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَـٰلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾.

[٨] ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ إياها.

﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ﴾ عطف على (هم) في (وَأَدْخِلْهُمْ)؛ أي: أدخل معهم هؤلاء؛ ليتم سرورهم.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يمتنع عليه مقدور ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فيما يفعله.

* * *

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ ادفعْ عنهم العقوبات يوم القيامة، والمعنى:

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٣٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/٣٥٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/٢٠٨)، وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٢٧٦).

وقهم ما يسوؤهم. قرأ رويس عن يعقوب: (وَقِهُمُ السَّيِّئَاتِ) بضم الهاء والميم، والباقون: بكسرهما[1].

﴿ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٍ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ حيث وجدوا بأعمال منقطعة نعيماً لا ينقطع.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ ﴾ عند دخولِ النار ورؤيتِهم أعمالَهم الخبيثةَ ومقتِهم أنفسَهم.

﴿ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ﴾ المعنى: أنه يقال لهم يوم القيامة: لمقتُ الله أنفسَكم حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأبون أشدُّ مما تمقتونها اليوم وأنتم في النار.

* * *

﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ ﴾ أي: إماتتين: الأولى: أن خلقوا في أصلاب آبائهم مواتاً، والثانية: عند انقضاء آجالهم.

﴿ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ ﴾ إحياءتين: الأولى: الخروج من البطن، والثانية: البعث يوم القيامة.

---

(١) انظر: المصادر السابقة.

﴿ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بكفرنا بالبعث .

﴿ فَهَلۡ﴾ لنا[1] .

﴿ إِلَىٰ خُرُوجٖ﴾ من النار والرجوع إلى الدنيا لنطيع ربنا[2] .

﴿ مِّن سَبِيلٖ﴾ طريق .

* * *

﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ .

[١٢] ﴿ذَٰلِكُم﴾ تعليل في المعنى ؛ أي : الذي أنتم فيه من العذاب ﴿ بِأَنَّهُۥٓ﴾ أي : بسبب أنكم ﴿ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ﴾ بالتوحيد ﴿ كَفَرۡتُمۡ﴾ وقلتم : ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾ [ص : ٥] .

﴿ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ﴾ معبودكم ﴿ تُؤۡمِنُواْ﴾ تصدقوا ذلك المشرك .

﴿ فَٱلۡحُكۡمُ﴾ اليوم بعذابكم وتخليدكم في النار ﴿ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ لا لتلك التي كنتم تشركونها معه في الألوهية ، والْعَلِيُّ الْكَبِيرُ صفتا مدح من صفاته تعالى .

* * *

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ .

[١٣] ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الدالةَ على وحدانيته .

---

(١) «لنا» ساقطة من «ت» .

(٢) «ربنا» زيادة من «ت» .

﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ﴾ أي: مطراً هو سبب الأرزاق.

﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ ﴾ يتعظ ﴿ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ يرجع عن الشرك.

* * *

﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ من الشرك.

﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ إخلاصكم.

* * *

﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ﴾ أي: رافع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة.

﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾ خالقه.

﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ ﴾ ينزل الوحي، سماه روحاً؛ لأنه تحيا به القلوب كما تحيا الأبدان بالأرواح ﴿ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ من قضائه ﴿ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ الأنبياء.

﴿ لِيُنذِرَ ﴾ قراءة العامة: بالغيب؛ أي: لينذر النبي بالوحي، وقرأ روح عن يعقوب من رواية زيد: (لِتُنْذِرَ) بالخطاب[١]؛ أي: لتنذر أنت يا محمد.

﴿ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ هو يوم القيامة؛ لأن الخلائق تلتقي فيه. قرأ نافع، وأبو جعفر بخلاف عن الثاني وعن قالون راوي الأول: (التَّلَاقِي)

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٨)، وذكرها ابن خالويه في «القراءات الشاذة» (ص: ١٣٢) عن ابن السَّمَيْفع.

و(التَّنَادِي) بإثبات الياء فيهما وصلاً، وأثبتها[1] ابن كثير ويعقوب فيهما وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون فيهما في الحالين[2].

* * *

﴿يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ﴾ خارجون من قبورهم في بَراز من الأرض، ينظرُهم البصر، لا تسترهم أَكَمَةٌ ولا غيرها، ونصب (يَوْمَ) على البدل من الأول، فهو نصب لمفعول ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في الدارين ﴿مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ﴾ من أعمالهم وأحوالهم، فبعد فناء الخلق يقول تعالى:

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ﴾ فلم يُجَبْ، فيجيب نفسه تعالى بقوله:

﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ الذي قهر الخلق بالموت.

* * *

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ﴾ يُجزى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

---

(١) في «ت»: «وأثبتهما».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٣٨ـ٣٩).

﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ بنقص الثواب وزيادة العقاب، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يحاسبهم في وقت واحد، فلا يشغله حساب عن حساب.

* * *

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ خوِّفهم ﴿يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ﴾ القيامة، سميت به؛ لأزفها؛ أي: قربها، نظيره: ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧]؛ أي: قربت القيامة.

﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ وذلك أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر ﴿كَٰظِمِينَ﴾ مكروبين.

﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ قريب ينفعهم ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ فيشفع لهم.

* * *

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ﴾ أي: خافية ﴿ٱلْأَعْيُنِ﴾ هي استراقُ النظر إلى محرم؛ كفعل أهل الريب ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ تضمره القلوب.

* * *

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ يحكم بالعدل.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ وهم الأصنام ﴿ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ﴾ لعجزهم. قرأ نافع، وهشام عن ابن عامر: (تَدْعُونَ) بالخطاب على معنى: قل لهم يا محمد: والذين تدعون أنتم، والباقون: بالغيب على ذكر الغائب.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ صفتان بَيَّنَ عُرُوَّ الأصنام عنهما، وهي عبارة عن الإدراك على إطلاقه.

***

﴿ ۞أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿ ۞أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ كعاد وثمود.

﴿ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ﴾ قرأ ابن عامر: (أَشَدَّ مِنْكُمْ) بالكاف، وكذا هو في المصحف الشامي، والباقون: بالهاء، وكذا هو في مصاحفهم[1].

﴿ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ المعنى: ألم يعتبروا بمن قبلهم؟ كانوا أشد منهم بأساً وأجساداً، وأحصن قصوراً، فكفروا.

﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ﴾ فأهلكهم.

﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ﴾ يدفع عنهم العذاب. قرأ ابن كثير: (وَاقِي)

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٠).

و(هَادِي) بإثبات الياء وقفاً، وروي ذلك عن يعقوب[1].

* * *

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ فكذبوهم.

﴿ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ ﴾ متمكن مما يريده.

﴿ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ وهذا كله وعيد لقريش.

* * *

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ثم ابتدأ تعالى قصة موسى ـ عليه السلام ـ مع فرعون وملئه، وهي قصة فيها للنبي ﷺ تسلية وأسوة، وفيها لقريش وعيد ومثال يخافون منه أن يحل بهم ما حل بأولئك من النقمة، وفيها وعد للمؤمنين بالنصر والظفر، فقال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ وهي المعجزات.

﴿ وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ برهان ظاهر.

* * *

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ ﴾ في أمر العصا.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٠ و٤٥).

﴿كَذَّابٌ﴾ في قوله: إنه رسول من الله، وخص هامان وقارون بالذكر؛ تنبيهاً على مكانهما من الكفر، ولكونهما أشهر رجال فرعون.

* * *

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ﴾ أي: أعيدوا القتل الذي كان أولاً عند مولد موسى عليه السلام.

﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ عبارة وجيزة تعطي قوتها أن هؤلاء الثلاثة لم يقدرهم الله تعالى على قتل أحد من بني إسرائيل، ولا نجحت لهم فيه سعاية، بل أضل الله سعيهم وكيدهم.

* * *

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لقومه: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ لأنهم كانوا يكفونه عن قتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ الذي يزعم أنه أرسله، هل يمنعه من القتل؟

﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ يغير ما أنتم عليه ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ فساد دينكم ودنياكم بما يحدث عليكم(١) بسبب إيمانكم من قتل وغيره. قرأ ابن كثير: (ذَرُونِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها، [وقرأ

---

(١) في «ت»: «منكم».

نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّيَ أَخَافُ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1]][2]، وقرأ الكوفيون ويعقوب: (أَوْ أَنْ) بزيادة ألف مفتوحة قبل الواو، وبإسكان الواو، وكذلك هي في مصاحف الكوفة، وقرأ الباقون: بالواو مفتوحة ليس قبلها ألف، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (يُظْهِرَ) بضم الياء وكسر الهاء (الفَسَادَ) بالنصب مفعولاً؛ أي: يحدث موسى الفساد، وقرأ الباقون: بفتح الياء والهاء (الفَسَادُ) بالرفع فاعلاً[3]، فصار حفص عن عاصم ويعقوب على أصل واحد، وهو زيادة الألف قبل الواو، وضم الياء من (يُظْهِرَ) ونصب (الفَسَادَ)، ونافع، وأبو جعفر وأبو عمرو على أصل، وهو إسقاط الألف وضم الياء من (يُظْهِرَ) ونصب (الفَسَادَ)، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم على أصل، وهو زيادة الألف قبل الواو، وفتح الياء من (يَظْهَرَ) ورفع (الفَسَادُ)، وابن كثير، وابن عامر على أصل، وهو إسقاط الألف، وفتح الياء من (يَظْهَرَ)، ورفع (الفَسَادُ)، فعلى القراءة بالواو وبغير ألف قبلها: خاف عليهم تبديل دينهم والفساد، وعلى القراءة بالألف قبل الواو: خاف عليهم تبديل دينهم.

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤١).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤١-٤٢).

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ ﴾ لما سمع قولَ فرعون: ﴿ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ لجهله. قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: (عُذتُّ) بإدغام الذال في التاء، والباقون: بالإظهار، بخلاف عن أبي جعفر[١].

* * *

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ وهو ابن عمه، واسمه خربيل، وقيل غيره، وهو الذي حكى الله عنه: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾ [القصص: ٢٠]، وكان قد آمن بموسى وهو ﴿ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ حكى ابن عطية في «تفسيره»[٢] عن أبيه: أنه سمع أبا الفضل ابن الجوهري على المنبر يقول وقد سئل أن يتكلم في شيء من فضائل الصحابة، فأطرق قليلاً، ثم رفع رأسه فقال:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٢).

(٢) في «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٥٥).

عَنِ المرءِ لا تسألْ وسَلْ عن قرينهِ   فكلُّ قـريـنٍ بـالمقـارنِ يقتـدي

ماذا ترون من قوم قرنهم الله تعالى بنبيه، وخصهم بمشاهدته، وتلقي الوحي منه، وقد أثنى الله ـ عز وجل ـ على رجل مؤمن من آل فرعون كتم إيمانه وأسره، فجعله تعالى في كتابه، وأثبت ذكره في المصاحف لكلامٍ قاله في مجلس من مجالس الكفر، وأين هو من عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إذ جرد سيفه بمكة وقال: والله لا أعبد الله سراً بعد هذا اليوم، انتهى.

﴿أَتَقْتُلُونَ﴾ ظلماً بلا دليل ﴿رَجُلًا أَن﴾ أي: لأن.

﴿يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: بما يدل على صدقه، ثم فصل شأن موسى بقوله:

﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ أي: ضرر كذبه. قرأ أبو عمرو: (وَإِنْ يَك كَّاذِباً) بإدغام الكاف في الكاف، وقرأ الباقون: بالإظهار[1]؛ لنقصان الحرفين بعدها[2] من الكلمة مع قلة حروفها.

﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ به من العذاب عاجلاً، وبذلك المقدار تهلكون.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ على الله.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٣).

(٢) «بعدها» زيادة من «ت».

﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ثم استعطفهم بقوله: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: غالبين في أرض مصر.

﴿ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ ﴾ يمنعنا من عذابه.

﴿ إِن جَآءَنَاۚ ﴾ إذا قتلتم أولياءه.

فثَمَّ ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ﴾ إضراباً عن مجادلة المؤمن انقطاعاً لقومه:

﴿ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾ أي: ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي، وهو قتل موسى.

﴿ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ ﴾ أدعوكم ﴿ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ طريقَ الفلاح.

* * *

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ﴾ أي: أيام ﴿ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴾ لأنه كان لكل حزب يوم. وتقدم اختلاف القراء في فتح الياء وإسكانها من (إِنِّي أَخَافُ).

* * *

﴿ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ مِثۡلَ دَأۡبِ ﴾ عطف بيان لـ(مثل) قيل: أي: مثل عادة.

﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ﴾ كقوم لوط، المعنى: أخاف عليكم مثل جزاء عادة من كفر قبلكم أن يحل بكم مثلهم.

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ لأنه عادل، فلا يهلكهم قبل ثبوت الحجة عليهم، وهذا أبلغ من قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]؛ لأنه نفى إرادة ظلمٍ ما. قرأ أبو عمرو: (يُرِيد ظُّلْماً) بإدغام الدال في الظاء[١].

* * *

﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢﴾.

[٣٢] ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ يومَ ينادي الناس بعضُهم بعضاً في القيامة، وهو يوم الأعراف، فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار، وبالعكس، وينادى: ألا إن فلانَ بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، [وأن فلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً][٢]، وينادى حين يُذبح الموت: يا أهل الجنة! خلود فلا موت، ويا أهل النار! خلود فلا موت. قرأ ابن عامر: (يَوْمَ التَّنَادِّ) بتشديد الدال؛ أي: يوم التنافر، وذلك أنهم هربوا، فندوا في الأرض كما تندُّ الإبل إذا شردت عن أربابها، قاله البغوي[٣].

* * *

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٤).

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) في «تفسيره» (٤/ ٤٢)، والقراءة عنده وعند ابن جني في «المحتسب» (٢/ ٢٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٤) ذكرت عن ابن عباس.

﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ﴾ منصرفين عن موقف الحساب إلى النار، وقيل: هاربين من النار إذا لفحهم زفيرها.

﴿ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: من عذابه ﴿ مِنْ عَاصِمٍۗ ﴾ مانع.

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ وتقدم اختلاف القراء في الوقف على الياء من (التَّنَادِي) و(هَادِي).

* * *

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ ﴾ وهو ابن يعقوب ـ عليهما السلام ـ، بعث إلى القبط ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل موسى ـ عليه السلام ـ ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالدلالات على صدقه، وهو قوله: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩].

﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ ﴾ من الدين.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ ﴾ مات ﴿ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ ﴾ أي: أقمتم على كفركم، وظننتم أن الله لا يجدد عليكم الحجة، فلم تزالوا كافرين بيوسف وغيره.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: كهذا الإضلال ﴿ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ ﴾ في الأمور، متعدٍّ الطورَ ﴿ مُّرْتَابٌ ﴾ شاكٌّ؛ لغلبة الوهم، والانهماك في التقليد.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ثم أنحى لهم على قوم صفتُهم موجودة في قوم فرعون، فكأنه أرادهم، فزال عن مخاطبتهم حسنَ أدب واستجلاباً، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ بالإبطال لها والرد ﴿ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ ﴾ برهان.

﴿ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ ﴾ جدالُهم ﴿ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ ﴾ يختم ويحجب عن الهدى ﴿ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن عامر بخلاف عنه: (قَلْبٍ) بالتنوين (مُتَكَبِّرٍ) صفته، نسب الكبر إلى القلب، والمراد: صاحبُه، وقرأ الباقون: بغير تنوين بإضافة (قَلْبِ) إلى (مُتَكَبِّرٍ)(١)، ومتى تكبر القلب، تكبر صاحبه، وبالعكس.

* * *

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ لوزيره: ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا ﴾ بناء ظاهراً عالياً لا يخفى على الناظر وإن بعد، وأصلُه من التصريح، وهو الإظهار.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٥).

﴿ لَعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴾ ما أتوصل به إلى نيل مرادي. قرأ الكوفيون ويعقوب: (لَعَلِّي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[1].

* * *

﴿ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ طرقها وأبوابها ﴿ فَأَطَّلِعَ ﴾ قرأ حفصٌ عن عاصم: (فَأَطَّلِعَ) بنصب العين على جواب (لعل)، لأنها هنا بمعنى التمني، وقرأ الباقون: برفعها عطفاً على (أَبْلُغُ)[2]، المعنى: لعلي أبلغ ما يوصلني إلى السماء، فأطلع ﴿ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ لأنظر ما هو.

﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ ﴾ يعني: موسى ﴿ كَٰذِبٗا ﴾ في أن له إلهاً غيري، قال فرعون ذلك تمويهاً، وتقدم ذكر قصة الصرح في سورة القصص.

﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ ﴾ قرأ الكوفيون، ويعقوب: (وَصُدَّ) بضم الصاد مجهولاً نسقاً على قوله (زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ)[3]، قال ابن

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٦). وذكر البغوي أن قراءة (فأطلعَ) بالنصب، هي قراءة حميد الأعرج أيضاً.

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٧).

عباس: «صدَّه اللهُ عن سبيل الهدى»[1]، وقرأ الباقون: بالفتح معلوماً؛ أي: صَدَّ فرعونُ الناسَ ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ سبيلِ الرشاد.

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ في إبطال آيات موسى.

﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ هلاك وخسران.

* * *

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ طريق الهدى. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون عن نافع: (اتَّبِعُونِي) بإثبات الياء وصلاً، وقرأ ابن كثير ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين[2].

* * *

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ تُمتعون بها يسيراً، ثم تزول.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٤).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٧ـ٤٨).

﴿وَإِنَّ ٱلْأَخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ الإقامة، فليُعْتَدَّ لها.

***

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] لأنه ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ وهو النار إن لم يتب.

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ والصالح: الطاعات.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رزقاً واسعاً بلا تبعة.

قرأ نافع، وابن عامر[١]، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (يَدْخُلُونَ) بفتح الياء وضم الخاء، وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح الخاء[٢].

***

﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ من النار بالتوحيد. قرأ الكوفيون، ويعقوب، وابن ذكوان عن ابن عامر: (مَا لِي) بإسكان الياء،

---

(١) «وابن عامر» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٨-٤٩).

والباقون: بفتحها[١]، وأبو عمرو يدغم الميم في الميم من (يَا قَوْم مَّا لِي)[٢] ﴿وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ بالإشراك، كرر نداءهم؛ إيقاظاً لهم عن سنة الغفلة، ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه.

* * *

﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ثم فسر فقال: ﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ بربوبيته.

﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ﴾ في انتقامه ممن كفر.

﴿ٱلْغَفَّٰرِ﴾ لذنوب أهل التوحيد. قرأ نافع، وأبو جعفر: (وَأَنَا أَدْعُوكُمْ) بالمد[٣].

* * *

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿لَا جَرَمَ﴾ قرأ حمزة: (لَآ جَرَمَ) بالمد بحيث لا يبلغ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٩).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٩).

الإشباع[١]، يعني: حقاً ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ لأعبده.

﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ إلى نفسه قط بالعبادة.

﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ لعجزه.

﴿وَلَا فِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ ينتفع بها.

﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فيجازي كلاً بما يستحقه.

﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ ملازموها.

* * *

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ (٤٤)﴾.

[٤٤] ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ إذا نزل بكم العذاب ﴿مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ﴾ من النصيحة، فثَمَّ توعدوه لمخالفته دينَهم، فقال:

﴿وَأُفَوِّضُ﴾ أردُّ ﴿أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ معتمداً عليه. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (أَمْرِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ يعلم المحق من المبطل.

* * *

(١) انظر: المصدرين السابقين.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥٠).

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ .

[٤٥] ثم خرج المؤمن من بينهم، فقصدوا قتله.

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ به، فنجا مع موسى.

﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ الغرقُ في الدنيا، والنار في الآخرة.

* * *

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ .

[٤٦] وذلك قوله: ﴿ٱلنَّارُ﴾ وهي رفع على البدل من (سُوءُ الْعَذَابِ).

﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: يُحرقون بها نحو: عُرِض القوم على السيف؛ أي: قتلوا به.

﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ صباحاً ومساءً.

قال ابن مسعود: «أرواحُ آلِ فرعونَ في أجوافِ طيرٍ سود يُعرضون على النار كلَّ يوم مرتين حتى تقوم الساعة»(١).

ثم أخبر عن مستقرهم يوم القيامة فقال:

---

(١) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ١٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٦٧). ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤١٦٠)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٩٥) عن الهذيل بن شرحبيل.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بوصل همزة (ادْخُلُوا) وضم الخاء، ويبتدئون بضم الهمزة؛ من الدخول؛ أي: يقال لهم: ادخلوا يا آلَ فرعون، فـ (يا) محذوفة، وقرأ الباقون: (أَدْخِلُوا) بقطع الهمزة مفتوحة في الحالين، وكسر الخاء؛ من الإدخال[1]؛ أي: يقال للملائكة: أدخِلوا ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾.

﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ فيعاد عليهم الإحراق مرة بعد مرة دائماً.

* * *

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ﴾ أي: اذكر يا محمد لقومك وقتَ تخاصمهم.

﴿فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ في القدر والمنزلة في الدنيا.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ وهم أشراف الكفار وكبراؤهم، ولم يصفهم بالكبر إلا من حيث استكبروا، لا أنهم في أنفسهم كبراء ولو كانوا كذلك في أنفسهم، لكانت صفتهم الكبر أو نحوه مما يوجب الصفة لهم.

﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمعٌ واحدُه تابع؛ أي: كنا نطيعكم في الدنيا.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبًا﴾ جزءاً ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾؟

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥٠-٥١).

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ﴾ تنوينُه عوضٌ من المضاف إليه؛ أي: نحن وأنتم جميعاً ﴿فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ فأدخل المؤمن الجنة، والكافر النار.

* * *

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ﴾ حين اشتدت عليهم.

﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ﴾ شافعين لنا ﴿يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ أي: قدر يوم ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: شيئاً منه.

* * *

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: الخزنة؛ توبيخاً: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ قرأ أبو عمرو: (رُسْلُكُمْ) (رُسْلنا) حيث وقع بإسكان السين، والباقون: بضمها[١].

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥١-٥٢).

﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ﴾ لهم تهكماً بهم: ﴿فَٱدْعُواْ﴾ أنتم؛ فإنا لا نشفع لكافر، ثم قال تعالى:

﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ هلاك؛ لأنه لا ينفعهم.

* * *

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ (٥١)﴾.

[٥١] ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على أعدائهم.

﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بثبوت حجتهم.

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ جمع شاهد، وهم الحفظة، يقومون يوم القيامة، فيشهدون للرسل بالبلاغ، وعلى الكفار بالتكذيب.

* * *

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ (٥٢)﴾.

[٥٢] ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ قرأ نافع والكوفيون: (يَنْفَعُ) بالياء على التذكير؛ لأن المعذرة والعذر واحد، وقرأ الباقون: بالتاء على التأنيث؛ لتأنيث المعذرة[١]، المعنى: لو اعتذروا، لم يقبل عذرهم.

﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ البعدُ من الرحمة.

﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ الآخرة، وهو شدة عذابها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٩٠).

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

[٥٣] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ النبوة والحكمة، والتوراة تعم جميع ذلك .

﴿ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ من بعد موسى .

﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ وهي عبارة عن أن طوائف بني إسرائيل قرناً بعد قرن تصير فيهم التوراة إماماً، فكان بعضهم يرثها عن[١] بعض .

* * *

﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

[٥٤] ﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ ﴾ إرشاداً وتذكرة .

﴿ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ دون الأعمار الذين لا يعقلون .

* * *

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

[٥٥] ﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ يا محمد على أذاهم .

﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ بنصر أوليائه وقهر أعدائه، فكما نصر موسى وأبقى التوراة في بني إسرائيل، فكذلك ينصرك ويبقي آثارك في أتباعك .

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ ليُستن بك ﴿ وَسَبِّحْ ﴾ صلِّ[٢] .

---

(١) في «ت»: «على».

(٢) «صلِّ» زيادة من «ت».

﴿ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴾ الصلوات الخمس، وقيل: صلاة الفجر والعصر.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ونزل في اليهود لما قالوا للنبي ﷺ: إن صاحبنا المسيح ابن داود ـ يعنون: الدجال ـ يخرج في آخر الزمان، فيبلغ سلطانه البر والبحر، ويسير معه الأنهار، ويرد الملك إلينا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ ﴾[١] برهان ﴿ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ ﴾ ما في قلوبهم ﴿ إِلَّا كِبْرٌ ﴾ أي: تكبر وتعاظم ﴿ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ ۚ ﴾ لأن الله مُذِلُّهم، فليسوا بمدركي مقتضاه.

﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ ﴾ فالتجىء إليه من فتنة الدجال.

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ لأقوالكم وأفعالكم.

وتقدم ذكر ما ورد في الدجال في آخر تفسير سورة الكهف.

* * *

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٦٨)، وزاد نسبته السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٩٤) لعبد بن حميد وقال: بسند صحيح عن أبي العالية، وذكر ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨٥) نحوه، وقال: هذا قول غريب، وفيه تعسف بعيد، وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه، والله أعلم.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

[٥٧] ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ابتداءً.

﴿أَكْبَرُ﴾ أعظمُ في الصدور.

﴿مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ مرة ثانية، وهي الإعادة.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ الكفار.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، ولا توحيده تعالى، وهو توبيخ للكفار.

* * *

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ هو الجاهل ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ هو العالم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وهم المحسنون ﴿وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾ اسم جنس يعم المسيئين، و(لا) زائدة؛ لأنه في مقابلة المؤمنين.

﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: تذكراً (ما) قليلاً يتذكرون، والضمير للناس أو للكفار. قرأ الكوفيون: (تَتَذَكَّرُونَ) بتاءين على الخطاب، وقرأ الباقون: بالغيب[1]؛ لأن أول الآيات وآخرها خبر عن قوم.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٥).

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

[٥٩] [﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ القيامة.

﴿لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ لا شك في مجيئها][١].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يصدقون بها.

* * *

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

[٦٠] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ﴾ اعبدوني. قرأ ابن كثير: (ادْعُونِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٢]، وأبو عمرو يدغم اللام في الراء، وكذلك في قوله (وَقَال رَّجُلٌ) وشبهه حيث وقع[٣] ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أُثِبْكم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ صاغرين. قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وأبو بكر عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (سَيُدْخَلُونَ) بضم الياء وفتح الخاء مجهولاً، وقرأ الباقون: بفتح الياء وضم الخاء معلوماً[٤]، وقيل: الدعاء هو الذكر والسؤال.

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥٤).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥٤).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥١-٥٢)، =

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ لم يدعُ الله، غضبَ عليه»[1].

* * *

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ ﴾ لتستقروا ﴿ فِيهِ ﴾ بأن خلقه بارداً مظلماً؛ ليؤدي إلى ضعف المحركات وهدوء الحواس.

﴿ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ ﴾ يبصر فيه، وإسناد البصر إليه مجازي.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ وتنكيره الفضل يؤذن بكثرة فضله تعالى، وشياعه في كل فضل.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ لجهلهم بالمنعم، وفي تكرير (الناس) توبيخ لهم.

* * *

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ الذي لا يشارك.

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥٤ـ٥٥).

(١) رواه الترمذي (٣٣٧٣)، كتاب: الدعوات، باب: (٢)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، كتاب: الدعاء، باب: فضل الدعاء.

﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان؟

* * *

﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

[٦٣] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما أُفِكْتُم عن الحق مع قيام الدلائل، كذلك.

﴿يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ولم يتأملوها.

* * *

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ سقفاً كالقبة.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ قال ابن عباس: «خلق ابن آدم قائماً معتدلاً، يأكل ويتناول بيده، وغيرُ ابن آدم يتناول بفيه»[١].

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ اللذائذ غير رزق البهائم.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فإن كل ما سواه مربوب.

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٢).

﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

[٦٥] ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ ﴾ الذي لا يموت .

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ إذ لا موجود يساويه .

﴿ فَٱدْعُوهُ ﴾ فاعبدوه ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ من الشرك .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ هو إخبار، وفيه إضمار الأمر، مجازه: فادعوه واحْمَدوه .

* * *

﴿ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

[٦٦] ولما طلب الكفار منه ﷺ عبادة الأوثان، نزل: ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ ﴾[١] تعبدون ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ دلائل التوحيد ﴿ مِن رَّبِّى ﴾ وإن كان منهياً عن عبادتها أبداً عقلاً، فهو مع البينات آكد، ويجوز أنه نهي له ﷺ، والمراد غيره، يوضحه:

﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ لأنه كان مسلماً .

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٣).

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾.

[٦٧] ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أي: أطفالاً، وتعلق (لِتَبْلُغُوا) بمحذوف تقديره: يُبقيكم.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ تكامُلَ قوتكم، وكذلك.

﴿ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًاۚ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وابن ذكوان عن ابن عامر: (شِيُوخاً) بكسر الشين، والباقون: بضمها(١).

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُۖ﴾ من قبل الأَشُدّ، ومن قبل أن يصير شيخاً، يفعل ذلك بكم لتعيشوا.

﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ وقتاً محدداً، وهو وقت الموت.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ دلائل التوحيد، فتؤمنون.

* * *

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٦٨﴾.

[٦٨] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أراده.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥٦).

﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ عقب الإرادة بلا إباء. قرأ ابن عامر: (فَيَكُونَ) بنصب النون، والباقون: بالرفع[1].

* * *

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ۝٦٩﴾.

[٦٩] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآن، يقولون: ليس من عند الله ﴿ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ عن التصديق به؟!

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٧٠﴾.

[٧٠] ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن.

﴿ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ من سائر الكتب.

﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ جزاء تكذيبهم.

* * *

﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١﴾.

[٧١] ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ ﴾ (إِذْ) ظرف زمان ماض بمعنى الاستقبال؛ لأن مستقبل فعله تعالى كالماضي في تحققه لـ (يعلمون) ﴿ وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ عطف على (الأَغْلالُ)، فالخبر: (في أعناقهم).

﴿ يُسْحَبُونَ﴾ بها.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥٧).

﴿فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ۝٧٢﴾.

[٧٢] ﴿فِي ٱلۡحَمِيمِ﴾ أي: يُجرون بالسلاسل[١]، ويجرونها في جهنم ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ﴾ بعد جر السلاسل ﴿يُسۡجَرُونَ﴾ يوقدون، فيصيرون سجار جهنم[٢].

* * *

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ۝٧٣﴾.

[٧٣] ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ﴾ بعد الإحراق تبكيتاً: ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾.

* * *

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧٤﴾.

[٧٤] ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهي الأصنام ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلم نرهم، وذلك قبل أن يقرن بهم آلهتهم.

﴿بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗا﴾ أي: تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئاً ينفع ويضر.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما أضل هؤلاء.

﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ حتى لا يهتدوا.

* * *

---

(١) «يجرون بالسلاسل» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «النار».

﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

[٧٥] ﴿ ذَٰلِكُم ﴾ العذاب الذي نزل بكم .

﴿ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ تبطرون وتتكبرون .

﴿ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ وهو الشرك والطغيان .

﴿ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ تتوسعون في الفرح وتختالون .

* * *

﴿ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

[٧٦] ﴿ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ ﴾ السبعة المقسومة لكم .

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ حال مقدرة أي : مقدرين الخلود فيها .

﴿ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ ولم يقل : فبئس مدخل ؛ للإعلام أن الغرض من الدخول الإقامة .

* * *

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

[٧٧] ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾ بنصرك ﴿ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾ من العذاب وهو القتل والأسر ﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل حلول العذاب بهم .

﴿ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ يوم القيامة ، فنعذبهم أشد العذاب . قرأ يعقوب :

(يَرْجِعُونَ) بفتح الياء وكسر الجيم، والباقون: بضم الياء وفتح الجيم[1].

* * *

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ ﴾ خبرَهم في القرآن.

﴿ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ لم نذكر لك خبرهم.

روي أن عدد الأنبياء مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً[2].

وروي أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس[3].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٦٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٧١)، من حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ، قال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٥٩): ومداره على علي بن يزيد، وهو ضعيف. ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه في حديث طويل، وفيه أن عددهم: «مئة ألف وعشرون ألفاً».

(٣) رواه أبو يعلى في «المسند» (٤١٣٢). من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ. قال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢١٠): فيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف جداً. وانظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٨٧).

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: «أن الله تعالى بعث نبياً أسود، وهو ممن لم يقصص الله عليه»(١).

وتقدم في سورة البقرة أسماء الأنبياء الذين ذكروا في القرآن بأسمائهم، والذين أشير إليهم.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾ تُقترح عليه.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فإنهم عبيد مربوبون.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ بنزول العذاب على الكفار ﴿قُضِىَ﴾ بين الرسل عليهم السلام ومكذبيهم ﴿بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾ ثَمَّ ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ المعاندون بعد ظهور الآيات المغنية عما يقترحون. واختلاف القراء في الهمزتين من (جَاءَ أَمْرُ اللهِ) كاختلافهم فيهما من ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ﴾ في سورة الحج [الآية: ٦٥].

* * *

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

[٧٩] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ هي الأزواج الثمانية المذكورة في سورة الأنعام ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا﴾ بعضاً؛ كالإبل ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ كالغنم والبقر، فـ(منها) الأولى للتبعيض؛ لأن المركوب ليس من الأنعام، بل من

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤١٩). وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٢٢٢).

الإبل خاصة، و(منها) الثانية لبيان الجنس؛ لأن الجميع منها يؤكل.

* * *

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ ﴾ في أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها.

﴿ وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ ﴾ تحمل أثقالكم من بلد إلى بلد.

﴿ وَعَلَيْهَا ﴾ أي: على الإبل في البر[١] ﴿ وَعَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾ في البحر ﴿ تُحْمَلُونَ ﴾ نظيره قوله: ﴿ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

* * *

﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ دلائلَ قدرته ﴿ فَأَىَّ ﴾ أي: أيَّ آيةٍ من.

﴿ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ فإنها لظهورها لا تقبل الإنكار.

* * *

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ ﴾ من الأمم السالفة.

---

(١) «في البر» زيادة من «ت».

﴿ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ ﴾ عدداً .

﴿ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ من المصانع والقصور .

﴿ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم ﴾ لم ينفعهم ﴿ مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ حين جاءهم عذاب الله ، و(ما) الأولى نافية ، والثانية موصولة .

* * *

﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

[٨٣] ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ وهو قولهم : نحن أعلم ، لن نبعث ، ولن نعذب ، سمي ذلك علماً على ما يزعمونه على طريق التهكم .

﴿ وَحَاقَ ﴾ نزل ﴿ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ أي : جزاء استهزائهم .

* * *

﴿ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

[٨٤] ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا ﴾ شدةَ عذابنا ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ بألسنتهم دون قلوبهم :

﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴾ أي : تبرأنا مما كنا نعدل بالله .

* * *

﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

[٨٥] [﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ ﴾][١] لامتناع قبوله حينئذ .

﴿ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ ﴾ ونصب (سُنَّتَ) مصدر مؤكد؛ أي: سن الله ذلك سنة ماضية في العباد أن الإيمان وقت نزول العذاب لا ينفع، و(سنت) رسمت بالتاء في خمسة مواضع، وقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي[٢].

﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ اسم مكان استعير للزمان؛ فإن قوله: (هُنَالِكَ) إشارة إلى أوقات العذاب؛ أي: ظهر خسرانهم، وحضر جزاء كفرهم، والله أعلم.

* * *

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥٩).

سورة فصلت

وتسمى: المصابيح، وهي مكية بإجماع من المفسرين، وآيها: أربع وخمسون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وثلاث مئة وخمسون حرفاً، وكلمها: سبع مئة وست وسبعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿حمٓ﴾ تقدم الكلام في مذاهب القراء، وتفسير (حم) أول سورة غافر، فعلى القول المتقدم بأن (حمٓ) اسم للسورة، يكون مبتدأ.

* * *

﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾.

[٢] خبره ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ صفتا رجاء ورحمة لله.

* * *

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿كِتَٰبٌ﴾ بدل من (تَنزِيلٌ)، أو خبر بعد خبر ﴿فُصِّلَتْ﴾ بُينت ﴿ءَايَٰتُهُۥ﴾ بالأحكام والقصص والمواعظ.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على الاختصاص والمدح؛ أي: أريد بهذا الكتاب المفصل قرآناً من صفته كيت وكيت.

﴿لِّقَوْمٍ﴾ عرب ﴿يَعْلَمُونَ﴾ أنه منزل[1] بلغتهم فيفهمونه.

* * *

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿بَشِيرًا﴾ للعالمين به ﴿وَنَذِيرًا﴾ للمخالفين له، وهما نعتان للقرآن.

﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ عن قبوله.

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ السماعَ النافعَ الذي يُعتد به سمعاً.

* * *

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿وَقَالُوا﴾ يعني: المشركين.

﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ أغطية، جمع كِنان.

﴿مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ فلا نفقه ما تقول.

﴿وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ ثقل[2]، فلا نسمع ما تقول، وإنما قالوا ذلك؛ لِيُؤْيِسُوه من قبولهم لدينه، وهو على التمثيل. قرأ الدوري عن الكسائي: (آذَانِنَا) و(آذَانِهِمْ) بإمالة فتحة الذال حيث وقع[3].

---

(١) في «ت»: «نزل».

(٢) «ثقل» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٦٣).

﴿ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ ﴾ أي: خلاف في الدين، فلا نلتفت إلى إنذارك، ولا نؤمن بك ﴿ فَٱعۡمَلۡ ﴾ يا محمد في هلاكنا ﴿ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ في مثل ذلك، وقيل: فاعمل أنت على دينك، إننا عاملون على ديننا.

* * *

﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ ﴾ لست ملكاً ولا جنياً.

﴿ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ ولولا الوحي ما دعوتكم.

﴿ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ ﴾ تعالى؛ أي: توجهوا إليه بالطاعة، ولا تعدلوا عنه إلى عبادة غيره ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ ﴾ من ذنوبكم ﴿ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴾.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٧ ﴾.

[٧] صفتهم ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ لا يقولون: لا إله إلا الله، وهي زكاة الأنفس، فلا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد.

﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ وأعاد الضمير في قوله: (هم) تأكيداً.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾ لا[١] مقطوع ولا منقوص.

---

(١) «لا»: ساقطة من «ت».

﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ الأحد والإثنين.

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب: (أَئِنَّكُمْ) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء، وفصل بين الهمزتين بألف: أبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون، واختلف عن هشام، وقرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: بتحقيق الهمزتين(١) ﴿ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ﴾ أشباهاً وأمثالاً.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ خالق الأرض ﴿ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الذي خلق جميع الموجودات.

* * *

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا ﴾ أي: في الأرض.

﴿ رَوَٰسِىَ ﴾ أي: جبالاً(٢) ثوابت.

﴿ مِن فَوْقِهَا ﴾ من فوق الأرض مرتفعة عليها ﴿ وَبَٰرَكَ فِيهَا ﴾ بما خلق من المياه والزروع والضروع ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا ﴾ أي: قسم في الأرض الأرزاق

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٧٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٦٤).

(٢) «جبالاً» زيادة من «ت».

بقدر الحاجة ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ أي: تتمة أربعة أيام، المعنى: خلق الأرض في يومين: الأحد والإثنين، وقدر الأقوات في الثلاثاء والأربعاء، فهما مع اليومين المتقدمين أربعة أيام ﴿سَوَآءٗ﴾ قرأ أبو جعفر، (سَوَاءٌ) بالرفع على الابتداء؛ أي: هي سواء، وقرأ يعقوب: (سَوَاءٍ) بالكسر صفة لأيام، وقرأ الباقون: بالنصب على المصدر(١)؛ أي: استوت سواء واستواء، ومعناه: سواء ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ عن خلقها بما فيها.

* * *

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾.

[١١] ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ عمد إلى خلقها.

﴿وَهِيَ دُخَانٞ﴾ روي أن العرش كان قبل خلق السماء والأرض على الماء، فارتفع من ذلك الماء بخار فسمي دخاناً، فأيبس الله تعالى الماء فجعله أرضاً، ثم فتقها أرضين، ثم خلق من ذلك البخار السماءَ.

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا﴾ أي: كونا كما أردتُ.

﴿طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾ مصدران في موضع الحال.

قال ابن عباس: «قال تعالى للسماء: أخرجي شمسك ونجومك، وللأرض: شقي أنهارك وأخرجي ثمرك ونباتك، فإن فعلتما ذلك طوعاً، وإلا ألجأتكما أن تفعلاه كرهاً»(٢).

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٦٤_٦٥).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٣)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» =

﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا﴾ بمن فينا ﴿طَآئِعِينَ﴾ حال.

* * *

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾.

[١٢] فلما وصفهما بالقول، أجراهما في الجمع مجرى من يعقل ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ أتمهن؛ يعني: السموات ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ الخميس والجمعة، وفرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها ـ أي: تلك الساعة ـ خلق آدم، وفيها تقوم الساعة، وسمي بالجمعة؛ لاجتماع المخلوقات فيه، وتكاملها، ولما لم يخلق الله تعالى يوم السبت شيئاً، امتنع بنو إسرائيل من الشغل فيه.

قال ابن عطية(١): والظاهر من القصص في طينة آدم: أن الجمعة التي خلق فيها آدم قد تقدمتها أيام وجمع كثيرة، وأن هذه الأيام التي خلق الله فيها المخلوقات هي أول الأيام؛ لأن بإيجاد الأرض والسماء والشمس والقمر وجد اليوم ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ أي: ما أمر به فيها.

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ كواكب ﴿وَحِفۡظٗاۚ﴾ نصب بمصدر محذوف؛ أي: وحفظناها حفظاً من استراق السمع والشهب الصادرة عن الكواكب.

﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ البالغ في القدرة والعلم.

= (٧/ ٣١٦) إلى ابن المنذر، والبيهقي في «الأسماء والصفات».

(١) في «المحرر الوجيز» (٥/ ٥).

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ ﴾ كفار مكة عما جئتهم به ﴿ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ ﴾ خوفتكم.

﴿ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ لأنكم تمرون على آثارهم إذا سافرتم إلى الشام، والصاعقة: المهلكة من كل شيء.

***

﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ﴾ ظرف لـ(أَنْذَرْتُكُمْ)؛ أي: إن كذبتم، يحل بكم ما حل بهم حين جاءتهم ﴿ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أي: من كل جانب ﴿ أَلَّا ﴾ أي: بأن لا ﴿ تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾.

فثَمَّ ﴿ قَالُواْ ﴾ استخفافاً برسلهم: ﴿ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا ﴾ هدايتنا ﴿ لَأَنزَلَ ﴾ بدلَ هؤلاء الرسل ﴿ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ فآمنا بهم.

﴿ فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ لأنكم بشر مثلنا، لا مزية لكم علينا.

لطيفة(١):

روي أن عتبة بن ربيعة قال لقريش: أنا أستخبر لكم محمداً، وكان قد قرأ الكتب، وتعلم الكتابة والكهانة، فجاء إلى النبي ﷺ، فقال: أنت يا محمد خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطلب؟ أنت خير أم عبد الله؟ تشتم آلهتنا وتضللنا، فإن كنت تريد الرياسة، عقدنا لك اللواء، فكنت

---

(١) «لطيفة» ساقطة من «ت».

رئيسنا، وإن تك بك الباءة، زوجناك عشر نسوة، تختار من أي بنات قريش شئت، وإن كان بك حب المال، جمعنا لك ما تستغني به، ورسول الله ﷺ ساكت، فلما فرغ قال: «بسم الله الرحمن الرحيم، وقرأ عليه النبي ﷺ هذه السورة، ومر في صدرها حتى انتهى إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾» فوثب عتبة، ووضع يده على فم النبي ﷺ، وناشده الله أن يسكت، فسكت، وانصرف عنه، فأخبرهم أنه سمع ما لا يشبه كهانة ولا شعراً ولا سحراً، قال: ولقد ظننت أن صاعقة العذاب على رأسي[1].

* * *

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا﴾ تعظَّموا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بأن استولوا عليها، وأخذوها من أهلها ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ ظلماً ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ نحن ندفعه إذا نزل بنا، وكانوا ذوي أجسام طوال، فكان أحدهم يقتلع الصخرة العظيمة من الجبل يجعلها حيث شاء، قال الله رداً عليهم:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ ينكرونها، وهم يعرفون أنها حق.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٠-٦١). وقد رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص: ٢٢١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٢٤٢)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٢٢٧).

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ عاصفة شديدة الصوت، تُحرق ببردها كحرق النار بحرها ﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (نَحْسَاتٍ) بإسكان الحاء، والباقون: بكسرها(١)؛ أي: نكدات مشؤومات، فأمسك عنهم المطر ثلاث سنين، ودأبت عليهم الريح بلا مطر.

﴿ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ ﴾ الذل ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ وصف العذاب بالخزي؛ لأنه حيث حل، حل الخزي معه.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ﴾ أشد ﴿ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ بدفع العذاب عنهم.

* * *

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ﴾ بينا لهم سبيل الهدى.

﴿ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ﴾ الكفر.

﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ الإيمان.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٦٦-٦٧).

﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ الذي يُهينهم .

﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من اختيار الكفر .

* * *

﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ .

[١٨] ﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ قرن تعالى بذكرهم ذكرَ من آمن واتقى، ونجاته؛ ليبين الفرق .

* * *

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾ .

[١٩] ﴿ وَيَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم ﴿ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ﴾ يُجمعون ﴿ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يُحبس أولُهم على آخرهم. قرأ نافع، ويعقوب: (نَحْشُرُ) بالنون وفتحها وضم الشين (أَعْدَاءَ) بالنصب، وقرأ الباقون: بالياء وضمها وفتح الشين، ورفع (أَعْدَاءُ) على البناء للفاعل[١]، وهو الله سبحانه .

* * *

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾ .

[٢٠] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ (ما) زائدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور .

﴿ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ يُنطقها الله تعالى كإنطاق اللسان، فتشهد بما صدر منها .

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٦٩) .

﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ .

[٢١] ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: الكفار ﴿لِجُلُودِهِمْ﴾ توبيخاً لهم:

﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ فعنكن كنا نناضل؟

﴿قَالُوٓاْ﴾ معتذرين: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ له النطق.

﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قرأ يعقوب: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم[١].

* * *

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ .

[٢٢] فأخبر الله تعالى: أن الجلود ترد جوابهم؛ بأن الله الخالق المبدىء المعيد هو الذي أنطقهم ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ بالحُجب عن ارتكاب الفواحش ﴿أَن﴾ أي: لأن.

﴿يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ المعنى: لم تستتروا عند ارتكاب الفاحشة خوفَ شهادة جوارحكم عليكم؛ لأنكم لم توقنوا بالبعث.

﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ﴾ عند استتاركم.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الخفيات.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٠).

﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٣] ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ ﴾ أهلككم ﴿ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ .

* * *

﴿ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ثم أخبر الله تعالى عن حالهم فقال: ﴿ فَإِن يَصْبِرُوا۟ ﴾ على العذاب.

﴿ فَٱلنَّارُ مَثْوًى ﴾ منزل ﴿ لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ ﴾ يطلبوا العتبى، وهي الرجوعُ عن الإساءة، وطلبُ الرضا ﴿ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ المجابين.

* * *

﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا ﴾ بعثنا ﴿ لَهُمْ ﴾ .

ووكلنا ﴿ قُرَنَآءَ ﴾ نُظَراء من الشياطين.

﴿ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ من أمر الدنيا، وما تقدم من أعمالهم.

﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ من أمر الآخرة بقولهم: لا بعث ولا حساب، وما هم عازمون عليه من الأعمال.

﴿ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿ فِىٓ أُمَمٍ﴾ في جملة أمم[1].

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟﴾ أي: جميع المذكورين ﴿ خَٰسِرِينَ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب.

* * *

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ حين قراءته ﷺ: ﴿ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ عارضوه إذا قرىء بإكثار الصياح بالهذيان والخرافات، وإنشاد الأشعار، واللغو: هو الساقط من الكلام.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ محمداً على قراءته، فيسكت.

* * *

﴿ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وهو النار.

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أقبح جزاء عملهم.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ﴾ عطف بيان لجزاء قبل. واختلاف

---

(١) «في جملة أمم» زيادة من (ت).

القراء في الهمزتين من ﴿جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ﴾ كاختلافهم فيهما من قوله: ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ﴾ في سورة النمل [الآية: ٣٢] ﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ الإقامة.

﴿جَزَآءَۢ﴾ مصدر أو حال ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ ينكرون الحق.

* * *

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وهم في النار: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ يعنون: إبليس، وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه؛ لأنهما سنا الكفر والمعصية. قرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم، والسوسي عن أبي عمرو: (أَرْنَا) بإسكان الراء، وروي عن الدوري: اختلاس كسرتها، وقرأ الباقون: بكسر[١] الراء، وكلها لغات بمعنى الرؤية[٢]، وقرأ ابن كثير: (الَّذَيْنِّ) بتشديد النون والمد وتمكين الياء لالتقاء الساكنين، والباقون: بالتخفيف[٣].

﴿نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا﴾ في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ فيها جزاء إضلالهم إيانا.

---

(١) في «ت»: «بإسكان»، وهو خطأ.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧١).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٢).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ على قولهم، فلم يختل توحيدهم، ولا اضطرب إيمانهم ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ عند الموت بالبشرى ﴿ أَلَّا ﴾ أي: بأن لا ﴿ تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾ أَمَنَةٌ عامة في كل مهم مستأنف، وتسليةٌ عامة في كل فائت ماض، والخوف: غم يلحق لتوقع المكروه، والحزن: غم يلحق لوقوعه؛ من فوات نافع، أو حصول ضار، والمعنى: أن الله كتب لكم الأمن من كل غم، فلن تذوقوه أبداً.

﴿ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ في الدنيا على لسان الرسل.

* * *

﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

[٣١] ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ ﴾ يعني: حفظتكم.

﴿ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة.

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ ﴾ من الكرامات(١).

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ تتمنون.

* * *

﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

[٣٢] ﴿ نُزُلًا ﴾ رزقاً، ونصبه على المصدر ﴿ مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ .

---

(١) في «ت»: «المكرمات».

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

[٣٣] ونزل فيه ﷺ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ إلى توحيده .

﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ فيما بينه وبين ربه ، وبينه وبين العباد .

﴿ وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ معتقداً ذلك .

* * *

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

[٣٤] ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾ فالحسنة أفضل ، وكرر (لا) في قوله (ولا السَّيِّئَةُ) تأكيداً؛ ليدل على أن المراد: ولا تستوي الحسنة والسيئة ، ولا السيئة والحسنة ، فحذفتا اختصاراً ، ودلت (لا) على هذا الحذف .

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ آية جمعت مكارمَ الأخلاق وأنواعَ الحكم ، المعنى : ادفع أمورك وما يعرضك مع الناس ومخالطتك لهم بالفعلة أو بالسيرة التي هي أحسن الفعلات والسير ، فمن ذلك : بذل السلام ، وحسن الأدب ، وكظم الغيظ ، والسماحة في القضاء والاقتضاء ، وغيره .

﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ المعنى : إذا فعلت ذلك ، صار العدو كالصديق القريب في محبته .

روي أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب ، وذلك أنه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي ﷺ ، ثم

أسلم[١] فصار ولياً بالإسلام، حميماً بالقرابة، أو نزلت في شأن أبي جهل وإيذائه رسول الله[٢] ﷺ، فأمر بالصفح عنه، ونسختها آية القتال[٣].

* * *

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ ﴾ أي: هذه الخصلة.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ على كظم الغيظ.

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ في الخير والثواب.

* * *

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ ﴾ (إمَّا) شرط، وجواب الشرط قوله: ﴿ فَٱسْتَعِذْ ﴾ والنزغ شبهُ النخس، وهو الوسوسة، فكان الشيطان[٤] ينخس الإنسان، ويحركه، ويبعثه على ما لا يحل، المعنى: إن صرفك الشيطان بوسوسته عن الخير، فاستعذ ﴿ بِٱللَّهِ ﴾ منه، وهو يعصمك.

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لاستعاذتك ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بنيتك.

* * *

(١) «ثم أسلم» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «الرسول».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٧)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٣٦٢).

(٤) «فكان الشيطان» زيادة من «ت».

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

[٣٧] ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾ لأنهما مخلوقان مثلكم .

﴿ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ ﴾ الضمير للأربعة المذكورة، وأُنث؛ لأنها آيات .

﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ فإن السجود أخص العبادات، وهذا محل السجدة عند الإمام مالك رضي الله عنه .

* * *

﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

[٣٨] ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ عن امتثال أمرك في ترك السجود لغير الله سبحانه .

﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ من الملائكة .

﴿ يُسَبِّحُونَ ﴾ يصلون ﴿ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ دائماً .

﴿ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴾ لا يملون، وهذا محل السجدة عند أبي حنيفة والشافعي وأحمد ـ رضي الله عنهم ـ، وكل من الأئمة على أصله في السجود، فأبو حنيفة هو واجب، ومالك هو فضيلة، والشافعي وأحمد هو

سنة، وتقدم ذكر اختلافهم ملخصاً[١] عند سجدة مريم.

* * *

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ﴾ دلائل قدرته.

﴿ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ﴾ يابسة لا نبات فيها.

﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ ﴾ انتفخت بالنبات، وتزخرفت.

﴿ وَرَبَتْ ﴾ زادت. قرأ أبو جعفر: (وَرَبَأَتْ) بهمزة مفتوحة بعد الباء، والباقون: بحذفها[٢].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا ﴾ بعد موتها.

﴿ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ من الإحياء والإماتة.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ ﴾ يميلون ﴿ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ بالطعن فيها. قرأ حمزة: (يَلْحَدُونَ) بفتح الياء والحاء، والباقون: بضم الياء وكسر الحاء[٣].

---

(١) «ملخصاً» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٣-٧٤).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٤).

﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ فنجازيهم على إلحادهم، ونزل استفهاماً وعيداً ووعداً:

﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ أمر تهديد ووعيد.

﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ وجواب (إن) محذوف؛ أي: خسروا، ثم وصف الذكر فقال:

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ﴾ كريم على الله.

* * *

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ أي: ليس فيما تقدمه من الكتب ما يبطل شيئاً منه، وليس فيما[1] بعده من نظر ناظر وفكرة عاقل ما يبطل شيئاً منه، ولا يتطرق إليه ما يبطله من جهة ما، ولا يجد إليه سبيلاً.

وهو ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ يحمده كل مخلوق.

* * *

---

(١) في «ت»: «يأتي».

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ ﴾ يا محمد؛ من التكذيب ﴿ إِلَّا ﴾ مثل.

﴿ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ ﴾ من التكذيب ﴿ مِن قَبْلِكَ ﴾ وهو تسلية له ﷺ عن مقالات قومه، وما يلقى من المكروه منهم.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ﴾ لأوليائه ﴿ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ لأعدائه.

* * *

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ ﴾ أي: هذا الكتاب الذي يُقرأ على الناس.

﴿ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا ﴾ يُقرأ بغير لغة العرب.

﴿ لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ﴾ هلاَّ بُينت ﴿ ءَايَٰتُهُۥٓ ﴾ بالعربية.

﴿ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ الهمزة للإنكار، المعنى: لأنكروا، وقالوا: قرآن أعجمي، ورسول عربي؟ والأعجمي ـ بسكون العين ـ: من لا يفصح، وإن كان عربياً، وليست نسبة حقيقة، إنما هي توكيد لمعنى الصفة؛ كأحمريّ في أحمر. قرأ قنبل عن ابن كثير، وهشام عن ابن عامر، ورويس عن يعقوب باختلاف عنهم: (أَعْجَمِيٌّ) بهمزة واحدة على الخبر، وقرأ الباقون: بهمزتين على الاستفهام، فحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، وروح عن يعقوب: يحققون الهمزتين، والباقون: يحققون

الأولى، ويسهلون الثانية بين الهمزة والألف، وهم على أصولهم، فورش اختلف عنه في إبدالها ألفاً خالصة، وتسهيلها بين بين، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون: يفصلون بين الهمزتين بألف، واختلف عن هشام في تسهيلها وتحقيقها وإدخال الألف بينهما مع تحقيقهما، وروي عن ابن ذكوان وحفص: إدخال الألف بين الهمزتين مع تحقيقهما[1] ﴿قُلْ هُوَ﴾ أي: القرآن.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى﴾ من الضلالة.

﴿وَشِفَآءٌ﴾ لما في القلوب من الشكوك.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هو[2] ﴿فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ صمم.

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ وذلك لتصامِّهم عند سماعه، وتعاميهم عما يرون من آياته، ولما كانوا لا يعون ما يسمعون من القرآن، قال:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن يُنادَى من بعد، لم يسمع، ولم يفهم.

* * *

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ كما اختُلف في القرآن، فصدقه قوم، وكذبه آخرون.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٦ـ٥٧٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٥ـ٧٦).

(٢) «هو» زيادة من «ت».

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ بأن يفصل يوم القيامة بين الخلائق، والكلمة: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ [القمر: ٤٦].

﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ بتعجيل إهلاك المكذبين.

﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ من صدقك.

﴿ مُرِيبٍ ﴾ موقع للريبة.

* * *

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ ﴾ نفعه ﴿ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ ﴾ ضرُّه.

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فلا يضع شيئاً من عقوبات عبيده في غير موضعها، بل هو العادل المتفضل الذي يجازي كل عبد بكسبه.

* * *

﴿ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ ﴾ متى تكون، لا يعلمه غيره تعالى.

﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (ثَمَرَةٍ) بغير ألف على التوحيد، وقرأ الباقون: بألف بعد الراء على الجمع[1]؛ لاختلاف الأنواع

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٧١)، و«النشر في=

﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ جمع كِمّ، وهو وعاء الثمر.

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ﴾ أي: ما يحدث حدوثٌ؛ من خروج ثمرٍ، وحملِ حاملٍ ووضعِه، وغيرِ ذلك.

﴿إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ فيعلمه تعالى على أي وصف وجد.

﴿وَيَوْمَ﴾ القيامة ﴿يُنَادِيهِمْ﴾ أي: الكفار ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ بزعمكم.

﴿قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ﴾ أعلمناك ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ أي: شاهد يشهد بأن لك شريكاً، لما عاينوا العذاب. قرأ ابن كثير: (شُرَكَائِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

* * *

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ ثَمَّ ﴿مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ﴾ يعبدون.

﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا من الأصنام.

﴿وَظَنُّوٓا۟﴾ أيقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ مهرب.

* * *

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ لا يمل الكافر.

﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ من طلب السعة في المال.

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٧).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٨).

﴿ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الفقر والشدة.

﴿ فَيَـُٔوسٌ﴾ من فضل الله ﴿ قَنُوطٌ﴾ قاطع الرجاء من رحمته.

* * *

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٠﴾.

[٥٠] ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ﴾ آتيناه ﴿ رَحْمَةً﴾ سعة وعافية.

﴿ مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ أي: بعملي. قرأ أبو عمرو: (مِنْ بَعْد ضَّرَّاءَ) بإدغام الدال في الضاد[١].

﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ كزعم محمد.

﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ ﴾ فرضاً. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (رَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها، واختلف عن قالون[٢].

﴿ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ الجنة، يقول ذلك استهزاء.

﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ من الأعمال الموجبة لهم النار.

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٨).

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ﴾ عن شكره تعالى.

﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ بَعُدَ، ولم يملْ إلى شكر ولا طاعة. قرأ أبو جعفر، وابن ذكوان عن ابن عامر: (وَنَاءَ) بألف قبل الهمز مثل وناع؛ من النوء، وهو النهوض والقيام، والباقون: بألف بعد الهمزة، [وأمال الكسائي، وخلف لنفسه وعن حمزة فتحة النون والهمزة][١]، وأمال السوسي عن أبي عمرو بخلاف عنه، وخلاد عن حمزة فتحَ الهمزة فقط، وفتحا النون، وقرأ الباقون: بفتح النون والهمزة على وزن نَعَى[٢].

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ كثير، والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة، فيقال: أطال فلان الكلام والدعاء، وأعرض؛ أي: أكثر.

***

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِن كَانَ﴾ القرآن.

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٩).

﴿ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ ﴾ عناداً، ألستم على هلكة من قبل الله.

﴿ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ عن الحق؛ أي: فلا أحد أضل منكم؛ لأنكم أهلكتم أنفسكم بتكذيبه.

* * *

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ ﴾ يعني وقائع الله في الأمم، وما يفتحه الله[١] على رسوله ﷺ من الأقطار حول مكة وغير ذلك من الأرض؛ كخيبر، وقهر العرب والعجم.

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ يوم بدر، وفتح مكة.

﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: الشرع والقرآن.

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ مُطَّلع لا يغيب عنه شيء.

* * *

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ﴾ في شك من البعث.

﴿ أَلَآ إِنَّهُۥ ﴾ تعالى ﴿ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾ علماً وقدرةً، ومعناه الوعيد لهم، والله أعلم.

* * *

---

(١) لفظ الجلالة «الله» زيادة من «ت».

سورة الشورى

مكية، وقال مقاتل: فيها مدني ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ إلى ﴿ٱلصُّدُورِ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾ إلى ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾، وآيها: ثلاث وخمسون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وخمس مئة وثمانية وثمانون حرفاً، وكلمها: ثماني مئة وست وستون كلمة، وهذه السورة أول المفصل على أحد القولين في مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، والقول الثاني: أنه من سورة النجم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾.

[١-٢] ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ تقدم ذكر الإمالة، ومذهب أبي جعفر في تقطيع الحروف أول غافر، وأشبع ورش مد (عٓ) بخلاف عنه؛ كأول سورة مريم، قال ابن عباس: «إن (حمٓ عٓسٓقٓ) هذه الحروف بأعيانها نزلت في كل كتب الله المنزلة على كل نبي أُنزل عليه كتاب الله(١)»(٢) ولذلك قال تعالى:

---

(١) لفظ الجلالة «الله» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٧٣)، و«تفسير الرازي» (٢٧/ ١٢٣). قال الرازي: وهذا عندي بعيد.

﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ وفُصِلَتْ (حَم) من (عَسَقَ)، ولم يفعل ذلك بـ(كَهيعَصَ) لتجري هذه مجرى الحواميم أخواتها، ولأنهما عُدَّا آيتين، و(كَهيعَصَ) عُدَّت آية واحدة، والأقوال في هذه كالأقوال في أوائل السور.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال: «(ح) حلمه (م) مجده (ع) علمه (س) سناؤه (ق) قدرته، أقسم الله بها»[1].

وروي عن علي ـ رضي الله عنه ـ: أنه كان يستفيد علم الفتن والحروب من هذه الحروف التي في أوائل السور[2].

وروى حذيفة بن اليمان: «أن رجلاً يقال له: عبد الإله، أو عبد الله ينزل على نهر من أنهار المشرق يبني عليه مدينتين يشق النهر بينهما شقاً، فتهلك إحدى المدينتين ليلاً، ثم تصبح الأخرى سالمة، فيجتمع فيها جبابرة

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٧٣)، و«فتح القدير» للشوكاني (٤/ ٥٢٥)، وقال: وقيل غير ذلك مما هو متكلّف متعسف لم يدلَّ عليه دليل، وجاءت به حجة ولا شبهة حجة.

(٢) قال القاضي أبو بكر بن العربي في فوائد رحلته: ومن الباطل علم الحروف المقطعة في أوائل السور، وقد تحصَّل لي فيها عشرون قولاً وأزيد، ولا أعرف أحداً يحكم عليها بعلم ولا يصل منها إلى فهم. انظر: «الإتقان» للسيوطي (٢/ ٢٦)، وفي مقدمة من نفى هذا العلم عن سيدنا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ، هذا ولمّا سئل السبكي عن دلالة ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ فكان من إجابته رحمه الله ـ: . . وأكثر ذلك يكون معصية ممّا يجب إنكارُه وبعضه ممّا جربناه فلم نجده صحيحاً مما لا فائدة فيه. انظر: «فتاوى السبكي» (٢/ ٥٦٣).

المدينتين متعجبين من سلامتها، فتهلك من الليلة القابلة، وإن (حَم) معناه: حتم[1] هذا الأمر، و(عين) معناه: عدلاً من الله، و(سين): سيكون ذلك، و(قاف) معناه: يقع ذلك بهم»[2].

***

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾.

[٣] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ما في هذه السورة من المعاني.

﴿يُوحِيٓ إِلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿وَإِلَى﴾ الرسل ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ أي: كما أوحينا إليك، وأوحينا إليهم. قرأ ابن كثير: (يُوحَى) بفتح الحاء مجهولاً، القائم مقام الفاعل (إليك)، وقرأ الباقون: بكسر الحاء معلوماً، فالفاعل (الله) تعالى، وقرأ أبان عن عاصم: (نُوحِي) بنون العظمة[3]، فعلى قراءة ابن كثير (كَذَلِكَ) مبتدأ، خبره (يُوحَى)، وعلى قراءة الباقين (اللَّهُ) مبتدأ، خبره (العزيزُ الحكيمُ)، وقال (يُوحِي) مضارعاً دون ﴿أَوْحَى﴾؛ للإيذان أن إيجاد مثله عادته، و(العزيزُ الحكيمُ) صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحى به.

---

(١) في «ت»: «حُمَّ».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٩٧). قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٠٧): غريب عجيب.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٨٣ـ٨٤).

﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ .

[٤] ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ملكاً وخلقاً .

﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ﴾ في قدره ﴿ ٱلْعَظِيمُ ﴾ في سلطانه .

* * *

﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ .

[٥] ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ قرأ نافع، والكسائي: (يَكَادُ) بالياء مذكراً؛ لتذكير الجمع، والباقون: بالتاء مؤنثاً[١]؛ لتأنيث (السَّمَوَات)، و(كادَ) من أفعال المقاربة.

﴿ يَتَفَطَّرْنَ ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم: (يَنْفَطِرْنَ) بالنون وكسر الطاء مخففة؛ وقرأ الباقون: بالتاء وفتح الطاء مشددة[٢]؛ أي: يتشققن ﴿ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾ أي: كل[٣] منها تنفطر فوق التي تليها، أو من فوق الأرضين السبع، من قول المشركين: ﴿ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ [البقرة: ١١٦].

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ يقولون: سبحان الله، وقيل: يصلون.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٨٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٨٤).

(٣) في «ت» زيادة: «من» بعد «كل».

﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ من المؤمنين ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الذي يطلب هذا منه؛ إذ هذه أوصافه، وهو أهل المغفرة.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ شركاء.

﴿ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ﴾ رقيب يحصي أعمالهم؛ ليجازي بها.

﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ بموكَّل بهم، ولا بلازم لأمرهم حتى يؤمنوا، والوكيل: المقيم على الأمر، وما في هذا[١] اللفظ من موادعة، فهو منسوخ بآية السيف.

* * *

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ ومثلَ ذلك الإيحاء البين.

﴿ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ مكة؛ أي: أصل البلاد، والمراد: أهلها، ولذلك عطف عليها ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ و(مَنْ) في الأغلب لمن يعقل؛ يعني: قرى الأرض كلها.

﴿ وَتُنذِرَ ﴾ الناس ﴿ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ ﴾ هو يوم القيامة؛ أي: تخوفهم إياه؛ لما

---

(١) في «ت»: «هذه».

فيه مِنْ عذاب مَنْ كفر، ويسمى يوم الجمع؛ لاجتماع أهل الأرض وأهل السماء فيه.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: في نفسه وذاته، وارتياب الكفار فيه لا يعتد به، ثم بعد الجمع يتفرقون.

﴿فَرِيقٌ﴾ مرتفع على خبر الابتداء المضمر؛ أي: هم فريق.

﴿فِي الْجَنَّةِ﴾ هم المؤمنون ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ هم الكافرون.

* * *

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾.

[٨] ثم قرن(١) تعالى تسلية نبيه بأن عرفه بأن الأمور موقوفة على مشيئته تعالى، فقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على دين واحد، وهو الإسلام.

﴿وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ﴾ إيمانَه، وهو من سبقت له السعادة عنده.

﴿فِي رَحْمَتِهِ﴾ في دين الإسلام.

﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ الكافرون الميسرون لعمل الشقاوة.

﴿مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينقذهم من عذابه تعالى.

* * *

---

(١) في «ت»: «قوّى».

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟﴾ وهذا كلام منقطع مما قبله، وليس بمعادلة، ولكن الكلام كأنه[١] أضرب عن حجة لهم أو مقالة مقررة، فقال: بل اتخذوا ﴿مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ شركاء وأنداداً، و(الفاء) بعد جواب شرط مقدر، تقديره: بعد نفي جميع الآلهة إن أرادوا ولياً حقاً.

﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ لك يا محمد ولمن اتبعك.

﴿وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ يبعثهم من قبورهم.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ قدرته تعطي هذا وتقتضيه.

* * *

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ثم أُمر ﷺ أن يقول للمؤمنين حيث اختلفوا هم و[٢] المشركون بين يديه:

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ﴾ أنتم والكفار.

﴿مِن شَىْءٍ﴾ من الدين وغيره ﴿فَحُكْمُهُۥٓ﴾ مردود ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾.

---

(١) «كأنه» زيادة من «ت».
(٢) «و»: سقط من «ت».

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الموصوفُ بهذا الوصف.

﴿ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ في جميع الأمور.

﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ أَرْجِع.

* * *

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾.

[١١] وهو ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: خالق الآفاق.

﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ أي: من جنسكم. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (جَعَل لَّكُمْ) بإدغام اللام الأولى في الثانية[١].

﴿أَزۡوَٰجٗا﴾ حلائلَ، وليس الأزواج هاهنا الأنواع ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ﴾ ذكراً وأنثى؛ إكراماً لكم.

﴿يَذۡرَؤُكُمۡ﴾ يخلقكم، والضمير للأناسي والأنعام، فغلّب الأناسي.

﴿فِيهِۚ﴾ في هذا التدبير، وهو جعلُ الناس والأنعام أزواجاً يكون بينهم توالد.

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ﴾ أي: ليس كهو ﴿شَيۡءٞۖ﴾ يزاوجه ويناسبه، والمراد من (مثله): ذاتُه، والشيء: عبارة عن الموجود، قال ابن عباس: «ليس له نظير»[٢]، فالتوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات، ولا معطلة من

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٨٦).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٧٧).

الصفات، ليس كذاته ذوات[1]، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة، إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ، وجَلَّت الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة؛ كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمة، وحيث تراءى في مرآة القلب صورة، أو خطر بالخاطر مثال، أو ركنت النفس إلى كيفية، فليجزم بأن الله بخلافه؛ إذ كل ذلك من سمات الحدوث؛ لدخوله في دائرة التحديد والتكييف اللازمين للمخلوق، المنزهِ عنهما الخالق تعالى، ولقد أقسم سيد الطائفة الجنيد بأنه ما عرف اللهَ إلا اللهُ.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ لكل ما يُسْمَع ويُبْصَر.

***

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ تقدم تفسيره في سورة الزمر.

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ﴾ يوسِّع ويضيِّق؛ لأن مفتاح الرزق بيده ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيفعله على ما تقتضيه حكمته.

***

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى

(١) في «ت»: «ذات».

ﭐلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿شَرَعَ﴾ بيَّنَ.

﴿لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا﴾ وهو أول أنبياء الشريعة.

﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ من القرآن وشرائع الإسلام ﴿وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ قرأ هشام عن ابن عامر: (إِبْرَاهَامَ) بألف بين الهاء والميم(١) ﴿وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ ثم بين المشروع المشترك فيه هؤلاء، وهو:

﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ وهو توحيد الله وطاعته، وما به يكون الإنسان مسلماً.

﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ في القدر المشترك بينكم من الدين، ولم يرد الاشتراك في جميع الشرائع؛ لأنها متفاوتة؛ لقوله تعالى:

﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: ٤٨]، ثم أخبر تعالى نبيه ﷺ بصعوبة موقع هذه الدعوة إلى إقامة الدين على المشركين بالله العابدين للأصنام بقوله:

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ﴾ يا محمد.

﴿إِلَيۡهِ﴾ من التوحيد، ثم سلاَّه عنهم بقوله:

﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ﴾ يختار ﴿إِلَيۡهِ﴾ أي: لدينه(٢).

﴿مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ﴾ بالتوفيق.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٨٦).

(٢) «أي: لدينه» زيادة من «ت».

﴿مَن يُنِيبُ﴾ يُقبل إلى طاعته، وكان نبينا ﷺ قبل البعثة متعبداً في الفروع بشرع من قبلَه مطلقاً، وقيل: مُعَيَّن، فقيل: آدم، أو نوح، أو إبراهيم، أو موسى، أو عيسى، وقيل: بوضع شريعة اختارها، وقيل: بالإلهام، ولم يكن ﷺ على ما كان عليه قومه باتفاق الأئمة وإجماع الأمة.

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: من زعمه، فقول سوء.

وامتناع المعصية منه ﷺ قبل البعثة عقلاً مبني على التقبيح العقلي، وبعدها معصوم من تعمد ما يُخِلُّ بصدقه فيما دلت المعجزة على صدقه من رسالة وتبليغ بالاتفاق.

* * *

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ أي: أهلُ الكتاب ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ بأن التفرق ضلال ﴿بَغۡيَۢا﴾ لأجل البغي الحاصل.

﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ المؤدي إلى اختلاف الرأي وافتراق الكلمة.

﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير العذاب والجزاء.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ وهو يوم القيامة.

﴿لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾ في الدنيا، وغلب المحقُّ المبطلَ.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ من اليهود والنصارى المعاصرين لمحمد ﷺ.

﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ أي: من بعد مَنْ تقدمهم ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنۡهُ﴾ من محمد ﷺ ﴿مُرِيبٍ﴾ ووصف الشك بمريب مبالغة فيه.

***

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما وصى به الأنبياء من التوحيد ﴿فَٱدۡعُ﴾ أنت إلى ربك، وبلغ ما أُرسلت به ﴿وَٱسۡتَقِمۡ﴾ على دينهم.

﴿كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ أي: دُمْ على استقامتك؛ لأنه كان مستقيماً، وفي هذا المعنى قال النبي ﷺ: «شيبتني هودٌ وأخواتُها»، فقيل له: لم ذلك؟ فقال: «لأن فيها ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾»(١)، وهذا خطاب له ﷺ بحسب قوته في أمر الله تعالى، وقال هو لأمته بحسب ضعفهم: «استقيموا ولَنْ تُحصوا»(٢).

﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ يعني: قريشاً فيما كانوا يهوونه من أن يعظِّم محمد ﷺ آلهتهم، وغير ذلك.

﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ يعني: جميع الكتب المنزلة من عند الله، وهو أمر يعم سائر أمته.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن ماجه (٢٧٧)، كتاب: الطهارة، باب: المحافظة على الوضوء، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٦)، من حديث ثوبان رضي الله عنه. وصححه المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٩٧).

﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ ﴾ واللام بمعنى أن؛ أي: أمرت بأن أعدل.

﴿ بَيْنَكُمُ ﴾ في الحكم، ولا أطالبكم بأكثر مما افترض الله عليكم.

﴿ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ خالق كل شيء.

﴿ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾ وكلٌّ مجازى بعمله.

﴿ لَا حُجَّةَ ﴾ لا مخاصمة ﴿ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾ نسخها آية القتال.

﴿ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ﴾ يوم القيامة ﴿ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ وعيد للكفار.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ ﴾ أي: في توحيده.

﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ ﴾ أي: من بعد ما أجاب المسلمون بالإيمان.

﴿ حُجَّتُهُمْ ﴾ مجادلتهم ﴿ دَاحِضَةٌ ﴾ باطلة.

﴿ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ في الآخرة.

* * *

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآن ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ في أحكامه.

﴿ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ العدلَ، سمي ميزاناً؛ لأن الميزان آلة الإنصاف، ولما سئل ﷺ عن الساعة، نزل:

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ﴾[1] أي : البعث ﴿ قَرِيبٌ﴾ .

* * *

﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾ .

[١٨] ثم وصف تعالى حال الجهلة المكذبين بها ، فقال :

﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾ استهزاءً ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ﴾ بقيامها .

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ خائفون من شدائدها .

﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا﴾ أي : مجيئها ﴿ ٱلْحَقُّ ۗ﴾ الواقع .

﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ﴾ يجادلون ﴿ فِى ٱلسَّاعَةِ﴾ وإبطال مجيئها عناداً .

﴿ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ عن الحق .

* * *

﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ .

[١٩] ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ بارٌّ بعباده بصنوف من البر ﴿ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ ما يشاء[2] ، فيخص كلاً من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته .

﴿ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾ القادر ﴿ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يُغلب .

* * *

---

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٤/ ٧٨) .

(٢) «ما يشاء» زيادة من «ت» .

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝٢٠ ﴾ .

[٢٠] ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ عملَها؛ أي: من كان يريد بعمله الآخرةَ.

﴿ نَزِدْ لَهُۥ فِى ﴾ جزاء ﴿ حَرْثِهِۦ ﴾ بتضعيف الحسنة إلى العشر، وتزاد إلى ما شاء الله.

﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا ﴾ يريد بعمله الدنيا ﴿ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ ما قُسم له بلا تضعيف ﴿ وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ لأنه لم يعمل لها. قرأ أبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: (نُؤْتِهْ) بسكون الهاء، واختلف عن أبي جعفر، وقرأ يعقوب، وقالون عن نافع: بكسر الهاء من غير صلة، واختلف عن أبي جعفر وهشام، وقرأ الباقون، وهم ابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، وورش عن نافع: بصلتها، واختلف عن هشام(١).

* * *

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢١ ﴾ .

[٢١] ﴿ أَمْ ﴾ أي: بل ﴿ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ﴾ والهمزة للتقرير والتقريع،

---

(١) انظر: «الكشف» لمكي (١/ ٣٤٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٠٥-٣٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٨٧).

وشركاؤهم شياطينهم ﴿ شَرَعُواْ ﴾ أي: عملوا شريعة لهم.

﴿ مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾ الفاسد، وهو الشرك.

﴿ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ لأنه سبحانه منزه أن يأذن في عمل الباطل.

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ ﴾ أي: القضاء السابق بتأجيل الجزاء.

﴿ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: بين الكافرين والمؤمنين في الدنيا.

﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة.

***

﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ (٢٢) ﴾.

[٢٢] ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ المشركين يوم القيامة ﴿ مُشْفِقِينَ ﴾ وَجِلين.

﴿ مِمَّا كَسَبُواْ ﴾ من السيئات ﴿ وَهُوَ ﴾ أي: جزاء كسبهم ﴿ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ﴾ أشفقوا، أو لم يشفقوا. قرأ أبو عمرو (وَهُو وَّاقِعٌ) بإدغام الواو في الواو[١].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ﴾ أي: أطيب بقاعها، وهي المواضع المؤنقة، وهي مرتفعة في الأغلب، وهي الممدوحة عند العرب وغيرهم.

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ ﴾ أي: ما يشتهون ثابتٌ لهم ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ الذي يصغُر دونه ما لغيرهم في الدنيا.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٨٨).

﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٣] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المعدُّ لهم في الجنة ﴿ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ ﴾ به .

﴿ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: (يَبْشُرُ) بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين مخففة؛ من بَشَرَ، وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة[١]؛ من بَشَّرَ، وهما لغتان بمعنى البشارة.

﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: على تبليغ الرسالة ﴿ أَجْرًا ﴾ نفعاً منكم.

﴿ إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ استثناء منقطع، معناه: لكن أسألكم أن تودوا قرابتي التي هي قرابتكم، قال ابن عباس: «لم يكنْ بطنٌ من قريش إلا له فيهم قرابة»[٢].

روي أنها لما نزلت، قيل: يا رسول الله! من قرابتك من هؤلاء؟ قال: «عليٌّ وفاطمةُ وابناها»[٣]، وقيل: آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس[٤].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٨٨-٨٩).

(٢) رواه البخاري (٤٥٤١)، كتاب: التفسير، باب قوله: ﴿ إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٥٩) عن ابن عباس، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٣): فيه جماعة ضعفاء وقد ثقوا كلهم، وضعفهم جماعة، وبقية رجاله ثقات.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٨١).

﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً ﴾ يكسِبْ طاعة ﴿ نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ﴾ بتضعيفها .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ ساترٌ ذنوبَ[1] عبيده ﴿ شَكُورٌ ﴾ مجازٍ على الدقيقة من الخير، لا يضيع عنده لعامل عمل .

* * *

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ أَمْ ﴾ أي: بل ﴿ يَقُولُونَ ﴾ كفار مكة: ﴿ ٱفْتَرَىٰ ﴾ محمد .

﴿ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ بنسبته القرآن إلى الله ﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ أي: ينسيك القرآن، والمراد: الرد على مقالة الكفار، وبيان إبطالها، وذلك كأنه يقول: وكيف يصح أن تكون مفترياً، وأنت من الله بمرأى ومسمع، ولو شاء الله أن يختم على قلبك، فلا تعقل ولا تنطق، ولا يستمر افتراؤك؟! فمقصد اللفظ هذا المعنى، وحذف ما يدل عليه الظاهر اختصاراً واقتصاراً، وهذا التأويل تهديد لهم، وقيل: المعنى: يختم على قلبك بالصبر، فلا تتأذى منهم، وهذا التأويل تسلية له ﷺ .

قال ابن عطية[2]: هذا التأويل لا يتضمن الرد على مقالتهم .

﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ وهو الكفر، فعل مستقبل خبر من الله تعالى أنه يمحو الباطل ولا بد، إما في الدنيا، وإما في الآخرة، وكتبت (يَمْحُ) في المصحف بحاء مرسلة، كما كتبوا ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ [الإسراء: ١١] إلى غير ذلك مما ذهبوا

---

(١) في «ت»: «عيوب» .
(٢) في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٥) .

فيه إلى الحذف والاختصار نظراً إلى اللفظ وحملاً للوقف على الوصل.

﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ﴾ يُثبت الإسلام.

﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ بوحيه وقضائه، وقد فعل الله تعالى ذلك، فمحا باطلهم، وأعلى كلمة الإسلام.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما تضمره القلوب، فيجازي كلاً بعمله.

***

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] قال ابن عباس: لما نزل ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ووقع في قلوب قوم منها شيء، وقالوا: يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده، فنزل جبريل، فأخبره أنهم اتهموه، وأنزل هذه الآية، فقال القوم: يارسول الله! فإنا[١] نشهد أنك صادق، فنزل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ﴾[٢] أي: من ﴿عِبَادِهِۦ﴾ يريد: أولياءه وأهل طاعته، والتوبة: الرجوع عن الذنب ندماً، والعزم ألاَّ يعود إليه أبداً ﴿وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ إذا تيب منها، فيمحوها ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تَفْعَلُونَ) بالخطاب؛ لأنه خطاب للمشركين، وقرأ الباقون: بالغيب[٣]؛ لأنه بين خبرين عن قوم.

---

(١) «فإنا» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٨٢)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٦).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٩٠).

﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] فقال قبله: ﴿ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾، وبعده: ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي: يجيب تعالى دعاء المؤمنين الصالحين إذا دعوه.

﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ ﴾ زيادة على ثواب عملهم؛ تفضلاً منه.

﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل.

* * *

﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ قال خباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع، فتمنيناها، فأنزل الله الآية[١]. والبغي: الطغيان والعتو في الأرض ﴿ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ ﴾ من الأرزاق.

﴿ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ ﴾ مصلحة لعباده.

﴿ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ يعلم ما ظهر من أمرهم وما بطن. قرأ الكوفيون، ونافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (يُنَزِّلُ) بفتح النون وتشديد الزاي، والباقون وهم ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (يُنْزِلُ) بإسكان النون وتخفيف الزاي[٢]، واختلافهم في الهمزتين من (يَشَاءُ إِنَّهُ) كاختلافهم

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٢٢٨)، و«تفسير الرازي» (٢٧/ ١٤٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

فيهما من (مَنْ نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) في سورة الحج [الآية: ٥].

في الحديث: عن النبي ﷺ، عن جبريل، عن الله سبحانه: «وإنَّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه [إلا الفقر، ولو أغنيته، لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه][١] إلا الغنى، ولو أفقرته، لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أسقمته، لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم، ولو أصححته، لأفسده ذلك، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم، إني عليم خبير»[٢].

***

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾ المطر. قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم، وابن عامر: (يُنَزِّلُ) بالتشديد كما تقدم، والباقون: بالتخفيف.

﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ ﴾ أيسوا منه، روي أن الله حبس المطر على أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا، ثم أنزل الله المطر، فذكَّرهم تعالى نعمتَه.

= (٢/ ٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٩٠).

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣١٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٢٨٥)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وإسناده ضعيف. وانظر: «العلل المتناهية» لابن الجوزي (١/ ٤٥).

﴿وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥ﴾ وهي الشمس، فذلك تعديد نعمة غير الأولى[1]، وذلك أن المطر إذا جاء بعد القنط، حسن موقعه، فإذا دام، سئم، فتجيء الشمس بعده عظيمة المواقع.

﴿وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ لأهل طاعته ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ المستحق للحمد على كل حال.

* * *

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ٢٩﴾.

[٢٩] ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ﴾ أي: فرَّق.

﴿فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ﴾ أي: وقت يشاء.

﴿قَدِيرٞ﴾ متمكن منه، والمراد: يوم القيامة عند الحشر من القبور.

* * *

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾.

[٣٠] ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ﴾ بلية وشدة.

﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ فبسبب معاصيكم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (بِمَا كَسَبَتْ) بغير فاء قبل الباء، وكذلك هي في مصاحف المدينة والشام، وقرأ الباقون: بالفاء، وكذلك هي في مصاحفهم[2]، فالقراءة

---

(١) «غير الأولى» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٨٥)، و«النشر في =

بالفاء جواب ما قبل؛ لأنها شرطية محلها رفع ابتداء، ومن حذف الفاء، جعل ما في أول الآية مبتدأ، و(بِمَا كَسَبَتْ) خبرها.

قال ﷺ: «﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم﴾ من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا، ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾، والله أكرم من أن يُثَنِّيَ عليكم العقوبة في الآخرة»[1] ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ من الذنوب، فلا يعاقب عليها. قال ﷺ: «والذي نفسي بيده! ما من خَدْشٍ، ولا عود، ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق، إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر»[2].

* * *

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ بفائتين ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هرباً حيثما كنتم.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ يدفع عنكم المصائب.

* * *

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٩١).

(١) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٨٥)، وأبو يعلى الموصلي في «المسند» (٤٥٣). قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٠٤): فيه أزهر بن راشد، وهو ضعيف.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ١٩٢)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٧٨).

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ ﴾ السفن. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (الْجَوَارِي) بإثبات الياء وصلاً، وقرأ ابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين، وأمال فتحة الواو حيث وقع: الدوري عن الكسائي[١].

﴿ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾ أي: كالجبال، وكل مرتفع عَلَم.

* * *

﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ إِن يَشَأْ ﴾ شرط ﴿ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ ﴾ جوابه، وتعطف عليه ﴿ فَيَظْلَلْنَ ﴾ أي: السفن ﴿ رَوَاكِدَ ﴾ سواكنَ ﴿ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ﴾ أي: ظهر البحر.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ أي: لكل مؤمن؛ لأن من صفته الصبر في الشدة، والشكر في الرخاء. قرأ نافع، وأبو جعفر:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٨)، وَقَرأَها الكسائي (الجوري) بالإمالة في «الكشف» لمكي (١/ ١٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٩١-٩٢).

(الرِّيَاحَ) بفتح الياء وألف بعدها على الجمع، والباقون: بإسكان الياء وحذف الألف على الإفراد[1].

* * *

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] وتعطف على الجواب ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ يهلِكْهن بالغرق.

﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب، وتعطف على (يوبقهن).

﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ منها.

* * *

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ تكذيباً. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (وَيَعْلَمُ) برفع الميم [على الاستئناف، وقرأ الباقون: بنصبها عطفاً على تعليل محذوف[2]، تقديره: لينتقم منهم][3]، وليعلم.

﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ مهرب.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٩٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٩٢).

(٣) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ ﴾ شرط، جوابه:

﴿ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ تتمتعوا به يسيراً، ثم يزول.

﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ من الثواب ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ من حطام الدنيا.

﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين أنفق جميع ماله، وتصدق به، فلامه الناس(١).

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] وعطف على قوله: ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ ﴾ هي الشرك، وقتل النفس، وقذف المحصن، وأكل مال اليتيم، والربا، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين، وتقدم الكلام على ذلك في سورة النساء. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (كَبِيرَ) بكسر الباء من غير ألف ولا همزة على التوحيد إرادة الجنس، وقرأ الباقون: بفتح الباء والألف وهمزة مكسورة بعدها على الجمع(٢) ﴿ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ هي موجبات الحدود.

﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ يكظمون الغيظ، ويتجاوزون.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٥).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

[٣٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ ﴾ أجابوه إلى ما دعاهم إليه من طاعته .

﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الخمس .

﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾ أي : يتشاورون فيه ، لا ينفرد واحد منهم برأي دون صاحبه .

﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ في سبل الخير ، فهؤلاء صنف .

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

[٣٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴾ صنف ؛ أي : ينتقمون من ظالميهم[١] من غير أن يعتدوا .

* * *

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

[٤٠] ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ سمي الجزاء سيئة ؛ لتشابههما في الصورة .

﴿ فَمَنۡ عَفَا ﴾ عن ظالمه ﴿ وَأَصۡلَحَ ﴾ الودَّ بينه وبين خصمه بالعفو .

﴿ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ عِدَةٌ مبهمة تدل على عظم الموعود .

---

(١) «من ظالميهم» ساقطة من «ت» .

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الذين يبتدئون بالسيئة، أو يتجاوزون في الانتقام.

* * *

﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ ﴾ اقتصَّ ﴿ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ ﴾ أي: بعد ظلم الظالم إياه.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ طعن ولا عيب.

* * *

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ تكبراً.

﴿ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ ﴾ يعملون فيها بالمعاصي.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ على ظلمهم وبغيهم.

* * *

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾ فلم ينتصر.

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ منه.

﴿ لَمِنْ عَزْمِ ﴾ أي: محكم ﴿ ٱلْأُمُورِ ﴾ ومتينها.

* * *

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ﴾ أي : يخذله .

﴿ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ ﴾ يلي هدايته .

﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ يوم القيامة .

﴿ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ ﴾ إلى الدنيا ﴿ مِّن سَبِيلٍ ﴾ ؟

* * *

﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

[٤٥] ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾ على النار ﴿ خَٰشِعِينَ ﴾ خاضعين .

﴿ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ ﴾ إليها ﴿ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ ﴾ ضعيف ، يسارقون النظر إلى النار ؛ خوفاً منها ؛ كنظر المقتول إلى السياف .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ ﴾ أي : يخسرون .

﴿ أَنفُسَهُمْ ﴾ بدخول النار ﴿ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾ أي : الحور المعدة لهم في الجنة(١) ، لو آمنوا .

﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ دائم ، وهذا تمام كلام المؤمنين ، ويحتمل أنه تصديق من الله لهم .

---

(١) «في الجنة» ساقطة من «ت» .

﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

[٤٦] ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من دون عذابه .

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴾ طريق إلى الهداية .

* * *

﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

[٤٧] ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم ﴾ أجيبوا داعي الله ؛ يعني : محمداً ﷺ .

﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ لا يقدر أحد على دفعه ، وهو يوم القيامة . قرأ حمزة : (لا مَرَدَّ لَهُ) بالمد بحيث لا يبلغ الإشباع .

﴿ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ ﴾ من عذابه ﴿ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ أي : لا تقدرون أن تنكروا شيئاً مما اقترفتموه ، تلخيصه : أنتم عجزة معترفون ثمَّ بذنوبكم .

* * *

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ۗ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

[٤٨] ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ ﴾ عن إنذارك يا محمد .

﴿ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ تحفظ أعمالهم ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ﴾ ونُسخ هذا بآية السيف ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا ٱلْإِنسَانَ ﴾ أراد الجنس ﴿ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ نعمة .

﴿ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ ﴾ بلاء.

﴿ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ الكافر ﴿ كَفُورٞ ﴾ يفرح بالنعم، ويكفر بسبب النقم.

* * *

﴿ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ له التصرف فيهما بما يريد.

﴿ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ ﴾ من غير لزوم.

﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ لا اعتراض عليه.

قال ﷺ: «إنَّ من يُمْنِ المرأة تبكيرَها بالأنثى قبلَ الذكر»، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾[1] ألا ترى أنه بدأ بالإناث قبل الذكور، وقدَّم (إناثاً)، ونكرهن، وعرف الذكر؛ لأنه في معرض أنه فعال لما يختار، لا لما يختاره العباد.

قال الكواشي: ويجوز أنهن قُدِّمن توبيخاً لمن كان يَئِدُهن، ونُكِّرْنَ إيماء إلى ضعفهن؛ ليُرْحَمْن، فيُحْسَنَ إليهن، ثم قدم الذكور عليهن بعدُ، مع

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٨١٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٢٢٥)، من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه. وإسناده ضعيف جداً، وصرح ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٢٧٦) أنه موضوع. وانظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣/ ١٦٢).

جمعهن معهم منكرين؛ إيذاناً أن لا غناء لأحدهما عن الآخر، ولأنهما أصل الخلق، انتهى.

واختلاف القراء في الهمزتين من (يَشَاءُ إِنَاثاً) كاختلافهم فيهما من (يَشَاءُ إِنَّهُ) كما تقدم التنبيه عليه.

* * *

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٥٠﴾.

[٥٠] ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا ۖ﴾ يجمع له بينهما، فيولد له الذكور والإناث.

﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ﴾ فلا تلد، ولا يولد له، والعقم في اللغة: المنع.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ يفعل ما يختار بحكمته.

* * *

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٥١﴾.

[٥١] ولما قال اليهود للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه كموسى إن كنت نبياً؟ نزل: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾[١] أي: ما صح لأحد.

﴿أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ أي: إلهاماً.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٨٩ـ٩٠)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٥٣).

﴿ أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ فيسمع صوتاً، ولا يرى شخصاً ﴿ أَوْ يُرْسِلَ﴾ تعالى ﴿ رَسُولًا ﴾ إما جبريل، أو غيره ﴿ فَيُوحِيَ ﴾ تعالى إلى ذلك الرسول ﴿ بِإِذْنِهِۦ﴾ باختياره تعالى.

﴿ مَا يَشَآءُ﴾ من الوحي، فيكلم ذلك الرسول بالموحَى إليه الرسلَ؛ بأن يلقيه عليهم.

﴿ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ﴾ عن صفات المخلوقين ﴿ حَكِيمٌ﴾ في صنعه. قرأ نافع (أَوْ يُرْسِلُ) برفع اللام على الاستئناف (فَيُوحِي) بإسكان الياء عطف على (يُرْسِلُ)؛ أي: ما جاز أن يفهم ما عنده تعالى أحد من البشر إلا من هذه الأوجه الثلاثة، أو بعضها، مع عدم الرؤية. وقرأ الباقون: بنصب اللام والياء عطفاً على محل (وَحْياً)[1]؛ لأنه بتأويل المصدر فـ (مِنْ) في (مِنْ وَرَاءِ) متعلقة بمحذوف تقديره: إلا أن يوحي، أو أن يُسمع من وراء حجاب، أو أن يرسل، و(فيوحي) عطف على (يُرْسل)، وتقدم التنبيه على اختلافهم في الهمزتين من (يَشَاءُ إِنَّهُ) في الحرف المتقدم.

* * *

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿ وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومثل إيحائنا إلى الرسل.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٩٦).

﴿ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ ﴾ أي: نبوة؛ لأن الموحى إليه للدين كالروح للجسد.

﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي ﴾ قبل الوحي ﴿ مَا ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ أي: القرآنُ.

﴿ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾ يعني: شرائعه ومعالمه، والأنبياء كانوا مؤمنين قبل الوحي، وكان محمد ﷺ يعبد على دين إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وقيل: غيره.

في الحديث: أنه ﷺ كان يوحِّدُ، ويُبغض اللات والعزى، ويحج ويعتمر، ويتبع شريعة إبراهيم، وتقدم ذكر الخلاف في ذلك، وما كان يتعبد به قبل البعثة عند تفسير قوله: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾ [الآية: ١٣].

﴿ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ ﴾ أي: القرآنَ ﴿ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ ﴾ أي: نُرشد.

﴿ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ﴾ بالتوفيق للقبول.

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ ﴾ لتدعو ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ دينِ الإسلام.

* * *

﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ۝٥٣ ﴾.

[٥٣] وتبدل من (مُسْتَقِيمٍ) ﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ﴾ أي: شرعِ الله ورحمتِه وجنته.

﴿ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ ملكاً وخلقاً.

﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ أمور جميع الخلائق في الآخرة، وهي صائرة على الدوام إلى الله تعالى، وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين، والله أعلم.

* * *

سورة الزخرف

مكية إلا ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾، نزلت ببيت المقدس ليلة أُسري به ﷺ(1)، وآيها: تسع وثمانون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وأربع مئة حرف، وكلمها: ثماني مئة وثلاث وثلاثون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ①﴾.

[1] ﴿حمٓ﴾ خبر مبتدأ محذوف.

* * *

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ②﴾.

[2] ثم تبتدىء مقسماً ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ يعني: القرآن الذي أبان الهدى، وما تحتاج إليه الأمة.

* * *

(1) انظر: «تفسير الطبري» (21/612)، و«تفسير البغوي» (4/101)، و«تفسير القرطبي» (16/95).

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ ﴾ .

[٣] وجواب القسم: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ ﴾ أي: أنزلناه وبيناه، ويستحيل أن يكون بمعنى الخلق، وهو إخبار عليه وقع القسم، والضمير في (جَعَلْنَاهُ) عائد على (الْكِتَابِ).

﴿ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ بلسانكم؛ لئلا يبقى لكم عذر.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ تَرَجٍّ بحسب معتقد البشر؛ أي: إذا أبصر المبصر من البشر هذا الفعل منا، يرجى منه أن يعقل الكلام، ويفهم؛ لأنه لو نزل بغير لغتهم، ما فهموه.

* * *

﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤ ﴾ .

[٤] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: القرآن ﴿ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ في اللوح المحفوظ. قرأ حمزة، والكسائي: (إِمِّ) بكسر الهمزة حالة الوصل إتباعاً، وإذا ابتدأا، ضمَّاها، وبه قرأ الباقون في الحالين[١].

﴿ لَدَيْنَا ﴾ عندنا ﴿ لَعَلِىٌّ ﴾ رفيع الشأن ﴿ حَكِيمٌ ﴾ ذو حكمة بالغة.

* * *

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ ﴾ .

[٥] ثم استفهم منكراً فقال: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا ﴾ أفنترك

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠١).

عنكم الوحيَ وإنزالَ القرآن عفواً عنكم، وغفراً لإجرامكم ﴿أَن كُنتُمْ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف: (إِنْ كُنْتُمْ) بكسر الهمزة؛ أي: إذ كنتم، والباقون: بفتحها[1]؛ أي: لأن كنتم.

﴿قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ في كفركم، فلا تؤمرون ولا تنهون.

* * *

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ تسليةٌ لنبيه ﷺ.

* * *

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾﴾.

[٧] وذكرُ أسوةٍ له، ووعيد لهم وتهديد: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك.

* * *

﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾.

[٨] ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم﴾ أي: من قريش ﴿بَطْشًا﴾ نصب على التمييز.

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سلفَ في القرآن في غير موضع ذكرُ قصتهم التي يُسار بها لشهرتها مسيرَ الأمثال، وهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠١).

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ﴾.

[٩] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾ يعني: قومَك.

﴿ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ وهم مع ذلك يعبدون أصناماً، ويدعونها آلهتهم، ومقتضى جواب قريش أن يقولوا: خلقهن الله، فلما ذكر تعالى المعنى، جاءت العبارة عن الله تعالى بالعزيز العليم؛ ليكون ذلك توطئة لما عدَّدَهُ بعدُ من أوصافه التي ابتدأ الإخبار بها، وقطعها من الكلام الذي حكي معناه عن قريش.

* * *

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠ ﴾.

[١٠] وهو قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ فتستقرون فيها. قرأ الكوفيون: (مَهْداً) بفتح الميم وإسكان الهاء من غير ألف، والباقون: بكسر الميم وفتح الهاء وألف بعدها[١] ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ طرقاً تسلكونها ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ إلى مقاصدكم من بلد إلى بلد.

* * *

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٢).

﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ ﴾ بمقدار الحاجة، ولم يكن طوفاناً كالمرسَل على قوم نوح حتى أهلكهم.

﴿ فَأَنشَرْنَا ﴾ فأحيينا ﴿ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ مال عنه النماء، وذُكِّر؛ لأن البلدة بمعنى البلد. قرأ أبو جعفر: (مَيِّتاً) بتشديد الياء، والباقون: بتخفيفها(١).

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثلَ إحياء هذه البلدة الميتة بالمطر ﴿ تُخْرَجُونَ ﴾ من قبوركم أحياءً. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وابن ذكوان عن ابن عامر: (تَخْرُجُونَ) بفتح التاء وضم الراء، والباقون: بضم التاء وفتح الراء(٢).

* * *

﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ ﴾ الأصناف.

﴿ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ في البحر والبر.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٢-١٠٣).

﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ ذُكِّر الضمير رداً إلى لفظ (ما)؛ أي: لتثبتوا على ظهور ما تركبونه.

﴿ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ ﴾ عليكم ﴿ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ على مركوبكم.

﴿ وَتَقُولُوا ﴾ : ما نُقل عن النبي ﷺ حين وضع رجلَه في الركاب، وهو: «باسم الله»، فلما استوى على الدابة قال: «الحمد لله ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا ﴾»[١]؛ أي: ذلله. قرأ أبو عمرو: (سَخَّر لَّنا) بإدغام الراء في اللام[٢] ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ مُطيقين، ثم حمد الله ثلاثاً، وكبر ثلاثاً، ثم قال: «لا إله إلا الله، ظلمت نفسي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوبَ إلا أنت»[٣]، ويقال إذا ركب السفينة: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [هود: ٤١].

* * *

﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ لمنصرفون في المعاد.

---

(١) رواه أبو داود في «سننه» (٢٦٠٢)، كتاب: الجهاد، باب: ما يقول الرجل إذا ركب، والترمذي (٣٤٤٦)، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا ركب الناقة وقال: حسن صحيح، وأحمد في «المسند» (١/ ٩٧) من حديث عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٣).

(٣) انظر: تخريج الحديث السابق.

﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ﴾ (١٥) .

[١٥] ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ ﴾ أي: حكموا أن لله تعالى ﴿ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ ﴾ أي: نصيباً، وهو قولهم: الملائكة بنات الله؛ لأن الولد جزء الوالد. قرأ أبو جعفر: (جُزّاً) بتشديد الزاي بغير همز، وقرأ أبو بكر: بضم الزاي والهمز، والباقون: بالجزم والهمز[١].

﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ﴾ ظاهر الكفران.

* * *

﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ﴾ (١٦) .

[١٦] ثم جيء (بأَم) المنقطعة تجهيلاً لهم، فقيل: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ ﴾ تعالى لنفسه.

﴿ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم ﴾ أَخْلَصكم.

﴿ بِٱلۡبَنِينَ ﴾ هذا مستحيل في صفاته.

* * *

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (١٧) .

[١٧] ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ﴾ بالجنس الذي جعل له مثلاً؛ إذ الولد لا بد أن يماثل الوالد.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/١٠٣).

﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ أي: صار وجهه أسود.

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ والكظيم: الممتلىء غيظاً، الذي قد ردَّ غيظَه إلى جوفه، فهو يتجرَّعُه ويروم رده، وهذا محسوس عند الغيظ.

* * *

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ثم زاد توبيخهم وإفساد رأيهم بقوله: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (يُنَشَّأُ) بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين؛ أي: يُرَبَّى، وقرأ الباقون: بفتح الياء وإسكان النون وتخفيف الشين(١)؛ أي: يَنْبُتُ ﴿فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ في الزينة؛ يعني: النساء ﴿وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ بالحجة؛ من ضعفهن، والمعنى: أو يُجعل للرحمن من الولد(٢) مَنْ هذه صفتُه؟

* * *

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: (عِنْدَ) بالنون ساكنة وفتح الدال من غير ألف على أنه ظرف، وتصديقه قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وقرأ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٤).

(٢) «من الولد» زيادة من «ت».

الباقون: بالباء وألف بعدها ورفع الدال[1]، جمع عبد؛ لقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر: (أَأُشْهِدُوا) بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مضمومة مسهلة على أصلهما، مع إسكان الشين، وفصل بينهما بألف: أبو جعفر، وقالون على أصلهما؛ أي: أَأُحْضِروا، وقرأ الباقون: بهمزة واحدة مفتوحة وفتح الشين[2]؛ أي: أحضروا خلقَ الملائكة إناثاً؟ وهذا استهزاء بهم، وتوبيخ لهم.

روي أنه ﷺ قال: «وما يُدريكم أن الملائكةَ إناثٌ؟» قالوا: سمعنا من آبائنا، ونشهد بصدقهم، فنزل:

﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾[3] على آبائهم بأنوثة الملائكة هنا.

﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ عنها في الآخرة، فيجازون عليها.

* * *

﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ يعنون: الملائكة وغيرهم؛ أي: لولم يرض، لعجَّلَ عقوبتنا.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٩٤ـ٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٨ـ٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٥ـ١٠٦).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٩٥)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٧٣).

قال الله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ المقول ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ لأنهم لو قالوا: لو شاء الرحمن، معتقدين ذلك، لوصفوا بالعلم، ولمدحوا على ذلك، وأيضاً فحال الكافر يقتضي الاستهزاء بالمؤمن في كل وقته، ويدل على استهزائهم أيضاً أن قيل: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون.

* * *

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ثم زادهم توبيخاً فقال: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله ﴿فَهُم بِهِۦ﴾ بالكتاب[1] ﴿مُسْتَمْسِكُونَ﴾.

* * *

﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] فلم يجيبوا انقطاعاً، ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ طريقة وملة.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ جعلوا أنفسهم باتباع آبائهم مهتدين، فلا حجة لهم على ذلك غير تقليد آبائهم الجهلة.

* * *

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ أغنياؤها ورؤساؤها:

---

(١) «بالكتاب» زيادة من «ت».

﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ متبعون.

***

﴿ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ ۞ قَٰلَ ﴾ قرأ ابن عامر، وحفص: (قَالَ) على الخبر، **وقرأ** الباقون: (قُلْ) على الأمر[١] ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكُم ﴾ ألف الاستفهام دخلت على واو العطف. **قرأ** أبو جعفر: (جِئْنَاكُمْ) بنون وألف على الجمع، ويبدل الهمزة ياء ساكنة، ويصل الميم بواو في اللفظ حالة الوصل على أصله، **وقرأ** الباقون: بالتاء مضمومة على التوحيد، وأبو عمرو يبدل الهمزة كأبي جعفر، وابن كثير وقالون يصلان الميم بخلاف عن الثاني[٢].

﴿ بِأَهْدَىٰ ﴾ بدينٍ أصوبَ.

﴿ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ﴾ أتتبعون آباءكم، فأبوا أن يقبلوا.

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ ﴾ أيها الرسل.

﴿ كَٰفِرُونَ ﴾ أي: ثابتون على الكفر.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٨).

﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ بإهلاكهم .

﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وعيد لقريش، وضربُ مثل لمن سلف من الأمم المعذَّبة المكذِّبة بأنبيائها كما كذبت هي برسول الله ﷺ .

* * *

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ أي: واذكر وقتَ قولِه ﴿ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ ﴾:

﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ ﴾ أي: متبرىء ولا يُثنَّى (البراءُ) ولا يجمع ولا يؤنث؛ لأنه مصدر وُضع موضعَ النعت ﴿ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ من آلهتكم .

* * *

﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن الذي فطرني لا أبرأ منه .

﴿ فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ يرشدني، قال هنا: (سَيَهْدِينِ)، وقال في الشعراء [الآية: ٧٨]: (يَهْدِينِ)؛ للإيذان بدوام الهداية حالاً واستقبالاً. قرأ يعقوب: (سَيَهْدِينِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[١] .

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٩).

﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ وَجَعَلَهَا ﴾ إبراهيم ﴿ كَلِمَةًۢ ﴾ يعني : كلمة التوحيد .

﴿ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾ ذريته ، فلا يزال فيهم من يوحد الله .

﴿ لَعَلَّهُم ﴾ أي : كفار مكة ﴿ يَرْجِعُونَ ﴾ إلى الإيمان إذا علموا أن أباهم إبراهيم أوصى بذلك ، وهي قوله ـ عز وجل ـ : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢] .

* * *

﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ المشركين بدنياهم ﴿ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ القرآنُ ﴿ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ يبين الأحكام ويوضحها ، وهو محمد ﷺ .

* * *

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ القرآنُ ؛ لينبههم عن غفلتهم ، جاؤوا بما هو أقبح من غفلتهم ؛ حيث ﴿ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ ضموا إلى شركهم : معاندةَ الحق ، واستخفافَ القرآن ، واستحقارَ الرسول ﷺ .

* * *

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ .

[٣١] ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا ﴾ هلاَّ ﴿ نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ ﴾ مكةَ

والطائفِ ﴿عَظِيمٍ﴾ في رئاسته بالمال والجاه، يعنون: الوليد بن المغيرة المخزومي بمكة، وعروةَ بنَ مسعود الثقفي بالطائف، وقيل غيرهما.

* * *

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾.

[٣٢] ثم قال تعالى: على جهة التوبيخ لهم: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ أي: نبوَّتَه، فيجعلون من شاؤوا أنبياء مع عجزهم؟ و(رَحْمَت) رسمت بالتاء في سبعة مواضع، ووقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب[1]. ثم قال تعالى:

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ ما يعيشون به ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لأنا قادرون على ذلك.

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالفقر والغنى، والحرية والرق ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ بضم السين باتفاق القراء؛ من التسخير؛ أي: ليسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل، فيكون بعضهم لبعض سبب معاش، فيلتئم قوام أمر العالم.

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ الجنة ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الأموال.

* * *

(١) وقد سلفت عند تفسير الآية (٢١٨) من سورة البقرة.

﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ثم أومأ تعالى إلى أن لا قدر للدنيا عنده بقوله: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ أي: لولا أن يصيروا كلهم كفاراً، فيجتمعون على الكفر.

﴿ لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ وتبدل من (لِمَنْ) ﴿ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (سَقْفاً) بفتح السين وإسكان القاف مفرداً، وقرأ الباقون: بضم السين والقاف جمعاً[١].

﴿ وَمَعَارِجَ ﴾ مصاعِدَ، جمع مَعْرَج ﴿ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ يعلون إلى السطح.

* * *

﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا ﴾ من فضة ﴿ عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴾ قرأ أبو جعفر: (يَتَّكُونَ) بضم الكاف وإسكان الواو من غير همز، والباقون: بكسر الكاف والهمز[٢].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١١).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١٢).

﴿ وَزُخْرُفًاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ وَزُخْرُفًاۚ ﴾ ذهباً؛ أي: لولا الخوف على المؤمن، لأعطينا الكافر هنا عطاءً جزيلاً؛ إذ لاحظ له في الآخرة في النعيم.

﴿ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ لَمَّا ﴾ قرأ عاصم، وحمزة، وابن جماز عن أبي جعفر، وهشام بخلاف عنه: (لَمَّا) بتشديد الميم، فتكون (إِنْ) نافية بمعنى (ما)، و(لَمَّا) بمعنى (إلاَّ)، تقديره: وما كلُّ ذلك إلاَّ، وقرأ الباقون: بتخفيف الميم[١]، فتكون (إِنْ) مخففة من الثقيلة، و(لَمَا) بمعنى الذي، والعائد عليها من صلتها محذوف، والتقدير: وإنْ كلُّ ذلك لَلَّذِي هو.

﴿ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ ﴾ تلخيصه: حطام الدنيا يزول، وقد يشترك فيه المؤمن والكافر في الدنيا.

﴿ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ ﴾ أي: الجنة خاصة ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الكفرَ.

قال ﷺ: «لو كانتِ الدنيا تزنُ عندَ الله جناحَ بعوضة، لما سقى منها كافراً شربةَ ماء»[٢].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١٢-١١٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٠)، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل وقال: صحيح غريب، وابن ماجه (٤١١٠)، كتاب: الزهد، باب: مثل الدنيا. من حديث سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَمَن يَعْشُ ﴾ يُعرض ﴿ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ فلم يخفْ عقابه، والمراد بذكر الرحمن: القرآن[١].

[قال رسول الله ﷺ: «عليكم بلا إلهَ إلا اللَّهُ، والاستغفار، وأكثروا منهما؟ فإن إبليس قال: أهلكتُ الناسَ بالذنوب، وأهلكوني بالاستغفار، ولا إله إلا الله، فلما رأيت ذلك، أهلكتهم بالأهواء، وهم يحسبون أنهم مهتدون»][٢][٣].

﴿ نُقَيِّضْ ﴾ نسبب ﴿ لَهُۥ شَيْطَٰنًا ﴾ نسلطه عليه. قرأ يعقوب: (يُقَيِّضْ) بالياء؛ أي: الرحمن، وقرأ الباقون: بالنون، واختلف عن أبي بكر راوي عاصم[٤].

﴿ فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ لا يفارقه يغويه دائماً.

* * *

---

(١) «القرآن» زيادة من «ت».

(٢) ما بين معكوفتين ساقطة من «ت».

(٣) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٦)، من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٠٧): فيه عثمان بن مطر. وهو ضعيف.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٩٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١٤).

﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

[٣٧] ﴿ وَإِنَّهُمْ ﴾ يعني: الشياطين ﴿ لَيَصُدُّونَهُمْ ﴾ يمنعون العاشِين.

﴿ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ عن طريق الهدى ﴿ وَيَحْسَبُونَ ﴾ كفارُ الإنس ﴿ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.

* * *

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

[٣٨] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (جَاءَانَا) بألف بعد الهمزة على التثنية؛ أي: العاشي والشيطان، وقرأ الباقون: بغير ألف على التوحيد(١)؛ أي: إذا جاء العاشي القيامةَ، ورأى أهوالَها ﴿ قَالَ ﴾ لشيطانه تندماً:

﴿ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ﴾ أي: بُعْدَ ما بينَ المشرق والمغرب، فغلِّب المشرقُ كتغليب القمر في القمرين للشمس والقمر.

﴿ ٱلْقَرِينُ ﴾ الشيطانُ.

* * *

﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

[٣٩] فعند دخول العاشين النار يقال لهم: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ في الآخرة.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٩٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١٤_١١٥).

﴿إِذ ظَّلَمۡتُمۡ﴾ أشركتم في الدنيا ﴿أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾ أي: لا ينفعكم الاشتراك في العذاب، ولا يخفف الاشتراك عنكم شيئاً منه؛ لأن لكل واحد منهم[1] من الكفار والشياطين الحظَّ الأوفرَ من العذاب.

* * *

﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ولما كان ﷺ يبالغ في طلب إيمان الكفار، نزل إيماءً إلى أن لا نافعَ إلا هو تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ والمراد: من حقت عليه كلمة العذاب.

* * *

﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ﴾ يا محمد؛ بأن نُميتك قبلَ تعذيب الكفار، هنا قرأ رويس عن يعقوب: (نَذْهَبَنْ) (أو نُرِيَنْكَ) بإسكان النون مخففة فيهما، والباقون: بفتحها مشددة فيهما[2].

﴿فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ بعدك بالقتل وفي الآخرة بالعذاب.

* * *

---

(١) «منهم» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١٥-١١٦).

﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤٢] ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ ﴾ في حياتك ﴿ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ ﴾ به من العذاب إن لم يؤمنوا .

﴿ فَإِنَّا عَلَيْهِم ﴾ وعلى إهلاكهم ﴿ مُّقْتَدِرُونَ ﴾ قادرون .

* * *

﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾ وهو القرآن ، واعمل به ، أمرٌ له ﷺ ، والمرادُ غيرُه .

﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ لا عِوَجَ له .

* * *

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي : القرآن ﴿ لَذِكْرٌ ﴾ لشرفٌ ﴿ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ قريش .

﴿ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ عن القيام بحق القرآن .

* * *

﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

[٤٥] ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾ أي : الأنبياء الذين لقيتَهم ليلةَ الإسراء ، وهم سبعون جُمعوا له ببيت المقدس :

﴿ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ ومعنى السؤال : التقريرُ لمشركي

مكة أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل، فلم يشكك ﷺ، ولم يسألهم، وكان أثبت يقيناً من ذلك، وتقدم ذكر ذلك في سورة الإسراء في قصة المعراج. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (وَسَلْ) بالنقل، والباقون: بالهمز، وقرأ أبو عمرو: (رُسْلِنا) بإسكان السين، والباقون: بضمها[1].

* * *

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ وهذه آية ضرب مثل وأسوة لمحمد ﷺ بموسى عليه السلام، ولكفار قريش بقوم فرعون وملئه، والآيات التي أرسل بها موسى هي التسع وغيرها.

* * *

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً.

* * *

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١٦).

[٤٨] ﴿وَمَا نُرِيهِم﴾ أي: القبطَ ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ كالطوفان والجراد والضفادع.

﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ التي قبلها؛ ليكون العذاب أعظم. قرأ يعقوب: (نُرِيهِمُ) بضم الهاء، وقرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وقالون بخلاف عنه: (نُرِيهِمُو) بصلة الميم بواو في اللفظ[1] حالة الوصل، والباقون: بكسر الهاء وإسكان الميم[2].

﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ بالسنين، والطوفان، وغيرهما.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم.

* * *

﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] وعند مجيء موسى ـ عليه السلام ـ بالآيات، ذلوا ﴿وَقَالُوا۟﴾ تعظيماً له:

﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ أي: العالم الكامل. قرأ ابن عامر: (يَا أَيُّهُ) بضم الهاء في الوصل، والباقون: بفتحها، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: يقفون (يَا أَيُّهَا) بالألف، والباقون: بغير ألف[3] ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ﴾ أي:

---

(١) «في اللفظ» زيادة من «ت».

(٢) انظرها عند تفسير الآية (٦) من سورة البقرة.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦١ـ١٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١٧ـ١١٨).

بعهده ﴿عِندَكَ﴾ أنك مجاب الدعوة.

﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ مؤمنون، وعدٌ منهم معلن بشرط الدعاء.

* * *

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾ بدعاء موسى.

﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ ينقضون عهدَهم، ويُصِرُّون على كفرهم.

* * *

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ افتخاراً.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ وهو من نحو الإسكندرية إلى أسوان بطول النيل ﴿وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ﴾ وهي الخلجان الكبار الخارجة من النيل، وأعظمها نهر الإسكندرية، وتنبس، ودمياط، ونهر طولون ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ أي: من تحت قصوري وسريري، وبين يدي[1]، وفي بساتيني.

قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي ـ رحمه الله ـ يوماً في قول فرعون: ﴿وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾: ويحه! افتخر بنهر ما أجراه ما أجراه. قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب، وقنبل عن ابن كثير: (تَحْتِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[2].

---

(١) «وبين يدي» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، =

﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ عظمتي؟

* * *

﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿ أَمْ ﴾ أي: بل ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ ﴾ ضعيف حقير.

﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ معنى كلامه إشارة إلى العقدة في لسانه التي حدثت بسبب الجمرة.

* * *

﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ فَلَوْلَآ ﴾ فهلاَّ ﴿ أُلْقِىَ عَلَيْهِ ﴾ إن كان صادقاً ﴿ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ ﴾ جمع سِوار؛ لأنهم إذا سَوَّدوا رجلاً، ألبسوه أسورة ذهب، وطوقوه طوق ذهب، فقال فرعون: هلاَّ ألقى رب موسى عليه من السماء أسورة من ذهب إن كان سيداً تجب طاعته. قرأ يعقوب، وحفص عن عاصم: (أَسْوِرَةٌ) بإسكان السين من غير ألف بعدها جمع سوار، وقرأ الباقون: بفتح السين وألف بعدها[1]، جمع أسورة، وهي جمع الجمع.

﴿ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ متتابعين يشهدون بصدقه.

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١٨).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١٩-١٢٠).

﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

[٥٤] ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ ﴾ استعجلهم وطلب خِفَّتهم، وطلب[١] إجابتهم إلى غرضه ﴿ فَأَطَاعُوهُ ﴾ فيما يريده.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ فلذلك أطاعوا ذلك الفاسق.

* * *

﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

[٥٥] ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ أغضبونا[٢].

﴿ ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ في اليم.

* * *

﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

[٥٦] ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي: بضم السين واللام، جمع سَليف؛ من سلَفَ؛ أي: تقدم، وقرأ الباقون: بفتحهما[٣]، جمع سالف؛ أي: جعلناهم متقدمين؛ ليتعظ بهم الآخرون ﴿ وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ بعدَهم، يتمثلون بحالهم، فلا يُقْدِمون على مثل فعالهم.

* * *

---

(١) «وطلب» ساقطة من «ت».

(٢) «أغضبونا» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٠).

﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا ﴾ في خلقه من غير أب، فشبه بآدم في خلقه من غير أب ولا أم، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

﴿ إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وعاصم، وحمزة: بكسر الصاد؛ أي: يَضِجُّون، يقولون: ما يريد محمدٌ منا إلا أن نعبده ونتخذه إلهاً؛ كما عبدت النصارى عيسى، وقرأ الباقون: بضم الصاد(١)؛ أي: يعرضون.

* * *

﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ ﴾ يعنون محمداً، فنعبده ونترك آلهتنا. قرأ الكوفيون، وروح عن يعقوب: (أَآلِهَتُنَا) بتحقيق الهمزتين، وقرأ الباقون: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية(٢)، ولم يدخل هنا أحد بينهما ألفاً؛ لئلا يصير اللفظ في تقدير أربع ألفات: الأولى همزة الاستفهام، والثانية الألف الفاصلة، والثالثة همزة القطع، والرابعة المبدلة من الهمزة الساكنة، وذلك إفراط في التطويل، وخروج عن كلام العرب.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٠٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٦٤_٣٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢١_١٢٢).

﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ ﴾ أي: هذا المثلَ، وهو ﴿ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ ﴾.

﴿ إِلَّا جَدَلَۢاۚ ﴾ خصومة بالباطل.

﴿ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ لُدٌّ شديدو الخصومة، والجدل: فتل الخصم عن قصده؛ لطلب صحة قوله، وإبطال غيره، وهو مأمور به على وجه الإنصاف وإظهار الحق بالاتفاق.

* * *

﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ إِنۡ هُوَ ﴾ أي: عيسى ﴿ إِلَّا عَبۡدٌ ﴾ مربوبٌ، فلا يجوز أن يكون إلهاً، لكن ﴿ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ ﴾ بالنبوة ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا ﴾ آية ﴿ لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ يستدلون بها على قدرة الله على خلقه من غير أب.

* * *

﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم ﴾ أي: أهلكناكم، وجعلنا بدلاً منكم.

﴿ مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴾ يكونون خلفاً منكم.

* * *

﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: نزول عيسى ﴿ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ ﴾ أي: شرط من أشراط الساعة.

﴿ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ لا تشكُّنَّ فيها ﴿ وَٱتَّبِعُونِۚ﴾ على التوحيد.

﴿هَٰذَا﴾ الذي آمرُكم به ﴿ صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ لا يضل سالكه. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر: (وَاتَّبِعُونِي) بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، والباقون: بحذفها في الحالين(١).

* * *

﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾.

[٦٢] ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ﴾ يصرفنَّكم ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُۖ﴾ عن دين الله.

﴿ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بيِّنُ العداوة.

* * *

﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾﴾.

[٦٣] ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ ﴾ بني إسرائيل ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالمعجزات والشرائع ﴿ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ بشرائع الإنجيل ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ﴾ من أحكام التوراة؛ لأنهم اختلفوا في أمر الدين وغيره، فبين لهم أمر الدين دون أمر الدنيا.

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ قرأ يعقوب: (وَأَطِيعُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها(٢).

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٣).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٤).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

[٦٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ بيان لما أمرهم به، وهو التوحيد.

﴿ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ حكاية عن عيسى؛ إذ أشار إلى شرعه.

* * *

﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

[٦٥] ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ الذين تحزبوا من بني إسرائيل، فمنهم من آمن به، وهو قليل، وكفر الغير، وهذا إذ كان معهم حاضراً ﴿ مِنۢ بَيْنِهِمْ ﴾ من تلقائهم، ومن أنفسهم ثار شرهم، ولم يدخل عليهم اختلاف من غيرهم.

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ وهم المشركون.

﴿ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ هو يوم القيامة.

* * *

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

[٦٦] ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ أي: ينتظرون؛ يعني: قريشاً ﴿ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾ فجأة دون مقدمة ولا إنذار بها ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ لاشتغالهم بالدنيا.

* * *

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

[٦٧] ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ ﴾ على المعصية في الدنيا ﴿ يَوْمَئِذٍۭ ﴾ يومَ القيامة.

﴿ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ المتحابين في الله على طاعته؛ فإن خلتهم نافعة أبداً.

* * *

﴿ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ﴿ يَـٰعِبَادِ ﴾ أي: يقال للمتقين: يا عبادي. قرأ أبو بكر عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (يَا عِبَادِيَ) بفتح الياء، ووقفا عليها ساكنة، وأسكنها نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وابن عامر في الوصل والوقف، وحذفها الباقون في الحالين، وهذه الياء مثبتة في مصاحف المدينة والشام، محذوفة في مصحف أهل مكة والعراق[١].

﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] روي أن الناس يبعثون، وكلٌّ فزع، فينادي مناد: ﴿ يَـٰعِبَادِ ﴾ الآية، فيرجوها الناس كلهم، فإذا قيل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ فييئسون منها غير المسلمين[٢].

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦٣٩)، وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٠٦).

﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠ ﴾ .

[٧٠] ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴾ تُسَرُّون .

***

﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١ ﴾ .

[٧١] فإذا دخلوا الجنة، واستقروا فيها ﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ ﴾ بقِصاع ﴿ مِّن ذَهَبٖ ﴾ جمع صحيفة، وهي القصعة الواسعة ﴿ وَأَكۡوَابٖ ﴾ جمع كوب، وهي أباريق لا عرا لها ولا خراطيم؛ ليشرب الشارب من حيث شاء.

﴿ وَفِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿ مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ ﴾ تلذذاً. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وحفص عن عاصم: (تَشْتَهِيهِ) بزيادة هاء ضمير مذكر بعد الياء على الأصل، وكذلك هو في المصاحف المدنية والشامية، وقرأ الباقون: بحذفها استخفافاً، وكذلك هو في مصاحف العراق(١) ﴿ وَتَلَذُّ ﴾ أي: تلتذُّ به ﴿ ٱلۡأَعۡيُنُۖ ﴾ إذا شوهد.

﴿ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ دائمون.

***

﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢ ﴾ .

[٧٢] ﴿ وَتِلۡكَ ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿ ٱلۡجَنَّةُ ﴾ صفتها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٥).

﴿ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ المعنى: أن الجنة قد دخلت في ملككم كدخول الميراث في ملك وارثه؛ بفضل الله وهداه، وليس المعنى: أن أعمالهم أوجبت على الله دخولهم الجنة، وإنما حظوظُهم منها على قدر أعمالهم. قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وهشام عن ابن عامر: (أُورثتُّمُوها) بإدغام الثاء في التاء، وقرأ الباقون: بالإظهار(١).

* * *

﴿لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٧٣﴾.

[٧٣] ﴿لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ في الحديث: «لا ينزعُ رجلٌ من الجنة من ثمرها إلاَّ نبت مكانها مِثْلاها»(٢).

* * *

﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝٧٤﴾.

[٧٤] ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ وهم الكفار ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ خبر (إن).

* * *

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ۝٧٥﴾.

[٧٥] ﴿لَا يُفَتَّرُ﴾ لا يُخفَّف ﴿عَنۡهُمۡ﴾ العذابُ.

﴿وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ آيسون.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٥).

(٢) رواه البزار في «مسنده» (١٠/ ٤١٤ ـ «مجمع الزوائد» للهيثمي)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٤٩)، من حديث ثوبان رضي الله عنه. قال الهيثمي: وأحد إسنادي البزار ثقات.

﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

[٧٦] ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ ﴾ بأن وضعنا العذاب فيمن لا يستحقه .

﴿ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ بأن وضعوا العبادة فيمن لا يستوجبها، ووضعوا الكفر في جنب الله .

* * *

﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

[٧٧] ﴿ وَنَادَوْا۟ ﴾ عند طول مكثهم وشدة العذاب : ﴿ يَٰمَٰلِكُ ﴾ يدعون خازن النار ﴿ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ ﴾ أي : ليمتنا فنستريح ، قال مجيباً لهم بعد ألف سنة :

﴿ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ مقيمون في العذاب .

* * *

﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

[٧٨] ثم يقال لهم توبيخاً : ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم ﴾ أي أرسلنا إليكم رسولَنا .

﴿ بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ لما في اتباعه من إتعاب النفس ، وقد ورد لفظ القضاء في القرآن على عشرة أوجه : الأول : بمعنى الفراغ من الشيء ، ومنه قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ ﴾ [الآية : ٢٠٠] ، الثاني : بمعنى وجوب العذاب ، ومنه قوله تعالى في سورة البقرة أيضاً : ﴿ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [الآية : ٢١٠] ، الثالث : بمعنى تقدير المدة ، ومنه قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ ﴾ [الآية : ٢] ، الرابع : بمعنى التمام ، ومنه قوله في سورة الأنعام أيضاً : ﴿ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ﴾ [الآية : ٦٠] ،

الخامس: بمعنى الفصل، ومنه قوله في سورة يونس: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية: ٥٤]، السادس: بمعنى الختم، ومنه قوله في سورة يوسف: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [الآية: ٤١]، السابع: بمعنى الخبر، ومنه قوله في سورة الإسراء: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: ٤]، الثامن: بمعنى الأمر، ومنه قوله في سورة الإسراء أيضاً: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الآية: ٢٣]، التاسع: بمعنى الفعل، وهو قوله في طه: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [الآية: ٧٢]، العاشر: بمعنى الموت، ومنه قوله هنا: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، وقد ذُكر كل شيء من ذلك في محله.

* * *

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

[٧٩] ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟﴾ أحكموا: أهل مكة ﴿أَمْرًا﴾ في كيد محمد ﷺ؛ كما فعلوا في اجتماعهم على قتله في دار الندوة، إلى غير ذلك.

﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ كيدنا بإهلاكهم.

* * *

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

[٨٠] ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ ما يخطر ببالهم ﴿وَنَجْوَىٰهُم﴾ ما يتناجون بينهم جهراً ﴿بَلَىٰ﴾ نسمعُها ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الحفظةُ ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما يُسرون وما يُعلنون.

* * *

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ﴾ في زعمكم. قرأ حمزة، والكسائي: (وُلْدٌ) بضم الواو وإسكان اللام، والباقون: بفتحهما[١] ﴿ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ لله؛ فإنه واحد لا شريك له، ولا ولد، نزلت لما قيل: الملائكة بنات الله؛ تبكيتاً لهم. قرأ نافع، وأبو جعفر: (فَأَنَا أَوَّلُ) بالمد[٢].

* * *

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ثم نزه تعالى نفسه، فقال: ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾ الله[٣].

﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ يقولون؛ من الكذب، وخص السموات والأرض والعرش؛ لأنها أعظم المخلوقات.

* * *

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ ﴾ في باطلهم ﴿ وَيَلْعَبُوا۟ ﴾ في دنياهم.

﴿ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ فيه العذاب، وهو يوم القيامة. قرأ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٩ـ١٥٠)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٧).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٠ـ٢٣١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٧ـ١٢٨).

(٣) لفظ الجلالة «الله» سقط من «ت».

أبو جعفر: (يَلْقَوْا) بفتح الياء وإسكان اللام وفتح القاف من غير ألف قبلها، وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح اللام وألف بعدها وضم القاف[1].

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ أي: هو النافذ أمره في كل شيء، وهو المستحق لأن يُعبد في السماء والأرض.

﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في تدبير خلقه.

﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بصلاحهم. واختلاف القراء في الهمزتين من قوله: (فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ) كاختلافهم فيهما من قوله (عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ) في سورة النور [الآية: ٣٣].

* * *

﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ وَتَبَارَكَ ﴾ تعظَّمَ وتقدَّس.

﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ من جميع الموجودات.

﴿ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ أي: علمُ تحديدِ قيامها، والوقوف على تعيينه وحصره.

﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف،

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٨).

ورويس عن يعقوب: (يُرْجَعُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب، ومنهم روح عن يعقوب، ويعقوب على أصله في فتح حرف المضارعة وكسر الجيم[1].

* * *

﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ﴾ آلهتُهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ﴾ من دون الله ﴿ ٱلشَّفَٰعَةَ ﴾ كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن من شهد.

﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ وهم عيسى وعزير والملائكة، فإنهم عُبدوا من دون الله، ويملكون شفاعة بأن يملِّكها الله إياهم؛ إذ هم ممن شهد بالحق، وهو قول لا إله إلا الله كلمة التوحيد.

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم.

* * *

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ يُصْرَفون[2] عن عبادته.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٩).

(٢) «يصرفون» زيادة من «ت».

﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ ﴾ يعني: قول محمد ﷺ شاكياً إلى ربه: يا ربِّ ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ قرأ عاصم، وحمزة: (وَقِيلِهِ) بخفض اللام وكسر الهاء على معنى: وعندَه علمُ الساعة وعلمُ قيلِه: يا رب! وقرأ الباقون: بنصب اللام وضم الهاء[1]، ولها وجهان: أحدهما: معناه: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم، وقيلَه: يا رب! والوجه الثاني: وقالَ وقيلَه.

* * *

﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ﴿ فَٱصۡفَحۡ ﴾ فاعف ﴿ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ ﴾ أي: قولاً تسلم به من شرهم، ومعناه: المتاركة، ونسختها آية السيف.

﴿ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ وعيدٌ من الله لهم، وتسليةٌ للنبي ﷺ. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (تَعْلَمُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب[2]، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٨١٠) و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣١).

سورة الدخان

مكية إلا قوله: ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ ﴾ الآية، وآيها: تسع وخمسون آية، وحروفها: ألف وأربع مئة وأحد وثلاثون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وست وأربعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ ﴾.

[١] ﴿ حمٓ ﴾ تقدم الكلام في معناه ومذاهب القراء فيه أول سورة غافر، وتقدم إعرابه في أول الزخرف.

* * *

﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ تقدم تفسيره، وهو قَسَم أقسم الله به.

* * *

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] وجواب القسم: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ أي: الكتابَ، وهو القرآن ﴿ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍۚ ﴾ هي ليلة القدر على المشهور، ويأتي الكلام عليها في سورة القدر،

نزل فيها القرآن من أم الكتاب من السماء السابعة إلى السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل ـ عليه السلام ـ نجوماً في نيف وعشرين سنة، وقيل: هي ليلة النصف من شعبان، وسميت مباركة؛ لكثرة خيرها وبركتها على العالمين.

روي عن النبي ـ عليه السلام ـ: أنه قال: «ينزل الله ـ جل ثناؤه ـ ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيغفر لكل نفس، إلا إنساناً في قلبه شيء»[1]؛ أي: شركاً بالله.

وعنه ﷺ: «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان، حتى إن الرجل لينكح ويولد له، ولقد أخرج اسمه في الموتى»[2].

﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ للكافر بالعذاب.

* * *

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿فِيهَا﴾ في الليلة المباركة ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل[3] ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ محكم من خير وشر، وأجل ورزق، وكل ما هو كائن من السنة إلى السنة.

* * *

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٢٢)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٢٩)، من حديث القاسم بن محمد، عن أبيه أو عمه، عن جده أبي بكر رضي الله عنه، به. وإسناده ضعيف. قال العقيلي: وفي النزول في ليلة النصف من شعبان أحاديث فيها لين، والرواية في النزول في كل ليلة أحاديث ثابتة صحاح، فليلة النصف من شعبان داخلة فيها إن شاء الله.

(٢) رواه البيهقي في «شُعب الإيمان» (٣٨٣٩) عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس، مرسلاً.

(٣) «يفصل» زيادة من «ت».

﴿ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ أَمْرًا ﴾ أي : أنزلناه أمراً .

﴿ مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ محمداً ﷺ إلى عبادنا .

* * *

﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ قال ابن عباس : «رأفة مني بخلقي ، ونعمة عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل»[١] .

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوال العباد ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بأحوالهم .

* * *

﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ إن الله رب السموات والأرض . قرأ الكوفيون : (رَبِّ السَّمَوَاتِ) بالخفض رداً على قوله : (مِنْ رَبِّكَ) ، والباقون : بالرفع رداً على قوله : (هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) ، وإن شئت على الابتداء[٢] .

* * *

---

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٤/ ١١٢) .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٩٨) ، و«تفسير البغوي» (٤/ ١١٢) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣٦) .

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ﴾ لا شريك له ﴿ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ ﴾ بقدرته.

﴿ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ فأيقنوا أن القرآن تنزيله، وأن محمداً رسوله.

* * *

﴿ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ بَلۡ ﴾ إضراب قبله نفي مقدر؛ كأنه يقول: ليس هؤلاء ممن يؤمن، بل.

﴿ هُمۡ فِي شَكّٖ ﴾ من الساعة والقرآن ﴿ يَلۡعَبُونَ ﴾ استهزاء بك يا محمد.

* * *

﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ ﴾ فانتظر ﴿ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾ ظاهر، وذلك لما دعا النبي ﷺ على قريش فقال: «اللهم أَعِنِّي عليهم بسبعٍ كسبعِ يوسفَ»، فأخذتهم سَنَةٌ حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، فكان الجائع يرى بينه وبين السماء دخاناً من شدة الجوع، فجاء أبو سفيان النبيَّ ﷺ، وقال: يا محمد! تأمر بصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادعُ لهم؛ فإنهم لك مطيعون، فقرأ: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ ﴾ إلى ﴿ عَآئِدُونَ ﴾[١].

---

(١) رواه البخاري في (٤٤٩٦)، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الروم، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ـ. قال ابن بطَّال (١٩/ ١٧٢): كان ﷺ يدعو على المشركين على حسب ذنوبهم وإجرامهم، فكان يبالغ في الدعاء على مَن =

﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ﴾ يحيط بهم، فإذا غشيهم، قالوا: ﴿ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

* * *

﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ويقولون: ﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ مصدقون بنبينا.

* * *

﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] وعلم الله تعالى قولهم في حال الشدة: (إِنَّا مُؤْمِنُونَ) إنما هو عن حقيقة منهم، فدل على ذلك بقوله: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ كيف يتذكرون الإيمان عند نزول العذاب.

﴿ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ يبين لهم أحكام الدين؛ يعني: محمداً ﷺ.

* * *

= اشتد أذاه للمسلمين، ألا ترى أنه لمَّا يئس من قومه قال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر..» ودعا على أبي جهل، ودعا على الأحزاب بالهزيمة والزلزلة، فأجاب اللهُ دعاءه فيهم... فبالغ في الدعاء عليهم لشدة إجرامهم، ونهى عائشة عن الرد على اليهود باللعنة، وأمرها بالرفق في المقارضة لهم، والرد عليهم مثل قولهم، ولم يبح لها الزيادة والتصريح، فيمكن أن يكون كان ذلك منه ﷺ على وجه التألف لهم والطمع في إسلامهم. والله أعلم.

﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْاْ﴾ أعرضوا ﴿عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ﴾ أي: عُلِّم ما جاء به، وليس من عند الله، يقول هذا بعضُهم، وبعضهم يقول: إنه ﴿مَّجْنُونٌ﴾ .

* * *

﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلاً ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] قال تعالى: ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلاً ۚ ﴾ أي: زماناً يسيراً، وإن كشفناه عنكم.

﴿ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ إلى كفركم، فرفع عنهم القحط بدعاء النبي ﷺ، فعادوا إلى الشرك.

* * *

﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿يَوْمَ﴾ المعنى: ننتقم منكم إن عدتم إلى كفركم يوم.

﴿ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ وهو يوم بدر.

﴿ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ قرأ أبو جعفر: (نَبْطُشُ) بضم الطاء، والباقون: بكسرها[١]، والكسائي يميل الشين حيث وقف على هاء التأنيث.

* * *

﴿ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ بَلَونا ﴿قَبْلَهُمْ﴾ قبلَ قريش.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣٣).

﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴾ بالإمهال، وكثرة الأموال، فارتكبوا المعاصي.

﴿ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ على الله، وهو موسى بن عمران عليه السلام.

* * *

﴿ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] فقال لهم: ﴿ أَنْ أَدُّوٓاْ ﴾ سَلِّموا ﴿ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ﴾ بني إسرائيل؛ لأذهب بهم إلى الشام ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ على الوحي.

* * *

﴿ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَأَن لَّا تَعْلُواْ ﴾ تَطْغَوا ﴿ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ فتعصوه ﴿ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ حجة ظاهرة، ودليل واضح على رسالتي. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١].

* * *

﴿ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] فلما قال ذلك، توعدوه بالقتل، فقال:

﴿ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴾ أي: تقتلون. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، وعاصم، ويعقوب بخلاف عن أبي جعفر: (عُذْتُ)

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٨) و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣٨).

بـإظهـار الـذال عنـد التـاء(١)، والبـاقـون: بـإدغـامهـا(٢)، وقـرأ ورش: (تَرْجُمُونِي) بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، والباقون: بحذفها في الحالين(٣).

* * *

﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴾ فاعتزلوا أذاي باليد واللسان. واختلاف القراء في (فَاعْتَزِلُونِي) كاختلافهم في (تَرْجُمُونِ)، وورش بفتح الياء من (لِيَ)، والباقون يسكنونها.

* * *

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] فلم يؤمنوا ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ ﴾ عليهم ﴿ أَنَّ ﴾ أي: بأن. ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴾ مشركون.

* * *

﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] فقال الله تعالى: ﴿ فَأَسْرِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير:

---

(١) «عند التاء» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣٨).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣٨-١٣٩).

بوصل الألف، والباقون: بقطع الهمزة مفتوحة[1].

﴿بِعِبَادِيٓ﴾ بني إسرائيل ﴿لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وقومه ليقتلكم.

* * *

﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ﴾ ساكناً بعد أن انفرق؛ لأن موسى لما قطع البحر، عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم؛ خوفاً أن يتبعه فرعون وجنوده، فقيل له: اترك البحر كحاله حتى يدخله القبط.

﴿إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ﴾ أخبر موسى بإغراقهم؛ ليطمئن قلبه في ترك البحر كما جاوزه.

* * *

﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ثم ذكر ما تركوه بمصر، فقال: ﴿كَمۡ تَرَكُواْ﴾ (كَمْ) خبر للتكثير.

﴿مِن جَنَّٰتٖ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٖ﴾ روي أنها كانت متصلة من رشيد إلى أسوان، وقدر المسافة بينهما أكثر من عشرين يوماً. قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وابن ذكوان عن ابن عامر: (وَعِيُونٍ) بكسر العين، والباقون: بضمها[2].

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣٩ـ١٤٠).

(٢) المصدران السابقان.

﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ مجلس حسن، وسمي كريماً؛ لأنه مجلس الملوك.

* * *

﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ وَنَعْمَةٍ ﴾ ـ بفتح النون ـ: الترفُّه، وبالكسر: الإنعام، وـ بالضم ـ: المسرة، والتلاوة بالأول ﴿ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾ قرأ أبو جعفر: (فَكِهِينَ) بغير ألف بعد الفاء؛ أي: بَطِرين، وقرأ الباقون: بالألف[١]؛ أي: ناعمين.

* * *

﴿ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: أفعل بمن عصاني ﴿ وَأَوْرَثْنَاهَا ﴾ أي: أموالَ القبط.

﴿ قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ من بني إسرائيل.

* * *

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ ذلك أن المؤمن إذا مات، تبكي عليه السماء والأرض أربعين صباحاً، وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده، ولا لهم على الأرض عمل صالح فتبكي

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٤ـ٣٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤٠).

الأرض عليه، فأهلكوا، ولم يكن لهم قدر.

﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ مؤخَّرين عند نزول العذاب[1].

* * *

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ قتلِ الأبناء، واستحياءِ النساء، والتعبِ من العمل.

* * *

﴿مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] وتبدل من العذاب ﴿مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾ متكبراً[2].

﴿مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ في العتو.

* * *

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ مِنَّا بحالهم.

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: عالَمي زمانهم.

* * *

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ كفرق البحر، والمن والسلوى، وغيرها.

---

(١) «عند نزول العذاب» زيادة من «ت».

(٢) «متكبراً» زيادة من «ت».

﴿ مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴾ اختبار ظاهرَ، والله تعالى يختبر بالنعم كما يختبر بالنقم.

* * *

﴿ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ يعني: مشركي مكة ﴿ لَيَقُولُونَ ﴾ حين قيل لهم: إنكم تموتون ثم تحيون:

* * *

﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ التي في الدنيا ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾ بمبعوثين.

* * *

﴿ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ ﴾ الذين ماتوا ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ أنا نُبعث أحياء بعد الموت.

* * *

﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَـٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ثم خوَّفهم مثلَ عذاب الأمم الخالية، فقال: ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ ﴾ في القوة والمنعة.

﴿ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ هو الحِمْيَرِيُّ ملك اليمن، سمي بذلك؛ لكثرة أتباعه، وكل واحد منهم يسمى تُبَّعاً؛ لأنه يتبع صاحبه، وكان هذا يعبد النار، فأسلم

ودعا قومه إلى الإسلام، وهم حِمْيَر، فكذبوه، فذم الله قومه ولم يذمه، وكانت عائشة تقول: «لا تَسُبُّوا تبعاً؛ فإنه كان رجلاً صالحاً(١)»(٢)، وقال سعيد بن جبير: «هو الذي كسا البيت، وهو الذي بنى سمرقند، وكان اسمه أسعد(٣) أبو كرب بن مليك»(٤).

وعنه ﷺ أنه قال: «لا تَسُبُّوا تُبَّعاً؛ فإنه كان قد أسلم»(٥).

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم الكافرة ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ بالكفر.

* * *

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: بين الجنسين ﴿لَٰعِبِينَ﴾ لاهِين.

---

(١) «صالحاً» ساقطة من «ت».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٠)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١١٨).

(٣) «أسعد» زيادة من «ت».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١١٨)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ١٤٦).

(٥) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠١٣)، من حديث سهل بن سعد الساعدي، ورواه الطبراني أيضاً في «المعجم الكبير» (١١٧٩٠) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٥٧١) رواه أحمد من حديث سهل، ورواه الطبراني من حديث ابن عباس مثله، وإسناده أصلح من إسناد سهل.

﴿ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

[٣٩] ﴿ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ بالواجب المقتضي للخيرات .

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لقلة نظرهم .

* * *

﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

[٤٠] ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ ﴾ بين الخلائق ، وهو يوم القيامة .

﴿ مِيقَٰتُهُمْ ﴾ وقتُ اجتماع الخلائق .

﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ يوافي الأولون والآخرون .

* * *

﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

[٤١] وتبدَلُ من ﴿ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ ﴾ ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى ﴾ من قرابة ، وغيرها من موالي العتق والصدقة ﴿ عَن ﴾ أيّ ﴿ مَّوْلًى ﴾ كان ﴿ شَيْـًٔا ﴾ من العذاب ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ يُمنعون من العذاب .

* * *

﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤٢] ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ﴾ من المؤمنين ؛ فإنه يُشفع له ، ويُشَفَّع ، استثناء متصل .

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يُنصر منه من أراد تعذيبَه .

﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ لمن أراد أن يرحمه .

* * *

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴾ تقدم ذكرها في سورة الصافات. وقف ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب على (شَجَرَةَ) بالهاء[١].

* * *

﴿ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾ أي: كثير الإثم، وهو أبو جهل وأصحابه.

روي عن أبي الدرداء: «أنه أقرأ إنساناً ﴿ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾، فقال: طَعَامُ اليتيمِ، مراراً، فقال: قُلْ: طعامُ الفاجرِ يا هَذا»[٢]، وفي هذا دليل لمن يجوِّزُ إبدالَ كلمة بكلمة إذا أَدَّت معناها، وتقدم في الفصل الرابع أول التفسير ذكر الخلاف في جواز القراءة بالفارسية.

* * *

﴿ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ كَٱلْمُهْلِ ﴾ وهو دُرْدِيُّ الزيت ﴿ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴾ قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (يَغْلِي) بالياء على التذكير؛ يعني: المهل، وقرأ الباقون: بالتاء على التأنيث[٣]؛ يعني: الشجرة.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٨٤). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٤١٨).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١١٩)، و«النشر في=

﴿ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٦﴾ .

[٤٦] ﴿ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ كالماء الحار إذا اشتد غليانه .

* * *

﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝٤٧﴾ .

[٤٧] فيؤمر بإلقاء الكافر في النار، فيقال للزبانية: ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: (فَاعْتُلُوهُ) بضم التاء، والباقون: بكسرها، وهما لغتان[1]؛ أي: سوقوه بعنف ﴿ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ وسطه .

* * *

﴿ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٨﴾ .

[٤٨] ﴿ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ .

* * *

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝٤٩﴾ .

[٤٩] ثم يقال لأبي جهل: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ﴾ قرأ الكسائي: (أَنَّكَ) بفتح الهمزة؛ أي: لأنك ﴿أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ على سبيل التهكم، وقرأ الباقون: بكسرها على الابتداء[2] .

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤٢).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٢٠)، وباقي المصادر في التعليق السابق.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤٢ـ١٤٣).

﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ۝٥٠﴾.

[٥٠] وذلك أن أبا جهل كان يقول للنبي ﷺ: أنا أعز أهل الوادي، وأكرمُهم، فوالله لن تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئاً[١]، فثَمَّ يقال له:

﴿إِنَّ هَٰذَآ﴾ أي: الأمر الذي أنتم فيه ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ﴾ تشكُّون.

* * *

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ۝٥١﴾.

[٥١] ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (مُقَامٍ) بضم الميم على المصدر؛ أي: في إقامة، وقرأ الباقون: بالنصب[٢]؛ أي: مجلس ﴿أَمِينٖ﴾ من الفتن والمحن.

* * *

﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٥٢﴾.

[٥٢] ﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾ بدل من مقام ﴿وَعُيُونٖ﴾ تقدم اختلاف القراء في كسر العين وضمها من (عُيُونٍ) في الحرف المتقدم [الآية: ٢٥].

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٨) عن قتادة، وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٢٠)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ١٥١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤٣).

﴿ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣ ﴾ .

[٥٣] ﴿ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ ﴾ وهو ما رَقَّ من الديباج ﴿ وَإِسۡتَبۡرَقٖ ﴾ وهو ما غَلُظ منه ﴿ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض؛ لدوران الأسرة بهم.

* * *

﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ۝٥٤ ﴾ .

[٥٤] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: والأمر كذلك ﴿ وَزَوَّجۡنَٰهُم ﴾ قَرَنَّاهم.

﴿ بِحُورٍ عِينٖ ﴾ عِظامِ العيون حسانها، نقيات البياض؛ أي: جعلناهم اثنين اثنين، ذكراً وأنثى، ليس من عقد التزويج.

* * *

﴿ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥ ﴾ .

[٥٥] ﴿ يَدۡعُونَ فِيهَا ﴾ يطلبون في الجنة أن يجاؤوا ﴿ بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ﴾ اشتهوها ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ من انقطاعها ومضرتها، ومن كل مخوف.

* * *

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥٦ ﴾ .

[٥٦] ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ ﴾ التي في الدنيا.

﴿ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ .

* * *

﴿ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٥٧ ﴾ .

[٥٧] ﴿ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ﴾ أي: أُعطوا ذلك تفضلاً منه ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ .

* * *

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥٨ ﴾ .

[٥٨] ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ ﴾ أي: القرآن ﴿ بِلِسَانِكَ ﴾ بلغتك؛ لتفهمه العرب عنك ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يتعظون فيؤمنون .

* * *

﴿ فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ٥٩ ﴾ .

[٥٩] ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ ﴾ فانتظر نصرَنا لك ﴿ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ﴾ فيما يظنون الدوائرَ عليك، وفي هذه الآية وعد له ﷺ، ووعيد لهم، وفيه متاركة لهم، وهذا وما جرى مجراه منسوخ بآية السيف، والله أعلم .

* * *

سُورَةُ الجَاثِيَة

مكية إلا ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ﴾ الآية، وآيها: سبع وثلاثون آية، وحروفها: ألفان ومئة وواحد وتسعون حرفاً، وكلمها: أربع مئة وثمان وثمانون كلمة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ١﴾.

[١] ﴿حمٓ﴾ مبتدأ.

* * *

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾.

[٢] خبره ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ﴾ في شدةِ أخذه إذا انتقم، ودفاعِه إذا حمى ونصر ﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ المحكِم للأشياء.

* * *

﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣﴾.

[٣] ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: في خلقها ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ لدلالاتٍ على قدرته تعالى وتوحيده ﴿لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ المصدِّقين.

﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ .

[٤] ﴿ وَفِي ﴾ تغيير ﴿ خَلْقِكُمْ ﴾ من حال إلى حال دلالة أيضاً على ذلك .

﴿ وَمَا يَبُثُّ ﴾ يفرّق في الأرض ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ هي كل حيوان يدب .

﴿ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ بالبعث . قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (آيَاتٍ) بكسر التاء رداً على قوله: (لآيَاتٍ)، وهي موضع النصب، وقرأ الباقون: بالرفع على الاستئناف[١] .

* * *

﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

[٥] ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ﴾ جر بـ(في) غير الأولى، التقدير: وفي اختلاف .

﴿ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ بالنور والظلام .

﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ ﴾ أي: مطر؛ لأنه سبب الرزق .

﴿ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ يبسها .

﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ﴾ باختلاف جهاتها وأحوالها .

﴿ ءَايَٰتٌ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي: (الرِّيحِ) بغير ألف على التوحيد (آيَاتٍ) بكسر التاء، وقرأ خلف: (الرِّيحِ) على التوحيد، (آيَاتٌ) بالرفع، وقرأ يعقوب: (الرِّيَاحِ) بألف على الجمع، (آيَاتٍ) بالكسر، وقرأ الباقون:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤٧)، وقراءة (آياتٍ) بكسر التاء هي قراءة يعقوب أيضاً .

(الرِّيَاحِ) على الجمع، (آياتٌ) بالرفع[1]، تلخيصه: إن في المذكور لدلالاتٍ على الوحدانية ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الدليلَ، فيؤمنون.

***

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿تِلْكَ﴾ الآيات المذكورات.

﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق والإعلام بحقائق الأمور في أنفسها.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أي: بعد كتابه ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾ معجزاتِ أنبيائه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ توبيخ وتقريع، وفيه قوة التهديد. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وروح، وحفص: (يُؤْمِنُونَ) بالغيب موافقة لما قبله، وقرأ الباقون: بالخطاب[2] على معنى: قل لهم يا محمد: فبأي حديث تؤمنون؟

***

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ وهو النضر بن الحارث.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٢٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧١-٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤٨-١٤٩).

﴿ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ صفة أثيم ﴿ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ ﴾ يقيم على كفره .

﴿ مُسْتَكْبِرًا ﴾ عن الإيمان ، وجيء بـ(ثم) هنا ؛ لاستبعاد الإصرار على الكفر بعد سماع القرآن .

﴿ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ أي : كأنه ، فخفف ، وحذف ضمير الشأن ، المعنى : يصر على الكفر مثلَ غير السامع .

﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ فقتل يوم بدر صبراً .

* * *

﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ ﴾ .

[٩] ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا ﴾ أي : جميعَ الآيات ؛ لمبالغته في الكفر ﴿ هُزُوًا ﴾ سخرية ؛ كفعل أبي جهل حيث أطعمهم الزبد والتمر ، وقال : تزقَّموا ، فهذا ما يتوعدكم به محمد . قرأ حفص : (هُزُواً) بضم الزاي ونصب الواو بغير همز ، وحمزة وخلف : بإسكان الزاي والهمز ، والباقون : بضم الزاي والهمز[1] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ أي : الأفاكون .

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ذكر بلفظ الجمع إشارة إلى كل أفاك أثيم ؛ لشموله الأفاكين .

* * *

---

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٣٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤٩) .

﴿ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ مِّن وَرَآئِهِمْ ﴾ أي: أمامهم ﴿ جَهَنَّمُ ﴾ وأصله ما توارى عنك من خلف أو قدام ﴿ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ ﴾ من الأموال.

﴿ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الأصنام.

﴿ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ لا يتحملونه.

* * *

﴿ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ هَٰذَا ﴾ أي: القرآن ﴿ هُدًى ﴾ بيانٌ من الضلالة.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ والرجز: أشد العذاب. قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: (أَلِيمٌ) بالرفع صفة (عَذَابٌ) والباقون: بالجر صفة (رِجْزٍ)[١].

* * *

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ على ضعفكم.

﴿ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ ﴾ بتسخيره وأنتم راكبوها.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٠١ـ٢٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٠).

﴿ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بالتجارة والصيد وغيرهما.

﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم.

* * *

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ من الشمس والقمر والنجوم، والسحاب والرياح والهواء، والملائكة الموكلة بهذا كله ﴿ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من البهائم والمياه والأودية والجبال، وغير ذلك ﴿جَمِيعًا مِّنْهُۚ﴾ أي: كلُّ إنعام فهو من فضله تعالى؛ لأنه لا يستحق أحد عليه شيئاً، بل هو يوجبه على نفسه تكرماً.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنع الله تعالى.

* * *

﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ اغفروا ﴿ يَغْفِرُواْ﴾ يعفوا ويصفحوا.

﴿ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾ وقائعه في الأمم الماضية، ولا يخشون نقمته.

﴿ لِيَجْزِيَ﴾ الله ﴿قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ من الإحسان والغفر للكافر، نزلت في عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، وذلك أن رجلاً من بني غفار

شتمه بمكة، فهمَّ عمر أن يبطش به، فأنزل الله الآية، وأمره أن يعفو عنه[1].

قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف: (لِنَجْزِيَ) بالنون التي للعظمة، وقرأ الباقون، ومنهم أبو جعفر: بضم الياء وفتح الزاي مجهولاً، وجاءت أيضاً عن عاصم[2]، وهذا على أن يكون التقدير: ليُجْزى الجزاءُ قوماً، ونظيره (وَنُجِّي الْمُؤْمِنِينَ) على قراءة ابن عامر وأبي بكر في سورة الأنبياء؛ أي: نُجِّي النَّجاءُ المؤمنين، وتقدم التنبيه على ذلك في محله.

* * *

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ ﴾ ثوابُه ﴿ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ﴾ عقابُه.

﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ فيجازيكم بأعمالكم. قرأ يعقوب: (تَرْجِعون) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم[3].

* * *

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ التوراة.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٨٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥١).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٢).

﴿ وَٱلْحُكْمَ ﴾ الحكمة والفقه ﴿ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ﴾ الحلالات؛ كالمن والسلوى.

﴿ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ عالَمي زمانهم.

* * *

﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُم بَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُم بَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾ دلالاتٍ على العلم بمبعث محمد ﷺ.

﴿ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ ﴾ في محمد ﷺ، وكفروا ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ به، وبالدين ﴿ بَغْيًۢا ﴾ أي: لبغي حدث ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ حسداً وعداوة له ﷺ.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ بالمؤاخذة والمجازاة.

* * *

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ ﴾ سنة وطريقة مسلوكة.

﴿ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ أمر الدين.

﴿ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ هم رؤساء قريش كانوا يقولون له: ارجع إلى دين آبائك.

﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ ﴾ لن يدفعوا.

﴿ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: من عذاب الله(١).

﴿ شَيْـًٔا ﴾ إن اتبعت أهواءهم.

﴿ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ فوالِهِ بالتقوى واتباع الشريعة.

* * *

﴿ هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ هَـٰذَا ﴾ أي: القرآن ﴿ بَصَـٰٓئِرُ ﴾ معالِمُ ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ يتبصرون بها دينهم.

﴿ وَهُدًى ﴾ من الضلال ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ بالبعث.

* * *

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ولما قال نفر من مشركي مكة للمؤمنين: لئن كان ما تقولون من البعث حقاً، لنُفَضَّلَنَّ عليكم في الآخرة كما فُضِّلنا في الدنيا، نزل إنكاراً

(١) «الله»: لفظ الجلالة لم يرد في «ت».

عليهم، وأنْ لا مساواة بينهم: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟﴾[1] اكتسبوا.

﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾ أن نُصيِّرهم.

﴿كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مثلَهم.

﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (سَوَاءً) بالنصب؛ أي: نجعلهم سواءً؛ يعني: أحسبوا أن حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين سواء؟ كلا، وقرأ الباقون: بالرفع على الابتداء والخبر[2]؛ أي: محياهم ومماتهم سواء، فالضمير فيهما يرجع إلى المؤمنين والكافرين جميعاً، وقرأ الكسائي: (مَحْيَاهُمْ) بالإمالة، والباقون: بالفتح[3]، المعنى: لا يستويان في موتهما كما استويا في حياتهما، لأن المؤمن والكافر قد استويا في الرزق والصحة والمرض وغيرها في الدنيا، وافترقا في الآخرة بالجنة والنار ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بئس ما يقضون.

* * *

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ لما فيه من فيض الخيرات، وليدل على قدرته تعالى ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب، ولا بتضعيف عقاب.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٨٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٢-١٥٣).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٣).

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ونزل توبيخاً لمن عبد غيرَ الله كالأصنام بهوى نفسه:

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة، فإذا وجدوا شيئاً أحسن من الأول، رموه أو كسروه وعبدوا الآخر.

﴿ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ من الله تعالى بأنه من أهل النار، وقيل: على علم من الضال بطريق الهداية بأن ضل عناداً.

﴿ وَخَتَمَ ﴾ طبع ﴿ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ ﴾ فلم يسمع ولم يعقل الهدى.

﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ ظلمة، فهو لا يبصر الهدى. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (غَشْوَةً) بفتح الغين وإسكان الشين من غير ألف، وقرأ الباقون: بكسر الغين وفتح الشين وألف بعدها[1].

﴿ فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ﴾ إضلال ﴿ ٱللَّهِ ﴾ إياه.

﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تَذِكَّرُونَ) بتخفيف الذال، والباقون: بتشديدها[2].

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٢٦ـ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٤ـ ١٥٥).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٤ـ ١٥٥).

﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ وَقَالُوٓاْ ﴾ يعني: منكري البعث:

﴿ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ﴾ التي نحن فيها.

﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ أي: يموت البعض، ويحيا البعض.

﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ ﴾ أي: ممر السنين والأيام، وكانت العرب إذا أصابهم سوء، نسبوه إليه اعتقاداً منهم أنه الفعال له، فقال ﷺ: «لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ الدَّهْرَ هُوَ الله(١)، بيده الأمرُ»(٢)؛ أي: الله الفعال لذلك.

﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ ﴾ القولِ ﴿ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ ذلك ظناً بلا تحقيق.

* * *

(١) في «ت»: «فإن الله هو الدهر».

(٢) رواه البخاري (٤٥٤٩)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ ﴾، ومسلم (٢٢٤٦)، كتاب: الألفاظ من الآدب وغيرها، باب: النهي عن سب الدهر، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١٠/ ٥٦٥): معنى النهي عن سب الدهر: أنَّ من اعتقد أنه الفاعل للمكروه فسبَّه أخطأ، فإن الله هو الفاعل، فإذا سببتم من أنزل ذلك بكم رجع السبُّ إلى الله . . . ومحصَّل ما قيل في تأويله ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن المراد أن الله هو الدهر: أي المدبر للأمور، ثانيها: أنه على حذف مضاف، أي صاحب الدهر، ثالثها: التقدير: مقلِّب الدهر. اهـ.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾ واضحاتِ الدلالة .

﴿ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ ﴾ ما كان لهم متشبَّثٌ يعارضونها به .

﴿ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أَنَّا نُبعث . قراءة الجمهور : (حُجَّتَهُمْ) بالنصب خبر (كانَ)، واسمها (إلاَّ أَنْ قَالُوا)، وانفرد ابن العلاف عن رويس راوي يعقوب بالرفع، ووردت عن أبي بكر وابن عامر، فتكون (حُجَّتُهُمْ) في هذه القراءة اسمَ (كان)، والخبر (إلاَّ أَنْ قَالُوا)[1] .

* * *

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ فإن القادر على الإبداء قادر على الإعادة .

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لقلة تفكرهم، وقصور نظرهم .

* * *

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ تبدل منه

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٦).

﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي: يظهر خسرانُهم ثَمَّ.

* * *

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ بارِكَةً على الرُّكَب، وهي جلسة المخاصِم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء.

﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾ قرأ يعقوب: (كُلَّ) بنصب اللام على أنه بدل الأول، و(تُدْعَى) صفة، وقرأ الباقون: برفعها على أنه مبتدأ[١]، خبره:

﴿تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ الذي فيه أعمالُها؛ لتحاسب، ويقال لهم:

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

* * *

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ ديوان الحفظة، أو القرآن.

﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ يشهد عليكم ببيان شافٍ.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ نستكتب الحفظةَ.

﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لأنا لا نهمل شيئاً.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٦-١٥٧).

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ﴾ جنته .

﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾ الظَّفَرُ الظاهر .

***

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

[٣١] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ يُقال لهم تهديداً : ﴿ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ بالإنذار على لسان رسلي .

﴿ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ عن الإيمان ﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ كافرين[١] .

***

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

[٣٢] ﴿ وَإِذَا قِيلَ ﴾ لكم : ﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ كائنٌ ﴿ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ أي : لا شكَّ في البعث . قرأ حمزة : (السَّاعَةَ) بالنصب عطفاً على (وَعْدَ)، والباقون : بالرفع على الابتداء[٢] .

---

(١) «كافرين» زيادة من «ت» .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٧) .

﴿ قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: لا اعتقادَ لنا إلا الشكُّ، والظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان، ويجيء الظن بمعنى اليقين؛ نحو قوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧١]؛ أي: أيقنوا أن الجبل واقع بهم.

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ أنها كائنة.

* * *

﴿ ۞ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿وَبَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ في الدنيا.

﴿ وَحَاقَ ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ وهو الجزاء. قرأ أبو جعفر: (يَسْتَهْزُونَ) بضم الزاي بغير همز، والباقون: بكسر الزاي والهمز[1].

* * *

﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ نترككم في العذاب كالشيء المنسيِّ الذي لا يُلتفت إليه.

﴿ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: كما تركتم العمل للقاء هذا اليوم.

﴿ وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ يخلِّصونكم من عذابها.

* * *

---

(١) سلفت عند تفسير الآية (٦٤) من سورة التوبة.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿ذَٰلِكُم﴾ العذابُ النازل بكم ﴿بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ﴾ أي: بسبب اتخاذكم.

﴿ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآنَ ﴿هُزُوًا﴾ استهزأتم بها. قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (اتَّخَذْتُمْ) بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام، وقرأ حفص: (هُزُواً) بإبدال الهمزة واواً، والباقون: بالهمز(١).

﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ حتى قلتم: لا بعثَ ولا حساب.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يَخْرُجُونَ) بفتح الياء وضم الراء، والباقون: بضم الياء وفتح الراء(٢).

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم أن يُعتبوا ربهم؛ أي: يُرضوه بالطاعة؛ لأنه لا عذر في ذلك اليوم ولا توبة.

* * *

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تحميدٌ لله، وتحقيق لألوهيته، وفي ذلك كسر لأمر الأصنام.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٨).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٧ـ٢٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٨).

﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ ﴾ العظمة ﴿ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ إذ ظهر فيهما آثارها.

﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الغالب ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ فيما قضى.

وفي الحديث الشريف: يقول الله تعالى: «الكبرياءُ ردائي، والعَظَمة إزاري، فمن نازعني شيئاً منهما، قَصَمْتُه»[١]، والله أعلم.

* * *

(١) رواه أبو داود (٤٠٩٠)، كتاب: اللباس، باب: ما جاء في الكبر، وابن ماجه (٤١٧٤)، كتاب: الزهد، باب: البراءة من الكبر والتواضع، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وورواه مسلم (٢٦٢٠)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الكبر، من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما بلفظ: «العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته».

سورة الأحقاف

مكية، لم يُختلف منها إلا في آيتين، وهو قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾، وقوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ الآية، فقال بعض المفسرين: هاتان آيتان مدنيتان وُضعتا في سورة مكية قاله ابن عطية[1].

وقال الكواشي[2]: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ الثلاث.

وآيها: خمس وثلاثون آية، وحروفها: ألفان وست مئة حرف، وكلمها: ست مئة وأربع وأربعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾.

[١-٢] ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ تقدم نظيره في الجاثية.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٩١).

(٢) «وقال الكواشي» زيادة من «ت».

﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا ﴾ خلْقاً ملتبساً[١] ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ الواجبِ الذي حقَّ أن يكون.

﴿ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وَقَّتناه وجعلناه موعداً لفساد هذه البنية، وهو يوم القيامة، ومعنى الآية: موعظة وزجر؛ أي: فانتبهوا أيها الناس، وانظروا ما يراد بكم، ولمَ خُلقتم.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ ﴾ به من القرآن.

﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ عن الاهتمام لذلك المقام.

* * *

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم ﴾ استفهام على معنى التوبيخ ﴿ مَّا تَدْعُونَ ﴾ تعبدون.

﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ ﴾ أي: للأصنام ﴿ شِرْكٌ ﴾ أي: مشاركة ﴿ فِى ﴾ خلق ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ مع الله حتى تشركوهم في عبادته.

﴿ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ ﴾ يعني: جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون.

---

(١) «خلقاً ملتبساً» زيادة من «ت».

﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي: بقية من علم يؤثر عن الأولين.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعواكم.

***

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾.

[٥] ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾ إنكار أن يكون أحد أضلَّ من المشركين؛ حيث تركوا عبادة الله، وعبدوا الأصنام التي لا تسمع دعاءهم، ولا تجيبهم.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يعني: أبداً ما دامت الدنيا.

﴿وَهُمْ عَن﴾ إجابةِ ﴿دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ لأنهم جماد لا يعقلون.

***

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾.

[٦] ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟﴾ أي: الأصنام ﴿لَهُمْ﴾ أي: لعابديها.

﴿أَعْدَآءً وَكَانُوا۟﴾ أي: الأصنام ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ بعبادة عابديهم ﴿كَٰفِرِينَ﴾ جاحدين، بيانه ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣].

***

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾.

[٧] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: لما يسمع المشركون القرآن.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهرٌ بطلانُه.

* * *

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾.

[٨] ﴿أَمْ﴾ أي: بل[١] ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ اختلقَ محمدٌ القرآنَ، إضرابٌ عن ذكر تسميتهم القرآنَ سحراً، إلى ذكر ما هو أشنعُ منه، وإنكارٌ له.

﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ فرضاً ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿شَيْـًٔا﴾ أن: تردُّوه عني إن عذبني على افترائي.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ﴾ تخوضون ﴿فِيهِ﴾ من التكذيب بآياته، والقدحِ فيها.

﴿كَفَىٰ بِهِۦ﴾ تعالى ﴿شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ يشهد لي بالصدق، وعليكم بالكذب.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ترجية واستدعاء إلى التوبة؛ لأنه في خلال تهديده إياهم بالله تعالى جاءت هاتان الصفتان.

* * *

---

(١) «أي: بل» زيادة من «ت».

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾.

[٩] ثم أمر تعالى بأن يحتج عليهم، فقال: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: بديعاً؛ أي: لستُ بأولِ مرسَل، قد بُعث قبلي غيري، والبدع والبديع من الأشياء: ما لم ير مثله، المعنى: فكيف تنكرون نبوتي؟.

﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ﴾ قال ابن عباس وأنس وغيرهما: «معناه: في الآخرة»[١]، وكان هذا في صدر الإسلام، ثم بعد ذلك عرفه تعالى بأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبأن المؤمنين لهم من الله فضل كبير، وهو الجنة، وبأن الكافرين في نار جهنم.

وروي أن رسول الله ﷺ رأى في النوم مُهاجَره إلى أرض ذاتِ نخلٍ، فأخبر أصحابه، فسألوه عنها، فسكت، فنزل: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ﴾[٢]، المعنى: وما أدري أأخرُجُ أم أُخْرَج كما أُخرج الأنبياء قبلي، أم أُقتل كما قُتلوا، وأنتم أيها المصدقون ما أدري أتخرجون معي[٣]، أم تتركون، وأنتم أيها المكذبون ما أدري أترمون بالحجارة، أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم.

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٣٠١)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٩٤)، وقد روى الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٠٠) عن الحسن قوله: أما في الآخرة، فمعاذ الله؛ فقد علَّم الله أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل، ولكن قال: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ﴾ في الدنيا. وهو الصحيح كما قال القرطبي في «تفسيره» (١٦/ ١٨٦).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٩٤)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ١٨٧).

(٣) «معي» زيادة من «ت».

﴿ إِنْ أَتَّبِعُ﴾ ما أتبع ﴿ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ من القرآن، وما أبتدع من عندي شيئاً.

﴿ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ يبين الإنذار بالمعجزات الظاهرة. قرأ نافع، وأبو جعفر بخلاف عن قالون: (أَنَا إِلاَّ) بالمد[1].

* * *

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ماذا تقولون ﴿ إِن كَانَ﴾ القرآن.

﴿ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ. قرأ أبو عمرو: (وَشَهِد شَّاهِدٌ) بإدغام الدال في الشين[2] ﴿ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ أي: القرآن، وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة له.

﴿ فَـَٔامَنَ ﴾ الشاهدُ ﴿ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ عن الإيمان به، وجواب الشرط في (أَرَأَيْتُمْ) محذوف، وهو: ألستم ظالمين؟ لدلالة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لدينه.

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٣).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٣).

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ من اليهود ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ ﴾ دينُ محمد .

﴿ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِۚ ﴾ يعني : عبد الله بن سلام وأصحابه ، وقيل : نزلت في مشركي مكة ، وقالوا : لو كان ما يدعونا إليه محمد خيراً ، ما سبقنا إليه عمار وصهيب وبلال ونحوهم ممن أسلم ، وهم دوننا في الشرف .

﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ ﴾ بالقرآن كما اهتدى به أهل الإيمان ، والعامل في ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ ﴾ محذوف تقديره : وقتَ عدمِ إيمانهم ظهرَ عنادُهم .

﴿ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ ﴾ أي : القرآن ﴿ إِفْكٌ ﴾ كذب ﴿ قَدِيمٌ ﴾ ووصفوه بالقدم بمعنى أنه في أمور متقادمة .

* * *

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ ﴾ أي : القرآن ، أومحمد ﷺ .

﴿ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ التوراة .

﴿ إِمَامًا ﴾ يؤتَمُّ به في دين الله وشرائعه ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ لمن آمن به ، وفي الكلام محذوف تقديره : وتقدمه كتاب موسى إماماً ، ولم يهتدوا به ؛ كما قال في الآية الأولى : ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ ﴿ وَهَٰذَآ ﴾ أي : القرآنُ ﴿ كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ ﴾ للكتب قبله ﴿ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ حال من ضمير (كِتَابٌ) في (مُصَدِّقٌ) ؛

أي: القرآن مصدق لسان محمد ﷺ، وهو عربي ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بوضع العبادة في غير موضعها، وهم مشركو مكة. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (لِتُنْذِرَ) بالخطاب للنبي ﷺ، وقرأ الباقون: بالغيب؛ يعني: الكتاب، واختلف عن البزي راوي ابن كثير[1] ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (وبشرى) في محل الرفع؛ أي: هذا كتاب مصدق وبشرى.

***

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ على العمل بموجب الإقرار بالتوحيد ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ مما يحل بالكفرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على أمر ما.

***

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال الصالحة.

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٣٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٤).

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ ألزمناه[١]، والمراد: النوع، فهي وصية من الله في عباده ﴿ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ﴾ أي: ليفعل ذا حسن. قرأ الكوفيون: (إِحْسَاناً) بزيادة همزة مكسورة قبل الحاء، وإسكان الحاء وفتح السين وألف بعدها، وكذلك هو في مصاحف الكوفة، وقرأ الباقون: بضم الحاء وإسكان السين من غير همزة ولا ألف، وكذلك هو في مصاحفهم[٢].

﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا ﴾ على مشقة حين تتوقع حوادثه ﴿ وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ أي: كارهة، والمراد: شدة الطلق. قرأ الكوفيون، ويعقوب، وابن ذكوان عن ابن عامر: (كُرْهاً) بضم الكاف، والباقون: بالنصب فيهما، وهما لغتان[٣]، وقد عدد تعالى على الأبناء مِنَنَ الأمهات، وذكر الأم في هذه الآيات في أربع مراتب، والأب في واحدة، جمعها الذكر في قوله: ﴿ لَهُمْ

---

(١) «ألزمناه» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٥).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٣٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٥ـ١٦٦).

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ ثم ذكر الحمل للأم، ثم الوضع لها، ثم الرضاع الذي عبر عنه بالفصال، فهذا يناسب ما قال رسول الله ﷺ حين جعل للأم ثلاثة أرباع البر، والربعَ للأب، وذلك إذ قال له رجل: يا رسول الله! من أبر؟ قال: «أمك»، ثم قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك»، ثم قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك»، ثم قال: ثم من؟ قال: «ثم أباك»[(١)].

﴿وَحَمْلُهُۥ﴾ أي: مدة حمله ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ عن الرضاع، والمراد: فطامه. قرأ يعقوب: (وَفَصْلُهُ) بفتح الفاء وإسكان الصاد من غير ألف، وقرأ الباقون: بكسر الفاء وفتح الصاد وألف بعدها[(٢)].

﴿ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ﴾ يريد: أقل مدة الحمل، وهي ستة أشهر، وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهراً.

وعن ابن عباس قال: «إذا حملت المرأة تسعة أشهر، أرضعت إحدى وعشرين شهراً، وإذا حملت ستة أشهر، أرضعت أربعة وعشرين شهراً»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٥٦٢٦)، كتاب: الأدب، باب: من أحق الناس بحسن الصحبة، ومسلم (٢٥٤٨)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: بر الوالدين وأنهما أحق به، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٣٦ـ ١٣٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٦).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٣٧).

واتفق الأئمة على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، واختلفوا في أكثر مدته، فقال أبو حنيفة: سنتان، والمشهور عن مالك: خمس سنين، وروي عنه: أربع، وسبع، وعند الشافعي وأحمد: أربع سنين، وغالبها: تسعة أشهر، وتقدم نظير ذلك في سورة الرعد.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ وهو كمال قوته وعقله ورأيه، أقله ثلاث وثلاثون سنة، وأكثره أربعون سنة.

﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ نزلت في أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ [وأبيه أبي قحافةَ عثمانَ بن عمرو، وأُمِّه أم الخير بنتِ صخر بن عمر[١].

وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ][٢]: الآية في أبي بكر، أسلم أبواه جميعاً، ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أبواه غيره، أوصاه الله بهما، ولزم ذلك من بعده[٣]، وكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ صحب النبي ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة، والنبي ﷺ ابن عشرين سنة في تجارة إلى الشام، فلما بلغ أربعين سنة، ونبُىء النبي ﷺ، آمن به، ثم دعا ربه، و﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ ألهمني. قرأ ورش عن نافع، والبزي عن ابن كثير: (أَوْزِعْنِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٤].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٣٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٩٧)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ١٩٢).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٣٧)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ١٩٤).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٦ ـ ٥٩٧)، و«التيسير» للداني
=

﴿ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ ﴾ بها، وهي التوحيد.

﴿ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ ﴾ قال ابن عباس: «هي الصلوات الخمس»، وقيل: أراد نوعاً من الجنس يستجلب رضا الله تعالى.

﴿ وَأَصۡلِحۡ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ﴾ اجعل الصلاح راسخاً فيهم.

﴿ إِنِّى تُبۡتُ إِلَيۡكَ ﴾ عما لا ترضاه ﴿ وَإِنِّى مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ المخلصين لك، فأجابه ـ الله عز وجل ـ، فأعتق تسعة من المؤمنين يُعذبون في الله، ولم يُرِدْ شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه، ولم يكن له ولد إلا آمنوا، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً، فأدرك أبو قحافة النبي ﷺ، وابنه أبو بكر، وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر(١)، وابن عبد الرحمن هو محمد يكنى: أبا عتيق، كلهم أدركوا النبي ﷺ، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة.

* * *

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِىٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ ﴾ يعني: طاعاتهم.

﴿ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ ﴾ فلا يعاقبهم. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف،

= (ص: ٢٠٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٦).

(١) «بن أبي بكر» زيادة من «ت».

وحفص عن عاصم: (نَـتَقَبَّلُ عَنْهُمْ) (وَنَـتَجَاوَزُ) بنون مفتوحة فيهما، وهي النون التي للعظمة (أَحْسَنَ) بالنصب، وقرأ الباقون (يُتَقَبَّلُ) (وَيُتَجَاوَزُ) بالياء مضمومة فيهما على بناء الفعل للمفعول (أَحْسَنُ) بالرفع[1].

﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ يريد: الذين سبقت لهم رحمة الله.

﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ﴾ نصب على المصدر المؤكد لما قبله؛ فإن يتقبل ويتجاوز وعد.

﴿ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ في الدنيا.

* * *

﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٧﴾.

[١٧] ونزل في كافر عاقٍّ لوالديه: ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ﴾ إذ دعواه للإيمان بالله، والإقرار بالبعث: ﴿أُفّٖ لَّكُمَآ﴾ وهي كلمةُ كراهية. قرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: (أُفَّ) بفتح الفاء من غير تنوين، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وحفص عن عاصم: (أُفٍّ) بكسر الفاء مع التنوين، وقرأ الباقون: بكسر الفاء من غير تنوين[2].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٦-٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٨).

﴿ أَتَعِدَانِنِيٓ ﴾ قرأ هشام عن ابن عامر: بنون واحدة مشددة، وقرأ الباقون: بنونين مكسورتين، وفتحَ ياءَ الإضافة: نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأسكنها: الباقون[1].

﴿ أَنْ أُخْرَجَ ﴾ من قبري بعد الموت.

﴿ وَقَدْ خَلَتِ ﴾ مضت ﴿ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي ﴾ فلم يُبعث منهم أحد.

﴿ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ﴾ يستصرخان ﴿ ٱللَّهَ ﴾ عليه، ويقولان له:

﴿ وَيْلَكَ ءَامِنْ ﴾ بالبعث، وهو دعاء عليه بالويل، والمراد به: الحث على الإيمان.

﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ ﴾ القولُ.

﴿ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ﴾ أباطيل[2] ﴿ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ التي كتبوها.

* * *

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ ﴾ أي: وجب ﴿ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾ منه تعالى بتعذيبهم.

﴿ فِيٓ أُمَمٍ ﴾ أي: مع أمم ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٧ـ٥٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩ـ٢٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٠٣ و٢/ ٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٨ـ١٦٩).

(٢) «أباطيل» زيادة من «ت».

خَٰسِرِينَ﴾ وزعم بعضهم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه[1]، وأنكرته عائشة ـ رضي الله عنها ـ[2]، والصحيح ما تقدم أنها نزلت في رجل كافر، ويدل على فساد قول من زعم أنها في عبد الرحمن بن أبي بكر قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ الآية، أعلم الله سبحانه أن هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب[3]، وعبد الرحمن أسلم وحسن إسلامه، وصار من أفاضل المسلمين، فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب، والله أعلم.

* * *

﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٩﴾.

[١٩] ﴿وَلِكُلّٖ﴾ تنوينه عوض من ضمير جنس المؤمن والكافر؛ أي: ولكلِّ الجنسين ﴿دَرَجَٰتٞ﴾ منازلُ ومراتبُ عند الله يوم القيامة، فدرج أهل

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٣٧)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ١٦٠). قال الحافظ ابن كثير: هذا عام في كل من قال هذا، ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن، فقوله ضعيف؛ لأنه أسلم بعد وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه.

(٢) روى البخاري (٤٥٥٠)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ﴾ عن يوسف بن ماهَك، وقال: كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية فخطب... فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ﴾ فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله أنزل عذري.

(٣) «العذاب» زيادة من «ت».

النار يذهب سفالاً، ودرج أهل الجنة يذهب علواً.

﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ فيجازيهم بأعمالهم.

﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وابن ذكوان عن ابن عامر: (وَلِنُوَفِّيَهُمْ) بالنون، والباقون: بالياء، واختلف عن هشام[1] ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: جزاء أعمالهم.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب، ولا زيادة عقاب.

***

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿وَيَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم ﴿يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ وهذا العرض هو بالمباشرة كما تقول عرضت العود على النار، والجاني على السوط، فيقال لهم:

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ المعدَّةَ لكم في الجنة لو آمنتم؛ باشتغالِكم بلذاتكم ﴿فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، والكوفيون: (أَذْهَبْتُمْ) بهمزة مفتوحة[2] واحدة على الخبر، وقرأ الباقون، وهم: ابن عامر، وابن

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٠).

(٢) «مفتوحة» ساقطة من «ت».

كثير، وأبو جعفر، ويعقوب: بهمزتين على الاستفهام، وهم على أصولهم، فابن ذكوان عن ابن عامر يحقق الهمزتين على الأصل، وهشام عنه بهمزة ومدة؛ لأنها همزة استفهام دخلت على همزة القطع، فجعلت همزة القطع بين الهمزة والألف، والثلاثة يحققون الهمزة الأولى، ويسهلون الثانية، وأبو جعفر على أصله في إدخال ألف بين الهمزة المحققة والملينة، وكلاهما فصيحان؛ لأن العرب تستفهم بالتوبيخ، وتترك الاستفهام فتقول: أَذَهَبْتَ ففعلتَ كذا، وذهبت ففعلت كذا[1].

﴿وَٱسْتَمْتَعْتُم﴾ تمتعتم ﴿بِهَا﴾ فما بقي لكم منها شيء.

﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ الهوان ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ تخرجون عن طاعة الله.

قال جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ: رأى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لحماً معلقاً في يدي، فقال: ما هذا يا جابر؟ قلت: اشتهيت لحماً فاشتريته، فقال عمر: أو كلما اشتهيتَ يا جابرُ اشتريت؟ أما تخاف هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾[2].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٦/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٠ـ١٧١).

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٣٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٤٥٢٤) والحاكم في «المستدرك» (٣٦٩٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦٧٢).

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ما شبعَ آلُ محمدٍ خبزَ الشعير يومين متتابعين حتى قُبِض رسولُ الله ﷺ[1].

* * *

﴿ ۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ثم أمر تعالى نبيه بذكر هود وقومه على جهة المثال لقريش، فقال:

﴿ ۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ ﴾ يعني: هوداً عليه السلام، وهذه الأخوة أخوة القرابة؛ لأن هوداً كان من أشراف القبيلة التي هي عاد.

﴿ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ ﴾ الصحيح من الأقوال: أن بلاد عاد كانت في اليمن، ولهم كانت إرم ذات العماد، والأحقاف جمع حقف، وهو الجبل المستطيل المعوَجُّ من الرمل، وكثيراً ما تحدث هذه الأحقاف في بلاد الرمل في الصحارى؛ لأن الريح تصنع ذلك.

﴿ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ ﴾ مضت الرسل ﴿ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ ﴾ من قبله ومن بعده، المعنى: خَوَّفَ قومَه وهم بهذا المكان بقوله:

﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ هائل؛ بسبب شرككم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّيَ أَخَافُ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[2].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٧٠) في أول كتاب: الزهد والرقائق.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٢).

﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا ﴾ لتصرفنا ﴿ عَنْ ﴾ عبادة.

﴿ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾ من العذاب.

﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ في وعدك.

* * *

﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ هو يعلم متى يأتيكم العذاب.

﴿ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ ﴾ من الوحي إليكم[١]، ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ﴾ [النور: ٥٤].

﴿ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ باستعجالكم العذاب. قرأ أبو عمرو: (وَأُبْلِغُكُمْ) بإسكان الباء وتخفيف اللام، والباقون: بفتح الباء وتشديد اللام[٢]، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، والبزي عن ابن كثير: (وَلَكِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٣].

---

(١) «إليكم» ساقطة من «ت».
(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٢).
(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٨-٥٩٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٢).

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ ﴾ أي: العذابَ ﴿ عَارِضًا ﴾ نصب على الحال؛ أي: سحاباً يعرض في أفق السماء؛ لأنهم لما رأوا العذاب ﴿ مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ ﴾ ظنوه سحاباً؛ لأنهم قد حبس عنهم المطر، فخرجت عليهم سحابة سوداء من وادٍ لهم يقال له: المغيث، فلما رأوها، استبشروا.

و﴿ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ يأتينا بالمطر، فقال لهم هود: ليس الأمرُ كما رأيتم.

﴿ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ﴾ في قولكم: ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾.

ثم قال: ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فجعلت[١] الريح تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جرادة.

* * *

﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] ﴿ تُدَمِّرُ ﴾ تُهلك ﴿ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ مرت به من رجال عاد وأموالهم.

﴿ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ وجلس هود بمؤمنيه في حضيرة لا يصيبهم منها إلا ما يلين أبشارهم، وتلتذ[٢] بها نفوسهم، وروي أن هذه[٣] الريح أمالت عليهم الأحقاف، فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام، ثم كشفت عنهم،

---

(١) في «ت»: «فجعل».

(٢) في «ت»: «تلذ».

(٣) في «ت»: «هذا».

واحتملتهم الريح، ورمتهم أجمعين في البحر.

﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ قرأ عاصم، وحمزة، ويعقوب، وخلف: (يُرَى) بياء مضمومة على الغيب مجهولاً، (مَسَاكِنُهُمْ) بالرفع فاعل المجهول، وقرأ الباقون: بالتاء وفتحها على الخطاب معلوماً[(١)]؛ أي: لا ترى يا محمدُ إلا مساكنَهم، ونصب (مَسَاكِنَهُمْ) مفعولاً صريحاً، وأمال أبو عمرو والكسائي الراء من (ترَى)[(٢)]، المعنى: هلكوا بأموالهم، وبقيت مساكنهم. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

كان ﷺ إذا رأى الريح، فزع، ويقول: «اللهمَّ إني أسألُك خيرَها وخيرَ ما أُرْسِلَتْ به، وأعوذ بك من شرِّها وشرِّ ما أُرْسِلَتْ به»[(٣)].

* * *

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ثم خاطب تعالى قريشاً على جهة الموعظة، فقال: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ (ما) موصولة بمعنى الذي، و(إن) نافية بمعنى (ما)

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٣_١٧٤).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٧٣).

(٣) رواه مسلم (٨٩٩)، كتاب: صلاة الاستسقاء، باب: التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

وقعت مكانها؛ ليختلف اللفظ تخفيفاً؛ لئلا يجمع بين كلمتين بلفظ واحد[1]، المعنى: مكَّنَّا عاداً في الذي ما مكناكم فيه يا كفار مكة.

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً ﴾ فكانت أعمارهم[2] طويلة، وأجسادهم قوية، وأموالهم كثيرة.

﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ ﴾ فما دفع ذلك عنهم شيئاً مما حل بهم من العذاب.

﴿ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ ﴾ نزلَ ﴿ بِهِم ﴾ جزاءُ ﴿ مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ من العذاب، وهذا تهديد للمشركين.

* * *

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ثم زادهم تهديداً بقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم ﴾ يا أهل مكة.

﴿ مِّنَ ﴾ أهل ﴿ ٱلْقُرَىٰ ﴾ كعاد وثمود وقوم لوط.

﴿ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ ﴾ بيّنّاها بالإنذار بالعذاب.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ عن كفرهم، فلم يرجعوا، فأهلكناهم.

* * *

﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

---

(١) «واحد» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «أعمالهم».

[٢٨] ﴿فَلَوْلَآ﴾ فهلاَّ[١] ﴿نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ﴾ يعني: الأوثان يتقربون بها إلى الله عز وجل.

﴿بَلْ ضَلُّواْ﴾ غابوا عند نزول العذاب بهم ﴿عَنْهُمْ﴾ قرأ الكسائي: (بَل ضَّلُّوا) بإدغام اللام في الضاد، والباقون: بالإظهار[٢].

﴿وَذَٰلِكَ﴾ اتخاذُهم الآلهة واعتقادُهم فيها ﴿إِفْكُهُمْ﴾ كذبُهم ﴿وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾.

* * *

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ولما مات أبو طالب، خرج رسول الله ﷺ وحده إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرَ والمنعةَ له من قومه، فلم يطيعوه، فانصرف رسول الله ﷺ من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة عند سوق عكاظ، قام من جوف الليل يصلي، فمر به نفر من جن أهل نصيبين اليمن، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته، وَلَّوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا، وأجابوا لما سمعوا، فقصَّ الله خبرهم عليه، فقال: ﴿وَإِذْ﴾[٣] أي: واذكر إذ ﴿صَرَفْنَا﴾ أَمَلْنا ﴿إِلَيْكَ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف: (وَإِذْ صَرَفْنَا) بإظهار

---

(١) «فهلا» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٤).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤١٩) وما بعد.

الذال عند الصاد، والباقون: بالإدغام[١] ﴿نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ جن نصيبين اليمن، قال ابن عباس: «هم تسعة: سليط، وشاصر، وماصر، وحسا، ومسا، وعليم، والأرقم، والأدرس، وحاصر[٢]»[٣].

﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ منك.

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ أي: استماعَ القرآن؛ أي: كانوا منه بحيث يسمعون ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿أَنصِتُواْ﴾ أصغوا لاستماعه، قالوا: صَهْ.

﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ فُرغ من تلاوته ﴿وَلَّوْاْ﴾ رجعوا.

﴿إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ مخوِّفين بأمر النبي ﷺ.

في الحديث: «الجنُّ ثلاثةُ أصناف: صنفٌ لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف كلاب وحيات، وصنف يحلُّون ويرتحلون»[٤].

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٦).

(٢) انظر: «الروض الأنف» (١/ ٣٥٤ و٢/ ٢٣٥) و«فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٦٧٤).

(٣) جاء على هامش النسخة «ت»: [أسماء الجن: وفيها، وكذا في عددهم خلاف ذكره السهيلي وغيره، ونصيبين بفتح النون ـ: بلدة بالجزيرة بشمال سنجار وفي قرب منها جبل الجودي كما في «تقويم البلدان» وغيره.

(٤) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦١٥٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٢١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٠٢)، من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه. قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٣٩): رفعه غريب جداً.

﴿ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] وكان دينهم اليهودية، فلذلك ﴿ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا ﴾ هو القرآنُ ﴿ أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾ قال ابن عباس: «إنهم لم يعلموا بعيسى، فلذلك قالوا: من بعد موسى» ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ هي التوراة ﴿ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ﴾ الإسلام ﴿ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ العمل به.

* * *

﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ .

[٣١] ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾ محمداً ﷺ إلى الإيمان.

﴿ وَءَامِنُواْ بِهِۦ ﴾ الضمير عائد على (الله).

﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ أي: ذنوبكم، وقيل: المراد: يغفر لكم بعض ذنوبكم، وهو ما يكون في خالص حق الله تعالى، لا مظالم العباد؛ لأنه تعالى لا يغفرها إلا برضا أربابها.

﴿ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ هو مُعَدٌّ للكفار، فاستجاب لهم من قومهم نحو من سبعين رجلاً من الجن، فرجعوا لرسول الله ﷺ، فوافوه بالبطحاء، فقرأ عليهم القرآن، وأمرهم ونهاهم(١)، وفيه دليل على أنه ﷺ كان مبعوثاً(٢)

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٤٨)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢١٧).

(٢) «مبعوثاً» زيادة من «ت».

إلى الإنس والجن جميعاً، ولم يبعث قبله نبي إليهما جميعاً.

واختلف الأئمة في حكم مؤمني الجن، فقال أبو حنيفة: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار؛ لقوله تعالى: ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم[1]، وقال مالك والشافعي وأحمد: لهم الثواب في الإحسان كما يكون عليهم العقاب في الإساءة؛ كالإنس، وهم في حكم بني آدم؛ لأنهم مكلَّفون مثلهم.

ولم يرسل ﷺ إلى الملائكة، صرح به البيهقي في الباب الرابع من «شعب الإيمان»، وصرح في الباب الخامس عشر بانفكاكهم من شرعه، وفي «تفسير الإمام الرازي»، و«البرهان النفسي» حكاية الإجماع، قال ابن حامد من أصحاب أحمد: ومذهب العلماء إخراجُ الملائكة عن التكليف، والوعد والوعيد، وهم معصومون كالأنبياء بالاتفاق، إلا من استثني؛ كإبليس، وهاروت وماروت، على القول بأنهم من الملائكة.

***

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ليس له مهرب.

﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ﴾ من دون عذابه تعالى ﴿أَوْلِيَآءُ﴾ أنصارٌ يمنعونه من الله.

---

(١) جاء على هامش «ت»: «وفي شرح عقائد الطحاوي لابن السراج: أن أبا حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ توقف في كيفية ثوابهم؛ حيث لم ينص شيء في القرآن».

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ واختلف القراء في الهمزتين من (أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ)، ولم يرد في القرآن همزتان متفقتان بالضم في كلمتين إلا في هذا المحل، فقرأ أبو عمرو: بإسقاط الهمزة الأولى منهما بلا عوض منها، وتحقيق الثانية، وقرأ قالون عن نافع، والبزي عن ابن كثير: بتسهيل الأولى بين الهمزة والواو، وتحقيق الثانية، وقرأ أبو جعفر، ورويس عن يعقوب: بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية، واختلف عن قنبل راوي ابن كثير، وورش راوي نافع، فروي عن الأول: جعل الهمزة الثانية بين بين، وروي عنه إسقاط الهمزة الأولى، وهو الذي عليه الجمهور من أصحابه، وروي عن الثاني: إبدال الهمزة الثانية حرف مد، وروي عنه: تسهيلها بين بين، وقرأ الباقون، وهم: الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: بتحقيق الهمزتين[1].

* * *

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ لم يتحير فيه، ولم يعجز عنه ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الباء في قوله (بِقَادِرٍ) زائدة مؤكدة، ومن حيث تقدم نفيٌ في صدر الكلام، حَسُنَ التأكيدُ بالباء، ولم يكن المنفي ما دخلت هي عليه؛ كما في قولك: ما زيدٌ بقائمٍ، كأنَّ بدل (أَوَلَمْ يَرَوْا): أَوَلَيْسَ الذي خَلَق. قرأ يعقوب: (يَقْدِرُ) بياء مفتوحة

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٦-١٧٧).

وإسكان القاف من غير ألف وضم الراء، وقرأ الباقون: بالباء وفتح القاف وألف بعدها، وخفضِ الراء منونة[1]. قرر القدرة على إحياء الموتى، وأكده بقوله:

﴿ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ كما قرر الربوبية بـ(بلى) في قوله[2]: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

* * *

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ ويقال[3] لهم: ﴿ أَلَيْسَ هَٰذَا ﴾ التعذيبُ ﴿ بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾ وذلك تصديقٌ حيث لا ينفع ﴿ قَالَ ﴾ أي: فيقول لهم المجاوب من الملائكة عند ذلك: ﴿ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ بسبب كفركم.

* * *

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ ﴾ أي: الجد والحزم ﴿ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٤٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٧).

(٢) «في قوله» سقط من «ت».

(٣) في «ت»: «فيقال».

وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام، فهم مع محمد ﷺ خمسة، ذكرهم الله تعالى على التخصيص في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب: ٧]، وفي قوله: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣]، المعنى: اصبر على أذى قريش؛ كصبر الرسلِ قبلَك.

﴿ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ نزولَ العذاب؛ فإنه نازل.

﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ ﴾ من العذاب ﴿ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً ﴾ المعنى: إذا عاينوا العذاب، استقصروا من هوله مدةَ لبثهم في الدنيا والبرزخ، فظنوها ساعة.

﴿ مِّن نَّهَارٍ ﴾ لأن ما مضى وإن كان طويلاً كأن لم يكن.

﴿ بَلَـٰغٌ ﴾ أي: هذا القرآن وما فيه تبليغٌ من الله إليكم.

﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ ﴾ بالعذاب إذا نزل ﴿ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ الخارجون عن أمر الله، وفي هذه الألفاظ وعد محض، وإنذار بيِّنٌ، والله أعلم.

* * *

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

وتسمى: سورةَ القتال، مدنية بإجماع، وقيل: إن قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ ﴾ الآية نزلت بمكة في وقت دخول النبي ﷺ فيها عام الفتح، أو سنة الحديبية، وما كان مثل هذا، فهو معدود في المدني؛ لأن المراعى في ذلك إنما هو ما كان قبل الهجرة أو بعدها، وآيها: ثمان وثلاثون آية، وحروفها: ألفان وثلاث مئة وتسعة وأربعون حرفاً، وكلمها: خمس مئة وتسع وثلاثون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ ﴾.

[١] ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ مبتدأ ﴿ وَصَدُّوا۟ ﴾ نفوسهم وغيرهم.

﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: شرعِ الله وطريقِه الذي دعا إليه، وهو الإسلام، وخبر المبتدأ.

﴿ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أبطلها، فلم يقبلها، وهي ما فعلوا من إطعام الطعام وصلة الأرحام، والإشارة في ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ إلى أهل مكة الذين أخرجوا رسول الله ﷺ.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ثم أشار إلى الأنصار أهل المدينة الذين آووه بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ مبتدأ أيضاً ﴿ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾ يعني: القرآن.

﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ وسمي دينُ محمد حقاً؛ لأنه لا يردُ عليه النسخ، وخبر المبتدأ.

﴿ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ سترها بالإيمان.

﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ حالَهم؛ بتوفيقه.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الواقع من الضلالة والهدى ﴿ بِأَنَّ ﴾ أي: بسبب أن.

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ الشيطانَ.

﴿ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ وهو القرآن.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثلَ ذلك الضرب.

﴿ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾ أي: يذكر لهؤلاء الناس قصصَ أمثالهم؛ ليتعظوا بهم.

* * *

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۖ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ في المحاربة ﴿ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ مصدر بمعنى الفعل؛ أي: فاضربوا الرقاب ضرباً، المعنى: إذا لقيتموهم، فاقتلوهم، وعَيَّنَ من أنواع القتل أشهرَه وأعرفه، فذكره.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ ﴾ أكثرتم فيهم القتل، وأوهنتموهم به.

﴿ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ ﴾ أي: فَأْسِروهم، واحتفظوا بهم حتى لا يُفلتوا منكم، ولما قوي الإسلام، نزل:

﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ ﴾ أي: تمنون عليهم مناً بإطلاقهم بعد أسرهم.

﴿ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ أي: تفادوهم فداء؛ أي: أنتم مخيرون في ذلك.

﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ ﴾ أي: أصحابها.

﴿ أَوْزَارَهَا ﴾ سلاحها، فيمسكوا عن الحرب، وأصل الوزر: ما يحمله الإنسان.

واختلفوا في حكم الآية، فقال قوم: هي منسوخة بقوله: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٥٧]، وبقوله: ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥]، وهو قول أبي حنيفة، وذهب آخرون إلى أنها محكمة، والإمام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار إذا وقعوا في الأسر بين أن يقتلهم، أو يسترقهم، أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض، أو يفاديهم بالمال، أو بأسارى المسلمين، وهو قول الشافعي ومالك وأحمد؛ لأنه

عمل به رسول الله ﷺ، والخلفاءُ بعده، ومعنى الآية: أثخنوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل[1] كلّها في الإسلام، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩]، فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام.

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ: «الجهادُ ماضٍ منذُ بعثني الله إلى أن يُقاتل آخر أُمتي الدجَّالَ»[2].

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ فأهلكهم بغير قتال.

﴿وَلَٰكِن﴾ أمركم بالقتال ﴿لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍۗ﴾ ليختبر المؤمنين بالكافرين؛ بأن يجاهدوهم، فيستوجبوا[3] الثواب، والكافرين بالمؤمنين؛ بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض عذابهم؛ ليرتدع بعضهم عن الكفر.

﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (قُتِلُوا) بضم القاف وكسر التاء من غير ألف بينهما؛ يعني: الشهداء، وقرأ الباقون: بفتح القاف والتاء وألف بينهما[4]؛ يعني: المجاهدين.

---

(١) في «ت»: «الملك».

(٢) رواه أبو داود (٢٥٣٢)، كتاب: الجهاد، باب: في الغزو مع أئمة الجور، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) في «ت»: «فيستجيبوا».

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٨٤).

﴿ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ روي أنها نزلت يوم أحد، وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل.

* * *

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ سَيَهْدِيهِمْ ﴾ في الدنيا إلى أرشد الأمور، وفي الآخرة إلى الدرجات.

﴿ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ يرضي خصماءهم، ويقبل أعمالهم.

* * *

﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ أي: عرفهم منازلَهم فيها.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: دينَه.

﴿ يَنصُرْكُمْ ﴾ على أعدائكم.

﴿ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ عند القتال.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ مبتدأ، خبره محذوف؛ أي: تَعِسوا، يدل عليه:

﴿ فَتَعْسًا لَّهُمْ ﴾ أي: عِثاراً وسقوطاً، ودخلت الفاء للجزاء، وتعطف على تعسوا المحذوف.

﴿ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ أبطلها .

***

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التعسُ والإضلالُ .

﴿ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ من القرآن وأحكامِه .

﴿ فَأَحۡبَطَ ﴾ أبطلَ ﴿ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ .

***

﴿ ۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ثم خوَّف الكفار فقال : ﴿ ۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾ أهلكهم وأموالهم وأولادهم .

﴿ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴾ أمثالُ عاقبة المدمَّرِ عليهم إن لم يؤمنوا، توعُّد لمشركي مكة .

***

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكورُ من نصر المؤمنين وقهر الكافرين ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وليهم وناصرهم ﴿ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ يُنجيهم، والمراد: ولاية النصرة، لا ولاية العبودية؛ فإن الخلق كلهم عباده تعالى .

***

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ ﴾ في الدنيا ﴿ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ ﴾ ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم، ولا يفكرون في مآلهم ﴿ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ أي: موضع إقامتهم.

* * *

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَكَأَيِّن مِّن ﴾ أهل[١] ﴿ قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ ﴾ أي: أخرجك أهلُها، المعنى: كم رجال هم أشدُّ من أهل مكة.

﴿ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ من إهلاكنا. وتقدم اختلاف القراء في (وَكَأَيِّنْ) في سورة الحج عند قوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا ﴾ قال ابن عباس: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى الغار، التفت إلى مكة وقال: «أنت أحبُّ بلاد الله إلى الله، وأحبُّ بلاد الله إليَّ، ولو أن المشركين لم يخرجوني، لم أخرجْ منك»، فأنزل الله هذه الآية[٢].

* * *

(١) «أهل» زيادة من «ت».

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٨٨٦٨)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٠٥)، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٠٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يقينٍ من دينه، وهم النبي ﷺ والمؤمنون، وخبر (مَنْ):

﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ وهم مشركو مكة ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ المعنى: لا مساواة بين المهتدي والضال.

* * *

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ أي: صفتها.

﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ قرأ ابن كثير: (أَسِنٍ) بقصر الهمزة، والباقون: بمدها[1]؛ أي: غير متغير الطعم والرائحة.

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ كلبن الدنيا.

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ لم تَدُسْها الأرجل، ولم تدنسها الأيدي؛ لأن خمر الدنيا كريهة الطعم عند التناول، وشربها يبعد من الله تعالى؛

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٨٧).

بخلاف خمر الجنة. قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: (لِلشَّارِبِينَ) بالإمالة بخلاف عنه.

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ لا شمعَ فيه ﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ مع كل[1] ذلك.

﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أصناف ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ عطف على الصنف المحذوف؛ أي: ونعيم أعطته المغفرة وسببته، وإلا فالمغفرة إنما هي قبل الجنة.

﴿كَمَنْ﴾ أي: أمثال أهل الجنة وهي بهذه الأوصاف كمن.

﴿هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا﴾ شديدَ الحر يُسقط فروةَ الوجه عند الشرب.

﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ ما في بطونهم من الحوايا؛ من فرط الحرارة، فخرجت من أدبارهم.

* * *

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿وَمِنْهُم﴾ أي: المنافقين ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ ولا يَعون كلامَك.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ من الصحابة؛ استهزاءً وسخرية.

﴿مَاذَا قَالَ﴾ محمد ﴿ءَانِفًا﴾ قرأ البزي عن ابن كثير بخلاف عنه: (أَنِفاً) بقصر الهمزة، والباقون: بمدها[2]؛ يعني: الآن، ونصبه ظرف؛ أي: وقتاً مؤتنفاً، وذلك أن النبي ﷺ كان يخطب، ويعيب المنافقين، فإذا خرجوا من

---

(١) «كل» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٨٨).

المسجد، سألوا عبد الله بن مسعود: ماذا قال رسول الله ﷺ؟ أي: ما معناه؟ وما نفعه؟ قال ابن عباس: «وقد سُئلت فيمن سُئل»(١).

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ بالنفاق ﴿ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ في الكفر، فلا يؤمنون.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ ﴾ وهم المسلمون ﴿ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ علماً وبصيرة.

﴿ وَءَاتَىٰهُمْ ﴾ تعالى ﴿ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ أي: جعلهم متقين.

* * *

﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ ﴾ أي: ينتظرون ﴿ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ ﴾ وتبدل من (الساعة) بدلَ اشتمال ﴿ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾ فجأة ﴿ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ علاماتُها، وبَعْثُه ﷺ من أشراطها، ومن أشراطها: أن يُرفع العلم، ويكثر الجهل والربا وشرب الخمر، ويقل الرجال ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد(٢).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٠٥).

(٢) رواه البخاري (٨٠)، كتاب: العلم، باب: رفع العلم وظهور الجهل، ومسلم (٢٦٧١)، كتاب: العلم، باب: رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال ﷺ: «إذا ضُيِّعت الأمانةُ، فانتظروا الساعة»، فقيل: كيفَ إضاعتُها؟ قال: «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غير أهله، فانتظرِ الساعة»[1].

واختلاف القراء في الهمزتين من (جَاءَ أَشْرَاطُهَا) كاختلافهم فيهما من قوله[2]: (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تقَعَ) في سورة الحج [الآية: ٦٥].

﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ فمن أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة؟ لا ينفعهم ثَمَّ، نحو: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣].

***

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿فَٱعْلَمْ﴾ يا محمدُ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: دُمْ موحِّداً.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ ليستنَّ بك غيرُك.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ لتغفرَ ذنوبُهم.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ منصرَفكم في الدنيا.

﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ مصيرَكم في الآخرة إلى الجنة أو النار.

***

---

(١) رواه البخاري (٥٩)، كتاب: العلم، باب: من سئل وهو مشتغل في حديثه، فأتم الحديث ثم أجاب السائل، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) «قوله» ساقطة من «ت».

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ حرصاً على طلب الجهاد : ﴿ لَوْلَا ﴾ هلاَّ .

﴿ نُزِّلَتْ سُورَةٌ ﴾ فيها ذكرُ الجهاد .

﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ ﴾ مثبتة غير منسوخة الأحكام من الجهاد وغيره .

﴿ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ﴾ أي : الأمر به .

﴿ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أي : شك ، وهم المنافقون .

﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ﴾ أي : نظراً مثل ﴿ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ إذا نزل به ، وعاين الملائكة ؛ بغضاً لك ، وخوفاً منك ﴿ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ وعيد بمعنى : فويل ؛ أي : قَرُبَ منهم ما يكرهون .

* * *

﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ استئناف ، والخبر محذوف ؛ أي : هما خير لهم ، والقول المعروف : هو الأمر المرضي .

﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ ﴾ أي : جَدَّ ولزمَ فرضُ القتال ، وجواب (إذا) محذوف ؛ أي : كذبوا .

﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في إظهار الإيمان والطاعة إذا جد أصحاب أمر القتال.

﴿لَكَانَ﴾ الصدق ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ من الكراهة والكذب.

* * *

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ثم التفت من الغيبة إلى الخطاب لضرب من الإرهاب، فقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أي: فلعلكم ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أمرَ هذه الأمة، وقيل: معناه: إن أعرضتم عن الحق.

﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي، والافتراق بعد الاجتماع على الإسلام.

﴿وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ بالقتل والعقوق ووأد البنات، المعنى: فهل يتوقع منكم إلا الإفساد وتقطيع الأرحام؟ قال البغوي[١]: نزلت في بني أمية وبني هاشم. قرأ نافع: (عَسِيتُمْ) بكسر السين، والباقون: بفتحها[٢]، وقرأ رويس عن يعقوب: (تُوُلِّيتُم) بضم التاء والواو وكسر اللام، والباقون: بفتحهن[٣]، وقرأ يعقوب: (تَقْطَعُوا) بفتح التاء وإسكان القاف وفتح الطاء

---

(١) في «تفسيره» (٤/ ١٦٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٢).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٢).

مخففة، [والباقون: بفتحهن، وقرأ يعقوب: (تَقْطَعُوا) بفتح التاء وإسكان القاف وفتح الطاء مخففة][1]، والباقون: بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة[2].

* * *

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ المفسدون ﴿ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ لإفسادهم.

﴿ فَأَصَمَّهُمْ ﴾ عن استماع الحق ﴿ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ أي: بصائرهم عن طريق الهداية.

* * *

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ فيعرفون الحق، والتدبر: النظر إلى ما يؤول إليه الكلام، فلما لم يتدبروا، أضرب عنهم، فقال: ﴿ أَمْ ﴾ أي: بل ﴿ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ المعنى: قلوبهم مقفلة، فلا يتدبرون، ولا يعون، ونكرت القلوب إرادة بعض القلوب[3]، وهي قلوب المنافقين وأعداء الدين.

* * *

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٦٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٢-١٩٣).

(٣) «إرادة بعض القلوب» زيادة من «ت».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ونزل في اليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ، وهم يعرفونه:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾(١) أي: رجعوا إلى الكفر.

﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى﴾ في التوراة، وهو أن محمداً حق ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩] ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ مبتدأ، خبره ﴿سَوَّلَ﴾ زَيَّنَ ﴿لَهُمۡ﴾ أعمالَهم ﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب: (وَأُمْلِي لَهُمْ) بضم الهمزة وكسر اللام، فأبو عمرو يفتح الياء على ما لم يسم فاعله، ويعقوب يسكنها على وجه الخبر من الله سبحانه عن نفسه أنه يفعل ذلك، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة واللام، وقلب الياء ألفاً(٢)؛ أي: أطال الشيطان لهم المدة، ومد لهم في الأمل.

* * *

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإضلالُ ﴿بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ١٧٩)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ١١٩).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٦٠ـ١٦١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٤ـ١٩٥).

وهم المشركون: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ التعاون على عداوة محمد ﷺ، وتثبيط الناس عن الجهاد معه، قالوا ذلك سراً، فأظهره تعالى بقوله:

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (إِسْرَارَهُمْ) بكسر الهمزة مصدر أَسَرَّ، وقرأ الباقون: بفتحها، جمع سِرّ[1].

* * *

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ٢٧﴾.

[٢٧] ﴿فَكَيْفَ﴾ يعملون.

﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ ظهورهم بمقامع الحديد.

قال ابن عباس: «لا يُتَوَفَّى أحدٌ على معصية، إلا تضرب الملائكةُ وجهَه ودُبُرَهُ»[2].

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٥).

(٢) انظر: «الكشّاف» للزمخشري (٤/ ٣٢٩).

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التوفِّي ﴿ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ ﴾ من كتمان نعته عليه السلام ﴿ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾ أي: أبغضوا العمل بما يرضيه. قرأ أبو بكر عن عاصم: (رُضْوَانَهُ) بضم الراء، والباقون: بكسرها[١].

﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أبطلها لذلك.

* * *

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أظنَّ المنافقون.

﴿ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴾ يعرفوا نفاقهم.

* * *

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ ﴾ أي: لو أردنا، لدللناك على المنافقين.

﴿ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ بعلامتهم.

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٥).

قال ابن عباس[١]: قال أنس: ما أُخفيَ على النبي ﷺ شيء من أمر المنافقين بعد نزول هذه الآية[٢].

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ فحواه، المعنى: أنك تعرفهم فيما يعرضون به من تهجين أمرك وأمور المسلمين، فكان لا يتكلم عنده ﷺ منافق إلا عرفه، والأكابر يعرفون صدق المريد من كذبه بسؤاله وكلامه.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ فيجازيكم بها.

***

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ لنعاملنكم معاملة المختبرين؛ بأن نأمركم بالجهاد والقتال ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ والمراد: علم الظهور؛ أي: نبلوكم حتى يظهر ما نخبر به عنكم من أفعالكم؛ من جهاد وصبر وغيرهما ﴿وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ نظهرها بسبب طاعتكم وعصيانكم[٣]. قرأ أبو بكر عن عاصم: (وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى يَعْلَمَ)، (وَيَبْلُوَ) بالياء في الثلاثة؛ لقوله تعالى: (وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ)، وقرأهن الباقون: بالنون، لقوله: (وَلَوْ نَشَاءُ

---

(١) قوله: «ابن عباس» سقط من «ت».

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٥٢)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٦١)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٣٠).

(٣) في «ت»: «إبائكم».

لأَرَيْنَاكَهُمْ)[1]، وقرأ رويس عن يعقوب: (وَنَبْلُو) بإسكان الواو؛ أي: ونحن نبلو، وقرأ الباقون: بفتحها رداً على قوله: (حَتَّى نَعْلَمَ)[2].

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـًٔا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ونزل فيمن عصى الله وكره الإسلام: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾ هم قريظة والنضير.

﴿ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـًٔا ﴾ بكفرهم وبصدِّهم.

﴿ وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ يبطلها، فلا يرون لها ثواباً.

* * *

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ بالمعاصي والكفر.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٥ـ١٩٦).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٦).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

[٣٤] ونزل في أصحاب القَليب ومَنْ جرى مجراهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ ويدل بمفهومه على أنه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه.

* * *

﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

[٣٥] ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ ﴾ لا تضعفوا ﴿ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ ﴾ أي: لا تدعوا إلى الصلح ابتداءً إذا لقيتم الكفار. قرأ حمزة، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (السِّلْمِ) بكسر السين، والباقون: بفتحها[١]، وهما لغتان بمعنى.

﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ الغالبون ﴿ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ بالعون والنصرة.

﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ ﴾ ينقصكم ﴿ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ أي: ثواب أعمالكم.

* * *

﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

[٣٦] ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ ﴾ باطل وغرور، لا ثباتَ لها، فلا

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٥).

تهنوا في الجهاد بسببها ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ الفواحشَ.

﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ ثوابَ إيمانكم وتقواكم ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ جميعَها، بل الزكاة المفروضة، وهي ربع العشر، فَطَيِّبوا أنفسَكم.

* * *

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ يُلِحّ عليكم ﴿تَبْخَلُواْ﴾ بها ﴿وَيُخْرِجْ﴾ البخل ﴿أَضْغَٰنَكُمْ﴾ أحقادَكم ومعتقداتكم السوء. قرأ يعقوب: (وَنُخْرِجْ) بالنون، والباقون: بالياء[١].

* * *

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، ونافع: بتسهيل الهمزة بين بين، وقرأ الكوفيون، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: بتحقيق الهمزة بعد الألف، وروي عن ورش: (هَآنْتُمْ) مداً بلا همزة، وعنه وجه ثان (هَئَنْتُمْ) بهمزة مقصورة بين الهاء والنون؛ مثل: سَأَلْتُم، وروي عن قنبل: كالوجه الثاني عن ورش، أصلها أَأَنْتُمْ، قلبت الهمزة الأولى هاء؛ كقولهم هَرَقْتُ، وأَرَقْتُ[٢].

---

(١) انظر: «مختصر القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ١٤١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٢ و٦٠٧)، و«النشر في القراءات العشر»=

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أصلُه: أولاء، دخلت عليه هاء التنبيه، وهو في موضع النداء، يعني: أنتم يا هؤلاء المخاطبون، ثم استأنف فقال: .

﴿ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ما فرض عليكم.

﴿ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ﴾ بالزكاة المفروضة، و(يَبْخَلُ) رفع؛ لأن (مَنْ) هذه ليست بشرط؛ لاستئنافك ﴿ وَمَن يَبْخَلْ ﴾ بالصدقة والمفروض، و(يَبْخَلْ) جزم؛ لأن (مَنْ) هذه شرط، جوابه ﴿ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ ﴾ رفعٌ أيضاً.

﴿ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ أي: عليها، المعنى: جزاءُ بخله مختص به.

﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ ﴾ عنكم وعن صدقتكم ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ ﴾ عن الطاعة ﴿ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ خيراً منكم، وهم الأنصار.

﴿ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾ في البخل والتولي ونحوهما، بل يكونوا خيراً منكم، وأطوعَ لله، والله أعلم.

* * *

= لابن الجزري (١/ ٤٠٠-٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٨).

سُورَةُ الفَتْحِ

مدنية، نزلت على النبي ﷺ منصرَفَهُ من الحديبية(١)، وهي بهذا في حكم المدني، وآيها: تسع وعشرون آية، وحروفها: ألفان وأربع مئة وثمانية وثلاثون حرفاً، وكلمها: خمس مئة وثلاثون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾.

[١] ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ الأكثرون على أنه صلح الحديبية(٢)، ونزلت السورة مؤانسة للمؤمنين؛ لأنهم كانوا استوحشوا من رد قريش لهم، ومن تلك(٣) المهادنة التي هادنهم النبي ﷺ، فنزلت السورة مؤنسة لهم في صدهم عن البيت، ومذهِبَة ما كان في قلوبهم.

وملخص القصة: أن رسول الله ﷺ خرج من المدينة في ذي القعدة سنة ست من الهجرة معتمراً، لا يريد حرباً، وساق الهدي، وأحرم بالعمرة، وسار حتى وصل إلى ثنية المزار مهبط الحديبية أسفل مكة، والحديبية بئر،

---

(١) رواه مسلم (١٧٨٦)، كتاب: الجهاد، باب: صلح الحديبية في الحديبية، من حديث أنس بن مالك.

(٢) رواه البخاري (٣٩٣٩)، كتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية، عن أنس.

(٣) «تلك» زيادة من «ت».

ووقع من معجزاته ﷺ آية الماء في بئر الحديبية؛ حيث وضع فيه سهمه، وثاب الماء حتى كفى الجيش.

وتأهبت قريش للقتال، وبعثوا رسولهم إلى النبي ﷺ، فبعث إليهم عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ يعلمهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً ومعظماً لهذا البيت، فلما وصل إليهم، أمسكوه وحبسوه، وبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قتل، فدعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فبايع الناس على الصبر المتناهي في قتال العدو إلى أقصى الجهد، حتى قال سلمة بن الأكوع وغيره: «بايعنا رسول الله ﷺ على الموت»[١]، ثم أتاه الخبر أن عثمان لم يقتل، ثم وقع الصلح بين رسول الله ﷺ وبين قريش؛ فإنهم بعثوا سهيل بن عمرو في الصلح، فأجاب النبي ﷺ، ثم دعا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقال: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: اكتب: باسمك اللهم، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ، فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال لعلي: امح رسول الله، قال: لا والله لا أمحوك أبداً، قال: فأرنيه، فأراه إياه[٢]، فمحاه النبي ﷺ، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش

---

(١) رواه البخاري (٦٧٨٠)، كتاب: الأحكام، باب: كيف يبايع الإمام الناس، ومسلم (١٨٦٠)، كتاب: الإمارة، باب: استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال.

(٢) «إياه» زيادة من «ت».

وعهدهم دخل فيه»، وأشهدوا في الكتاب على الصلح رجالاً من المسلمين والمشركين، ثم نحر رسول الله ﷺ هديه، وحلق رأسه، وفعل الناس كذلك[1]، ثم عاد إلى المدينة، حتى إذا كان بين مكة والمدينة، نزلت سورة الفتح.

ودخل في[2] هذه السنة في الإسلام مثل من دخل فيه قبل ذلك وأكثر، فكان هذا الفتح الأعظم، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين، فسمعوا كلامهم، فتمكن الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام، واستقبل فتح خيبر، وامتلأت أيدي المسلمين خيراً، واتفقت في ذلك الوقت[3] ملحمة عظيمة بين الروم وفارس، ظهرت فيها الروم، فكانت من جملة الفتح على رسول الله ﷺ، وسر بها والمؤمنون؛ لظهور أهل الكتاب على المجوس، وانحصاد الشوكة العظمى من الكفرة، والفتح: الظفر بالبلد عنوة أو صلحاً.

﴿فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ أي: قضينا لك قضاء بيِّناً.

* * *

﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢﴾.

[٢] ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ هي لام (كي)؛ لكنها تخالفها في المعنى. قرأ

---

(١) رواه مطولاً البخاري (٢٥٨١)، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، من حديث المِسْوَر بن مخرمة، ومسلم (١٧٨٤)، كتاب: الجهاد، باب: صلح الحديبية في الحديبية، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) «في» ساقطة من «ت».

(٣) «الوقت» زيادة من «ت».

أبو عمرو: (لِيَغْفِر لَّكَ) بإدغام الراء في اللام[1]، والمراد هنا: أن الله فتح لك؛ لكي يجعل ذلك أمارة وعلامة لغفرانه لك؛ فكأنها لام صيرورة، ولهذا قال ﷺ: «لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة هي أحبُّ إليَّ من الدنيا»[2].

﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ يعني: ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك.

﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ذنوب أمتك بدعوتك، وقيل: مقصد الآية: أنك مغفور لك، غير مؤاخذ بذنب أن لو كان.

﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بإظهارك وتعليتك على عدوك، والرضوان في الآخرة.

﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي: إلى صراط؛ أي: يثبتك على الدين، فجمع الله لنبيه ﷺ في هذه السورة نعماً مختلفة من الفتح المبين، وهو من أعلام الإجابة، والمغفرة، وهي من أعلام المحبة، وتمام النعمة، وهي من أعلام الاختصاص، والهداية، وهي من أعلام الولاية، فالمغفرة تبرئة من العيوب، وتمام النعمة بلاغ[3] الدرجة الكاملة، والهداية هي الدعوة إلى المشاهدة.

* * *

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾.

[٣] ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ وهو الذي معه غلبة العدو، والظهور عليه،

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠١).

(٢) رواه مسلم (١٧٨٦)، كتاب: الجهاد والسير، باب: صلح الحديبية في الحديبية، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) في «ت»: «إبلاغ».

والنصر غيرُ العزيز: هو الذي مضمنه الحماية ودفع العدو فقط.

* * *

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ ﴾ الطمأنينة والوقار ﴿ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهو تسكينها لتلك الهدنة مع قريش حتى اطمأنوا وعلموا أن وعد الله على لسان رسول الله ﷺ حق.

﴿ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ﴾ يقيناً ﴿ مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ ﴾ الأول، ويكثر تصديقهم.

قال ابن عباس: بعث ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدقوه، زادهم الصلاة، ثم الزكاة، ثم الصيام، ثم الحج، ثم الجهاد[١].

واختلف الأئمة في زيادة الإيمان ونقصانه، فقال أبو حنيفة: لا يزيد ولا ينقص، ولا استثناء فيه، وقال الثلاثة: يزيد وينقص، ويجوز الاستثناء فيه.

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم، لفعل.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بخلقه ﴿ حَكِيمًا ﴾ في صنعه، وقوله: (وَكَانَ)؛ أي: كان ويكون، فهي دالة على الوجود بهذه الصفة، لا معينة وقتاً ماضياً.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٣). وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٦٨)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٦٤)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٥١٤).

﴿ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٥﴾ ﴾ .

[٥] روي أنه لما أنزلت: ﴿ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ ﴾ [الأحقاف: ٩]، تكلم فيها أهل الكتاب، وقالوا: كيف نتبع من لا يعرف ما يفعل به وبالناس معه؟ فبين الله في هذه السورة ما يفعل به بقوله: ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾، فلما سمعها المؤمنون، قالوا: هنيئاً مريئاً، هذا لك يا رسول الله، فما لنا؟ فنزل: ﴿ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾. قال أهل المعاني: وإنما كررت اللام في قوله: (لِيُدْخِلَ) بتأويل تكرير الكلام، مجازه: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً؛ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، إنا فتحنا لك؛ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار[1].

﴿ وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ ﴾ يسترها ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ ﴾ الإدخال والتكفير.

﴿ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴾ لأنه منتهى ما يطلب من جلب نفع أو دفع ضر.

* * *

﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ﴿٦﴾ ﴾ .

[٦] روي أن النبي ﷺ أتي بجماعة، فقالوا: ما لنا عند الله؟ فنزل: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ ﴾ أن الله لا ينصر محمداً ﷺ.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ٤٣).

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ بالعذاب والهلاك. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (دَائِرَةُ السُّوءِ) بضم السين، وقرأ الباقون: بفتحها كالحرف الأول[1]، وهما لغتان، غير أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء، والمضموم جرى مجرى الشر الذي هو نقيض الخير، يقال: أراد به السُّوْء، وأراد به الخير، وسَمَّى المصيبة التي دعا بها عليهم: (دَائِرَة) من حيث يقال في الزمان: إنه يستدير، ألا ترى أن السنة والشهر كأنها مستديرات، تذهب على ترتيب، وتجيء من حيث هي تقديرات للحركة العظمى، ومنه قول النبي ﷺ: «إن الزمانَ قد استدار كهيئته يومَ خَلَقَ الله[2] السمواتِ والأرضَ»[3]، ويحسُن أن تسمى المصيبة دائرة؛ من حيث إنها تدير: تحيط بصاحبها كما يحيط شكل الدائرة على السواء من النقطة.

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ أبعدهم من رحمته.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ جهنم.

***

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾.

[٧] ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الملائكة ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ الغزاة في سبيل الله.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠١).

(٢) لفظ الجلالة «الله» لم يرد في «ت».

(٣) رواه البخاري (٣٠٢٥)، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في سبع أرضين، ومسلم (١٦٧٩)، كتاب: القسامة، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، من حديث أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾﴾.

[٨] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على أمتك يوم القيامة.

﴿وَمُبَشِّرًا﴾ بالجنة مَنْ عمل خيراً من أهل الإيمان.

﴿وَنَذِيرًا﴾ منذراً أعداءَ الله بالنار، ومن عمل سوءاً.

* * *

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ﴾ يُقَوُّوه وينصروه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يعظِّموه ويفخِّموه، والهاء في (يُعَزِّرُوهُ ويُوقِّرُوهُ) للنبي ﷺ، وهاهنا وقف، والهاء في ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ لله ـ عز وجل ـ أي: يصلوا له.

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ بالغداة والعشي. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (لِيُؤْمِنُوا) (وَيُعَزِّرُوهُ وَيُوَقِّرُوه وَيُسَبِّحُوهُ) بالغيب في الأربعة على استمرار الخطاب للنبي ﷺ، وقرأ الباقون: بالخطاب للناس(١)، على معنى: قل لهم.

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ يا محمد بيعةَ الرضوان بالحديبية على ألاَّ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٢-٢٠٣).

يفروا، وخبر (إِنَّ) ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: حولُه وقُوَّتُه فوق حولهم وقوتهم؛ أي: في نصرك ونصرهم، وهذا تعديد نعمة عليهم مستقبَلة مخبر بها.

﴿ فَمَن نَّكَثَ ﴾ نقضَ البيعةَ ﴿ فَإِنَّمَا يَنكُثُ ﴾ فإنما يرجع وبالُ نقضه.

﴿ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ ﴾ ثبت على البيعة. قرأ حفص عن عاصم: (عَلَيْهُ الله) بضم الهاء، حذفت الواو لسكونها، وبقيت الضمة تدل عليها، وقرأ الباقون: بكسر الهاء، أبدلوا من الضمة كسرة[1]، يقال: أوفى بالعهد، ووفَّى به: إذا لم ينقضه.

﴿ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ وهو الجنة فما فوقها. قرأ أبو عمرو، والكوفيون، ورويس عن يعقوب: (فَسَيُؤْتِيهِ) بالياء؛ أي: فسيؤتيه الله، وقرأ الباقون: بالنون التي للعظمة[2].

* * *

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ولما سار ﷺ إلى مكة عام الحديبية، طلب ناساً من الأعراب

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٤).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٦٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٤).

ليرتحلوا معه، فتخلفوا عنه جبناً، واعتلُّوا بالأموال والأولاد، فنزل: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾ عنك ﴿ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾ إذا رجعت من الحديبية.

﴿ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ ﴾ اللهَ ليغفر لنا تخلُّفنا عنك، فكذبهم الله في اعتذارهم، فقال: ﴿ يَقُولُونَ ﴾ يُظهرون.

﴿ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ ﴾ لأنهم لا يبالون باستغفارك.

﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا ﴾ سوءاً ﴿ أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ ﴾ أي: لا يقدر على دفع ضر ولا جلب نفع إلا هو تعالى. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (ضُرّاً) بضم الضاد، والباقون: بفتحها[1]، وهما لغتان، وذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر، ويعجل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم أنه إن أراد شيئاً من ذلك، لم يقدر أحد على دفعه ﴿ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه.

* * *

﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ﴾ لظنكم أن العدو يستأصلهم فلا يرجعون. قرأ الكسائي، وهشام: (بَل ظَّنَنْتُمْ) بإدغام اللام في الظاء، والباقون: بالإظهار[2].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٥).

﴿ وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ فتمكن فيها ﴿ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾ وهو سائر ما يظنون بالله ورسوله من الأمور الزائغة ﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ هلكى جمع بائر؛ أي: لا تصلحون لشيء من الخير.

* * *

﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾ وهي النار المؤججة، ونكر[١] (سَعِيراً)؛ للتهويل.

* * *

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ يدبره بقدرته وحكمته.

﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ رحمتُه سابقة لغضبه؛ حيث يكفِّر السيئات باجتناب الكبائر، ويغفر الكبائر بالتوبة.

* * *

﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾ عن الحديبية.

﴿ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ ﴾ أي: غنائم خيبر.

---

(١) في «ت»: «وتنكير».

﴿لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ لنشهد معكم قتال أهلها، وذلك أنهم لما انصرفوا من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر، وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضاً من غنائم أهل مكة؛ لأنهم انصرفوا منها على صلح، ولم يصيبوا منها[1] شيئاً، قال الله تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (كَلِمَ اللهِ) بكسر اللام من غير ألف، جمع كلمة، وقرأ الباقون: بفتح اللام وألف بعدها[2]، والمعنى فيه متقارب، ومعناه: يريدون أن يغيروا وعده لأهل الحديبية خاصة بغنيمة خيبر.

﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ إلى خيبر.

﴿كَذَٰلِكُمْ﴾ أي: كقولي لكم ﴿قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ من قبلِ عَوْدِنا.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ فلذلك قلتم هذا القول.

﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ من الدين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم، وهم المؤمنون.

***

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ عن الحديبية، وكرر ذكرهم بهذا الاسم

---

(١) في «ت»: «منهم».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٦).

مبالغةً في الذم، وإشعاراً بشناعة التخلف؛ أي: قل لهم إن كنتم تريدون الغزو:

﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ وهم فارس والروم، أو هم بنو حنيفة والمرتدون، قال منذر بن سعيد: يتركب على هذا القول أن الآية مؤذنة بخلافة أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ؛ لأن أبا بكر قاتل أهل الردة، وعمر قاتل فارس والروم[١].

﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ أي: يكون أحد الأمرين لا غير، ومن عداهم يقاتل حتى يسلم، أو يعطي الجزية.

وعن رافع بن خديج قال: واللهِ لقد كنا نقرأ هذه الآية فيما مضى ولا نعلم مَنْ هم، حتى دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم أريدوا[٢].

﴿فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ هو الغنيمة في الدنيا، والجنة في الآخرة ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾ تُعْرِضوا ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ عامَ الحديبية.

﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وهو النار.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٧٢)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٧٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢١٩) عن ابن عباس، وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٧٢)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٧٣).

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] فلما نزلت هذه الآية، قال أهل الزمانة: كيف بنا يا رسول الله؟ فأنزل الله عز وجل ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ في التخلف عن الجهاد.

﴿ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ هذا عذر لهم في تخلفهم عن الحديبية.

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (نُدْخِلْهُ) (نُعَذِّبْهُ) بالنون فيهما للعظمة، والباقون: بالياء فيهما؛ لقوله: (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ)[1].

* * *

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ كانوا ألفاً وثلاث مئة، وقيل غير ذلك.

﴿ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ وكانت سَمُرة ﴿ فَعَلِمَ ﴾ الله ﴿ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٧).

من الصدق والوفاء ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة ﴿عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ﴾ جازاهم ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر بعد انصرافه من مكة.

* * *

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ﴾ من أموال اليهود، وكانت خيبر ذات عقار وأموال، فقسمها رسول الله بينهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ غالباً ﴿حَكِيمًا﴾ مراعياً مقتضى الحكمة.

* * *

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ أي: مغانم خيبر.

﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ هم قبائل من أسد وغطفان هموا أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة في غيبتهم في غزوة خيبر، فكف الله أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم.

﴿وَلِتَكُونَ﴾ هذه الكفة ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ على صدقك.

﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ يثبتكم على الإسلام.

ولما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية، أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعضَ المحرم، ثم خرج في بقية المحرم سنة سبع من الهجرة إلى خيبر، وهي على ثماني بُرُد من المدينة، فأشرف عليها، وقال لأصحابه: «قفوا،

ثم قال: اللهمَّ ربَّ السمواتِ وما أَظْلَلْنَ، وربَّ الأَرَضِينَ وما أَقْلَلْنَ، ورَبَّ الشياطينِ وما أَضْلَلْنَ، وربَّ الرياح وما ذَرَيْنَ، نسألك خيرَ هذه القرية وخيرَ أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا باسم الله»، ونزل عليها ليلاً، وكان إذا غزا لم يُغر حتى يصبح، فإن سمع أذاناً، كفَّ عنهم، وإن لم يسمع أذاناً، أغار عليهم، فلما أصبحوا، خرجوا إلى عملهم بمكاتلهم ومساحيهم، فلما رأوه عادوا وقالوا: محمدٌ والخميس، يعنون: الجيش، فقال النبي ﷺ: «الله أكبرُ خربتْ خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساءَ صَباحُ المنذَرين»، ثم حاصرهم وضيق عليهم، فخرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول:

قَدْ علمتْ خيبرُ أني مَرْحَبُ ... شاكي السلاح بطلٌ مجرَّبُ
أطعنُ أحياناً وحيناً أضربُ ... إذا الليوثُ أقبلتْ تلتهبُ

فبرز إليه عامر وقال:

قد علمتْ خيبرُ أني عامرُ ... شاكي السلاح بطلٌ مغامرٌ

فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسفل له، فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله، فكانت فيها نفسُه، فمات رضي الله عنه فقال النبي ﷺ: «له أجرُه مرتين»، وكان علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قد تخلف بالمدينة لرمد لحقه، فلما أصبحوا، جاء علي، فتفل النبي ﷺ في عينيه، فما[1] اشتكى رمداً بعدها، فلما مات عامر، برز علي لمرحب بعد أن أعطاه رسول الله ﷺ الراية، وقال رضي الله عنه:

(١) في «ت»: «فلما».

أنـا الـذي سمتنـي أُمِّـي حَيْـدَرَهْ　　　أَكِيلُهـم بـالسيـفِ كيـلَ السَّنْـدَرهْ

ليثٌ بغابات شديدُ القسوره

واختلف بينهما ضربتان، فسبقه علي ـ رضي الله عنه ـ وضرب رأسه فقتله، فسقط عدو الله ميتاً[١].

وكـان فتـح خيبـر فـي صفـر علـى يـد علـي رضـي الله عنـه، فـأخـذ رسول الله ﷺ الأموال، وفتح الحصون، ورجع إلى المدينة، وأصاب سبايا منهن صفية بنت حيي، فاصطفاها ﷺ لنفسه، وجعل عتقها صداقها، وهو مذهب الإمام أحمد ـ رضي الله عنه ـ مستدلاً بذلك، فإذا قال الرجل لأمته القن، أو المُدَبَّرة، أو المكاتبَة، أو أم ولده، أو المعلق عتقُها على صفة: أعتقتُك وجعلتُ عتقَك صداقَك، أو جعلت عتقَ أمتي صداقَها، أو صداق أمتي عتقها، أو قد أعتقتها[٢] وجعلت عتقها صداقها، أو أعتقتك على أن أتزوجك وعتقك صداقك، صح إن كان متصلاً[٣] بحضرة شاهدين، وينعقد النكاح والإعتاق، ويصح جعل صداق مَنْ بعضُها رقيق عتقَ ذلك البعض، وإن طلقها قبل الدخول، رجع عليها بنصف قيمتها، فإن لم تكن قادرة، أجبرت على الاستسعاء، ولو أعتقها بسؤالها على أن تنكحه، أو قال: أعتقتك على أن تنكحيني، ورضيت، صح، ثم إن نكحته، وإلا لزمتها قيمة نفسها، وهذا من مفردات مذهب أحمد؛ خلافاً للثلاثة رضي الله عنهم.

---

(١) رواه مسلم (١٨٠٧)، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة ذي قراد وغيرها. من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

(٢) «أو قد أعتقتها» زيادة من «ت».

(٣) «متصلاً» زيادة من «ت».

وفي غزوة خيبر أهديت للنبي ﷺ[1] الشاة المسمومة، فأخذ منها قطعة ولاكها، ثم لفظها، وقال: «تخبرني هذه الشاة أنها مسمومة»[2].

* * *

﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝٢١ ﴾.

[٢١] ﴿ وَأُخْرَىٰ ﴾ أي: وعدكم فتح بلدة أخرى ﴿ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا ﴾ يعني: بلاد فارس والروم، وقيل: الإشارة إلى مكة، قال ابن عطية: وهذا هو القوي الذي يتسق معه المعنى ويتأيد[3]، وقيل: ومعنى (وَأُخْرَى)؛ أي: مغانم هوازن في غزوة حنين، ومعنى (لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا)؛ لما كان فيها من اضطراب المسلمين.

﴿ قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ ﴾ بالقدرة والقهر لأهلها؛ أي: قد سبق في علمه ذلك، وظهر فيها أنهم لم يقدروا عليها.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ لأن قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء.

* * *

---

(١) «أهديت للنبي ﷺ» زيادة من «ت».

(٢) رواه أبو داود (٤٥١٢)، كتاب: الديات، باب: فيمن سقىٰ رجلاً سماً أو أطعمه فمات، أيقاد منه؟، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٦٨)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٢٤٥).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٣٥).

﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ ﴾ .

[٢٢] ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ يعني : أسد وغطفان وأهل خيبر .

﴿ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ﴾ لانهزموا ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا ﴾ يحرسهم .

﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾ ينصرهم .

* * *

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٣] ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ﴾ أي : كسنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه .

﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ تغييراً .

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم ﴾ يعني : كفار قريش .

﴿ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾ بداخلها .

﴿ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ ﴾ أي : أظهركم عليهم ، وذلك أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمس مئة إلى الحديبية يطلبون غِرَّة في عسكر رسول الله ﷺ ، فلما أحسَّ بهم المسلمون ، بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ، وسماه سيف الله في جملة من الناس ، فهزمهم حتى أدخلهم مكة ،

وأسر منهم جملة، فسيقوا إلى رسول الله ﷺ، فمنَّ عليهم وأطلقهم، فهذا هو أن كف الله أيديهم عن المسلمين بالرعب، وكف أيدي المسلمين عنهم بدخولهم مكة، تلخيصه: حجز بينكم بعد ظفركم بهم.

﴿عَلَيْهِمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ فيجازيهم. قرأ أبو عمرو: (يَعْمَلُونَ) بالغيب على ذكر الكفار وتمردهم، وقرأ الباقون: بالخطاب للكفار[1].

* * *

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: كفار مكة ﴿وَصَدُّوكُمْ﴾ منعوكم ﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ عن دخوله والوصول إليه ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ أي: وصدُّوا الهديَ، وكانت سبعين بدنة ﴿مَعْكُوفًا﴾ محبوساً، نصب على الحال.

﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥۚ﴾ مكانه الذي ينحر فيه عادة، وهو الحرم، وتقدم ذكر اختلاف الأئمة في محل النحر للمُحْصَر في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِۖ﴾ [الآية: ١٩٦].

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ يعني: المستضعفين بمكة.

﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ لم تعرفوهم؛ لاختلاطهم بالمشركين ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٨).

بالقتل. قرأ أبو جعفر: (تَطَوْهُمْ) بإسكان الواو بغير همز، والباقون: بالهمز مضموماً[1].

﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم﴾ من جهتهم ﴿مَّعَرَّةٌۢ﴾ مشقة وإثم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ متعلق بـ(أَنْ تَطَؤُوهُمْ)، أي: تطؤوهم غيرَ عالمين بهم، وجواب (لَوْلاَ) محذوف، تقديره: لأذنَ لكم في دخولها، ولكنه حالَ بينكم وبين ذلك.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ في دين الإسلام.

﴿مَن يَشَآءُ﴾ من أهل مكة بعدَ الصلح قبل أن تدخلوها.

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ أي: تميزوا؛ يعني: المؤمنين من الكفار، وجواب (لَوْ تَزَيَّلُوا):

﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ﴾ بدخولكم مكة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بالسبي والقتل بأيديكم.

* * *

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا (٢٦)﴾.

[٢٦] ﴿إِذْ﴾ أي: واذكر إذ ﴿جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾ الأَنَفَة حين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وأنكروا محمد رسول الله، قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٩).

وإخواننا، ثم يدخلون علينا، فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا، واللات والعزى لا يدخلونها علينا، فهذه.

﴿ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ التي دخلت قلوبهم. قرأ أبو عمرو، وهشام: (إِذ جَّعَلَ) بإدغام الذال في الجيم، والباقون: بالإظهار[١].

﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ ﴾ أي: الثبات والوقار ﴿ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ ﷺ.

﴿ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ حتى لم يدخلهم ما دخل المشركين من الحمية، فيعصوا الله في قتالهم.

﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ هي كلمة الشهادة؛ أي: يثبتهم عليها ﴿ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا ﴾ ممن أباها من المشركين ﴿ وَأَهْلَهَا ۚ ﴾ في علم الله وسابق قضائه لهم، وقوله تعالى:

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ إشارة إلى علمه بالمؤمنين الذين دفع عن الكفار من قريش بسببهم، وإلى علمه بوجه المصلحة في صلح الحديبية، فيروى أنه لما انعقد، أمن الناس في تلك المدة الحرب والفتنة، وعلت دعوة الإسلام، وانقاد إليه كل من كان له فهم من العرب، وزاد عدد الإسلام في تلك المدة أضعاف ما كان قبل ذلك، ويقتضي ذلك أن رسول الله ﷺ كان في عام الحديبية في أربع عشرة مئة، ثم سار إلى مكة بعد ذلك بنحو عامين في عشرة آلاف فارس ﷺ.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٩).

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] روي أن رسول الله ﷺ رأى في منامه قبل خروجه إلى الحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين، ويحلقون ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا، وظنوا أنه يكون في ذلك العام، فلما انصرفوا ولم يدخلوا، قال المنافقون: وأين الرؤيا؟ ووقع في نفوس المسلمين شيء من ذلك، فأنزل الله تعالى:

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا﴾ التي رآها في النوم ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق. قرأ الكسائي، وخلف: (الرُّؤْيَا) بالإمالة، والباقون: بالفتح(١).

﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ اللام لام القسم الذي يقتضيه (صدق)؛ لأنها من قبيل تبين وتحقق ونحوها مما يعطي القسم، تقديره: والله لتدخلن.

﴿ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ ودخول الاستثناء في إخبار الله ـ عز وجل ـ فيه وجوه: أن يعلق عدته بالمشيئة؛ تعليماً لعباده أن يقولوا في عِداتهم مثلَ ذلك متأدبين بأدب الله، ومقتدين بسنته، أو يريد: لتدخلن جميعاً إن شاء الله، ولم يمت منكم أحد، أو: كان ذلك على لسان ملك، فأدخل الملك إن شاء الله، أو: هي حكاية ما قال رسول الله ﷺ لأصحابه، وقص عليهم، وقيل: هو متعلق بـ(آمِنِينَ)، وقيل: (إنْ) بمعنى (إذْ)؛ فكأنه قال: إذ شاء الله، قال ابن عطية: وهذا أحسن في معناه، لكن كون (إن)

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١٠).

بمعنى (إذ) غير موجود في لسان العرب، انتهى[1].

﴿ مُحَلِّقِينَ ﴾ حال من (آمِنِينَ) مفعوله ﴿ رُءُوسَكُمْ ﴾ أي: جميعَ شعورها ﴿ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ بعض شعورها، وتقدم حكم الحلق والتقصير في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾ [الآية: ١٩٦].

﴿ لَا تَخَافُونَ ﴾ أبداً ﴿ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ﴾ من الحكمة في تأخير الفتح.

﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ ﴾ أي: فتح مكة ﴿ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ هو فتح خيبر، وتحققت الرؤيا في العام القابل، فكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان من الهجرة.

* * *

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ ﴾ ملتبساً به ﴿ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ الإسلام ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ ﴾ ليعليَه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقاً، وإظهار فساد ما كان باطلاً، وهذا موجود الآن في دين الإسلام؛ فإنه قد عم أكثر الأرض، وظهر على كل دين.

﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ أي: شاهداً بهذا الخبر، ومعلماً به، وعلى هؤلاء الكفار المنكرين أمرَ محمد ﷺ الرادين في صدره، ومعاقباً لهم بحكم الشهادة.

* * *

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٣٩).

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ مبتدأ، خبره ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ شهد له بالرسالة، وتقدم تفسير (محمد) في سورة آل عمران، وفي الأحزاب، ثم قال مبتدئاً:

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ من المؤمنين ﴿أَشِدَّآءُ﴾ صفة الصحابة خاصة، فلا يكون ﷺ داخلاً مع الصحابة في الشدة ﴿عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ غلاظ عليهم كالأسد في فريسته.

﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ متعاطفون بعضهم على بعض كالوالد مع الولد.

﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ لأنهم مشغولون في الصلاة في أكثر أوقاتهم.

﴿يَبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أن يدخلهم الجنة ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ أن يرضى عنهم. قرأ أبو بكر عن عاصم: (رُضْوَاناً) بضم الراء، والباقون: بكسرها[١].

﴿سِيمَاهُمْ﴾ علاماتهم ﴿فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ وهو نور وبياض يُعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا، وروي أن مواضع السجود تكون في وجوههم كالقمر ليلة البدر.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١١).

﴿ذَٰلِكَ﴾ الوصف المذكور ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي: صفة محمد ﷺ وأصحابه.

﴿فِي التَّوْرَاةِ﴾ وتعطف عليه.

﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ﴾ أي: ذلك مثلهم في الكتابين ﴿كَزَرْعٍ﴾ تمثيل مستأنف؛ أي: هم كزرع ﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ فرخه؛ يقال: أشطأ الزرع: إذا فرخ. قرأ ابن كثير، وابن ذكوان عن ابن عامر: بفتح الطاء، والباقون: بإسكانها[1]، وهما لغتان كالنهْر والنهَر، وقرأ أبو عمرو: (أَخْرَج شَّطْأَهُ) بإدغام الجيم في الشين[2].

﴿فَآزَرَهُ﴾ قرأ ابن ذكوان: بقصر الهمزة، والباقون: بالمد[3]؛ أي: قواه؛ من المؤازرة، وهي المعاونة ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ غلظ ذلك الزرع.

﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ جمع ساق؛ أي: قوي واستقام على أصوله، وهذا مثل ضربه الله لنبيه، خرج وحده، فآزره بأصحابه. قرأ قنبل عن ابن كثير: (سُؤْقِهِ) بهمزة ساكنة، وعنه وجه ثان: بهمزة مضمومة، وقرأ الباقون: بغير همز[4].

﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ الذين زرعوه، وهذا مثل ضربه الله لبدء الإسلام وقوته

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١٣).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١٣).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١٤).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١٤-٢١٥).

بالصحابة بأن يكونوا قليلاً فيكثروا وضعفاء، فيقوون، يوضح ذلك أن علله بقوله:

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ أي: إنما كثرهم وقواهم؛ ليكونوا غيظاً للكافرين.

قال عكرمة: أخرج شطأه بأبي بكر، فآزره بعمر، فاستغلظ بعثمان، فاستوى على سوقه بعلي بن أبي طالب.

ومن غيظ الكفار قولُ عمر بمكة: «لا أعبد[(١)] الله سراً بعد هذا اليوم»[(٢)].

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أرحمُ أمتي بأمتي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأصدقُهم حياءً عثمان، وأقضاهم عليٌّ، وأقرؤهم أُبي بن كعب، وأفرضهم زيدُ بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وما أظلت الخضراء ولا أقلَّت الغبراء من ذي لهجة أصدقَ من أبي ذر، ولكل أمة أمين، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» رضي الله عنهم أجمعين[(٣)].

---

(١) في «ت»: «لا عبد».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٩٢).

(٣) رواه الترمذي (٣٧٩١)، كتاب: المناقب، باب: مناقب معاذ بن جبل وزيد ابن ثابت وأبي عبيد بن الجراح رضي الله عنهم، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١٥٤) في المقدمة، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. دون قوله: «وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر». وقد رواه الترمذي (٣٨٠٢)، كتاب: المناقب. باب: مناقب أبي ذر رضي الله عنه، وابن حبان في «صحيحه» (٧١٣٢)، وغيرهما من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً﴾ و(مِنْهُمْ) لبيان الجنس وليست للتبعيض؛ لأنه وعد للجميع.

﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ يعني: الجنة، وقد اجتمع حروف المعجم التسعة والعشرون في هذه الآية، وهي ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ إلى آخر السورة، أول حروف المعجم فيها ميم من (محمد)، وآخرها صاد من (الصالحات)، وتقدم نظير ذلك في سورة آل عمران في قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [الآية: ١٥٤]، وليس في القرآن آيتان كل آية حوت حروف المعجم غيرهما[1] من دعا الله بهما، استجيب له، والله أعلم.

* * *

(١) من قوله (ص: ٣٤٧): «وقيل: الإشارة إلى مكة» إلى هنا سقط من «ش».

سورة الحجرات

مدنية بإجماع من أهل التأويل، وآيها: ثماني عشرة آية، وحروفها: ألف وأربع مئة وستة وسبعون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وثلاث وأربعون كلمة، وهذا أول المفصل على الراجح من مذهب الشافعي، وبعض[1] الأقوال المعتمدة عند أبي حنيفة، وعنه قول آخر معتمد: أن أوله (قٓ).

قال ﷺ: «فضلني ربي بالمفصل»[2]، وتقدم في أول التفسير أن المفصل من القرآن هو ما بعد الحواميم وقصار السور إلى آخر القرآن، وسميت مفصلاً؛ لكثرة الفصولات فيها بسطر بسم الله الرحمن الرحيم؛ لأنها سور قصار يقرب تفصيل كل سورة من الأخرى، فكثر التفصيل فيها، والله أعلم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾.

---

(١) في «ت»: «وأحد».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٠٧)، والطيالسي في «مسنده» (١٠١٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٧٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤١٥)، وغيرهم من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

[١] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ قرأ يعقوب: (تَقَدَّمُوا) بفتح التاء والدال؛ من التقدم؛ أي: لا تتقدموا، على حذف إحدى التاءين، وقرأ الباقون: بضم التاء وكسر الدال؛ من التقديم[١]؛ أي: لاتعجلوا بالأمر والنهي دونه، المعنى: لا تفعلوا ولا تقولوا شيئاً حتى يحكما به، ويأذنا فيه، ولا تفتاتوا عليهما، وقد كانت عادة العرب الاشتراك في الآراء، وأن يتكلم كل بما شاء، ويفعل ما أحب، فمشى بعض الناس مع النبي ﷺ على بعض ذلك، فربما قال قوم: لو نزل كذا وكذا في معنى كذا، ولو فعل الله كذا، أو ينبغي أن يكون كذا، وأيضاً فإن قوماً ذبحوا ضحاياهم قبل النبي ﷺ، وقوماً فعلوا في بعض خروجه وغزواته أشياء بآرائهم، فنزلت هذه الآية ناهية عن جميع ذلك، وتحقيق معنى الآية الأمرُ بتعظيم النبي ﷺ وتوقيره، وخفض الصوت بحضرته، وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره ﷺ، وكره بعضهم رفع الصوت في مجالس الفقهاء؛ تشريفاً لهم؛ إذ أنهم[٢] ورثة الأنبياء.

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ في مخالفة أمره ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لأقوالكم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بأحوالكم.

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٩٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١٩).

(٢) في «ت»: «هم».

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ونزل فيمن رفع صوته لدى النبي ﷺ، وهو ثابت بن قيس[١] بن شماس، وكان جهوري الصوت، وربما كان يكلم رسول الله ﷺ فيتأذى بصوته: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ ﴾[٢] إذا نطقتكم.

﴿ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ إذا نطق ﴿ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ ﴾ إذا ناجيتموه ﴿ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ أي: لا تغلظوا له الخطاب، ولا تنادوه باسمه يا محمد يا أحمد كما ينادي بعضكم بعضاً، ولكن فخموه، وقولوا له قولاً ليناً: يا رسول الله! يا نبي الله! نظيره: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ ﴾ [النور: ٦٣].

﴿ أَن تَحْبَطَ ﴾ أي: مخافة أن تبطل ﴿ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] فلما نزل، دخل ثابت في بيته، فجعل يبكي، وقال لامرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول: لا أخرج حتى يتوفاني الله، أو يرضى عني رسوله، إني رفيع الصوت، وإني أخاف أن يحبط عملي، وأكون من أهل

(١) «بن قيس» زيادة من «ت».

(٢) رواه مسلم (١١٩)، كتاب: الإيمان، باب: مخافة المؤمن أن يحبط عمله، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

النار، فدعاه النبي ﷺ، وقال: «أما[1] ترضى أن تعيشَ حميداً وتموتَ شهيداً وتدخلَ الجنة؟»، فقال: رضيتُ ببشرى الله ورسوله، ولا أرفع صوتي أبداً على رسول الله ﷺ، فأنزل الله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾[2] إجلالاً له.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: اختبرها بأنواع المحن ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي: لتظهر التقوى بالاختبار وصد النفس عن مرادها ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ واستُشهد ثابت يوم اليمامة في حرب مسيلمة الكذاب في خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ.

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾.

[٤] ونزل في وفد بني تميم حين وفدوا على رسول الله ﷺ، فدخلوا المسجد، ودنوا من حُجَر أزواج النبي ﷺ، وهي تسعة، فعجلوا، ولم ينتظروا، ونادوا بجملتهم: يا محمد! اخرج إلينا؛ فإن مدحنا زين، وذمنا شين، فتربص مدة، ثم خرج ﷺ وهو يقول: «إنما ذلكم اللهُ الذي مدحُه زَيْن وذمُّه شَيْن»: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾[3] جمع حجرة، وهو ما يحجر عليه من الأرض بحائط، والمراد: حجرات نساء النبي ﷺ. قرأ

---

(١) في «ت»: «إنما».

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٤٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٦/ ١١٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣١٠)، والحاكم في «المستدرك» (٥٠٣٤).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ١٤٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ١٠٦)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٧٣).

أبو جعفر: (الحُجَرَاتِ) بفتح الجيم، والباقون: بضمها[١]، وهما لغتان، فكان كل واحد ينادي من وراء حجرة؛ لأنهم لم يتحققوا مكانه، والإنكار إنما وقع لأنهم نادوه من ظاهر الدار بجفاء وغلظة مناداةَ الأعرب.

﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ جهال ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ إذ العقل يقتضي حسنَ الأدب، وسئل رسول الله ﷺ عنهم فقال: «هم جُفاةُ بني تميم، لولا أنهم من أشدِّ الناسِ قتالاً للأعور الدجَّال، لدعوتُ الله عليهم أن يُهلكهم»[٢].

* * *

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾.

[٥] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟﴾ أي: ولو ثبت صبرهم وانتظارهم.

﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ﴾ الصبر.

﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وأحسنَ لأدبهم، والصبر: حبسُ النفس عن أن تنازع إلى هواها.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢٠).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٧٧)، من حديث سعد بن عبد الله. وقد روى البخاري (٢٤٠٥)، كتاب: العتق، باب: من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع..، ومسلم (٢٥٢٥)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل غفار وأسلم وجهينة ومزينة وتميم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما زلت أحبُّ بني تميم منذ ثلاث سمعت من رسول الله ﷺ يقول فيهم، سمعته يقول: «هم أشدُّ أمتي على الدجال».

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الأدب[1]، والتاركين تعظيم الرسول.

***

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾.

[٦] روي أن رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه إلى بني المصطلق مُصَدِّقاً، وكان بينه وبينهم عدواة في الجاهلية، فلما سمع به القوم، خرجوا يتلقونه تعظيماً لأمر رسول الله، فخافهم، فرجع من الطريق هارباً، فجاء النبيَّ ﷺ، وقال: إنهم قد منعوا الصدقة، وهموا بقتلي، فغضب رسول الله ﷺ، وهَمَّ بغزوهم، فأتوا رسول الله ﷺ، وقالوا: يا رسول الله! خرجنا نتلقاه، فرجع، فخشينا أن يكون قد رده كتاب أتاه منك، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم في قولهم، وأرسل إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالد بن الوليد، فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير، فانصرف إلى رسول الله ﷺ، وأخبره بذلك، فأنزل الله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ﴾[2] يعني: الوليد بن عقبة ﴿بِنَبَإٍ﴾ بخبر ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (فَتَثَبَّتُوا) بالتاء والثاء؛ من التثبت؛ أي: توقفوا، وقرأ الباقون: بالياء والنون؛ من التبين[3]؛ أي:

---

(١) «الأدب» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٨٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ١٤٦).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٩٤)،=

تفحصوا، وتنكير (فَاسِقٌ) يؤذن بالاحتراز من كل فاسق.

﴿أَن تُصِيبُواْ﴾ كيلا تصيبوا بالقتل ﴿قَوْمًا﴾ برآء ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ جاهلين بحالهم.

﴿فَتُصْبِحُواْ﴾ فتصيروا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ مغتمين.

***

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ إن كذبتم، أخبره الله، فتفتضحوا.

﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ يقبل منكم ﴿فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ الذي تخبرونه به، فيحكم برأيكم ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ لأثمتم وهلكتم.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ فجعله أحبَّ الأديان إليكم.

﴿وَزَيَّنَهُۥ﴾ حَسَّنه ﴿فِى قُلُوبِكُمْ﴾ بالبرهان، وثبته فيها.

﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ الكذبَ ﴿وَٱلْفُسُوقَ﴾ الخروجَ عن الطاعة ﴿وَٱلْعِصْيَانَۚ﴾ جميع معاصي الله، ومعنى تحبيب الله وتكريهه: اللطف والإمداد بالتوفيق، ثم عاد من خطاب المؤمنين إلى الإخبار عنهم، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ الثابتون على دينهم.

***

= و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢٠_٢٢١).

﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ .

[٨] ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ﴾ مصدر مؤكد لنفسه؛ لأن ما قبله هو بمعناه؛ إذ التحبيب والتزيين هو نفس الفضل.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوال المؤمنين ﴿حَكِيمٞ﴾ بإنعامه عليهم بالتوفيق.

* * *

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩﴾ .

[٩] روي أن رسول الله ﷺ توجه إلى زيارة سعد بن عبادة في مرضه، وركب حماراً، فمر بعبد الله بن أبي بن سلول، فقال عبد الله بن أبي[(١)] لما غشيَه حمارُ رسول الله ﷺ: لا تغبروا علينا، والله لقد آذاني نتنُ حمارك، فقال عبد الله بن رواحة لابن أبي: واللهِ لحمارُ رسولِ الله ﷺ أطيبُ ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، فتشاتما، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال، وكان فيمن غضب لابن أبي مؤمنون، وقيل غير ذلك، فنزل:

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾[(٢)] جُمع نظراً إلى المعنى؛ لأن كل

---

(١) «ابن سلول فقال عبد الله بن أبي» زيادة من «ت».

(٢) رواه البخاري (٢٥٤٥)، كتاب: الصلح، باب: ما جاء في الإصلاح بين الناس، ومسلم (١٧٩٩)، كتاب: الجهاد والسِّير، باب: في دعاء النبي ﷺ، من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٠٣).

طائفة جماعة ﴿ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ ﴾ بالنصح والدعاءِ إلى حكم الله تعالى، وثُني نظراً إلى اللفظ.

﴿ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴾ بأن كانت الباغية مبطلة، والأخرى محقة.

﴿ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ ترجع إلى حكمه المذكور في كتابه من الصلح. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب: (تفِيءَ إِلَى) بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية بين اللفظين، وقرأ الباقون: بتحقيق الهمزتين[١].

﴿ فَإِن فَآءَتۡ ﴾ رجعت عن البغي ﴿ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ بالإنصاف ﴿ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ ﴾ اعدلوا.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ والقَسْط بالفتح الجور؛ من القسط: اعوجاج في الرجلين، و ـ بالكسر ـ: العدل، وفعله أقسط، وهمزته أصلية[٢]؛ أي: أزيلوا الجور، يقال: قسط: جار، وأقسط: عدل، والباغي في الشرع: هو الخارج على إمام العدل.

وأما حكم قتال أهل البغي، فقد اتفق الأئمة على أن نصب الإمام فرض كفاية، وتنعقد الإمامة بالبيعة، وباستخلاف[٣] الإمام، وقهرِ قرشيٍّ حر ذكر، ويحرم قتاله بالاتفاق، فإذا خرج على الإمام طائفة ذات شوكة بتأويل

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢١ـ٢٢٢).

(٢) في «ت»: «للسلب».

(٣) في «ت»: «وبالاستخلاف».

سائغ، ونصبوا إماماً، وقالوا: الحق معنا، دعاهم، وكشف شبهتهم التي استندوا إليها في خروجهم عن طاعته، وأزال ما يذكرونه من مظلمة؛ فإن فاؤوا، وإلا أبيح قتالهم بالاتفاق حتى يفيئوا إلى أمر الله، فإذا فاؤوا، كف عنهم، فإن لم يكن لهم شوكة، أو لم يكن تأويل، أو لم ينصبوا إماماً، فقطاع طريق تقدم حكمهم في سورة المائدة عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة: ٣٣].

واختلفوا في اتباعِ مدبرِ البغاةِ، وقتلِ جريحهم، فقال أبو حنيفة: إن كان لهم فئة يرجعون إليها، جاز ذلك، وإلا فلا، وقال الثلاثة: لا يجوز.

واتفقوا على أن أموالهم يحرم أخذها، وهي باقية لهم.

واختلفوا هل يجوز أن يستعان على حربهم بسلاحهم؟ فقال الشافعي، وأحمد: لا يجوز، وقال أبو حنيفة ومالك: يجوز مع قيام الحرب، فإذا انقضت، ردت إليهم.

واتفقوا على أن البغاة إذا أخذوا خراجاً أو جزيةَ ذمي، فإنه يلزم أهل العدل أن يحتسبوا بذلك، بخلاف عن مالك.

واتفقوا على أن ما يتلفه أهل العدل على أهل البغي وعكسه من نفس ومال حالَ الحرب، فلا ضمان فيه، وتقبل شهادة البغاة[1] وقضاء قاضيهم فيما يقبل فيه قضاء قاضينا بالاتفاق بخلاف عن مالك، ويحرم سبي ذراريهم بالاتفاق، ومن أسر منهم من رجل أو امرأة أو صبي، حُبس حتى ينقضي الحرب، ثم يرسل بالاتفاق، ويحرم قتالهم بما يعم إتلافه؛ كنار

(١) «فلا ضمان فيه وتقبل شهادة البغاة» زيادة من «ت».

ومنجنيق إلا لضرورة عند الشافعي وأحمد، وعند أبي حنيفة: يجوز، وعند مالك: للإمام العدل في قتالهم ما له في الكفار بعد أن يدعوهم إلى الحق.

* * *

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ المتنازعين، وثُني؛ لأن النزاع إنما يكون أولاً بين اثنين، ثم يتعدى إلى الجماعة، ويجوز أن يراد: الحزبان؛ كقوله: (طَائِفَتَانِ). قرأ يعقوب: (إِخْوَتِكُمْ) بكسر الهمزة وإسكان الخاء وتاء مكسورة على الجمع، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة والخاء وياء ساكنة على التثنية[١].

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ فلا تعصوه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ وفي هاتين الآيتين دليل على أن البغي لا يزيل اسم الإيمان؛ لأن الله تعالى سماهم إخوة مؤمنين، مع كونهم باغين، يدل عليه ما روي عن علي ـ رضي الله عنه ـ: أنه سئل، وهو القدوة في قتال أهل البغي، عن أهل الجمل وصفين: أمشركون هم؟ فقال: لا، من الشرك فروا، فقيل: أمنافقون هم؟ فقال: لا، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا[٢].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٧٦٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٧٣).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾.

[١١] ونزل في ثابت بن قيس حين سأل رجلاً: من أنت؟ فقال: ابن فلان، فقال ثابت: أنت ابن فلانة، فخجل الرجل؛ لأنه كان يُعير بها في الجاهلية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ ﴾[١] أي: رجال من رجال، والقوم: الرجال خاصة؛ لأنهم القوام على النساء، جمع قائم، ويسخر معناه: يستهزىء.

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ المعنى: اجتنبوا السخرية، فربما كان المستسخَر به خيراً عند الله من الساخر.

﴿ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ ﴾ ونكر (قَوْمٌ) و(نِسَاءٌ)؛ ليعم النهي[٢] قبيلهما[٣]، ولم يقل: رجل من رجل، ولا امرأة من امرأة؛ أي: فرد من فرد؛ لأن السخرية تكون غالباً بين جمع.

عن ابن عباس: أنها نزلت في صفية بنت حيي بن أخطب، قال لها النساء: يهودية بنت يهوديين، فشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال لها: «هَلاَّ قلتِ: إن أبي هارون، وعمي موسى، وزوجي محمد»[٤].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٠٦)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٨٠)، و«تفسير النسفي» (٤/ ١٦٦).

(٢) «النهي» زيادة من «ت».

(٣) في «ت»: «قبيلهما».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٠٦)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٨١)، =

﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ لا يعيب بعضُكم بعضاً. قرأ يعقوب: (تلْمُزُوا) بضم الميم، والباقون: بكسرها[١].

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ النبز: اللقب، واللقب: ما يسمى به الإنسان بعد اسمه العَلَم، يعم المدح والذم، والتنابز: هو أن يدعى الإنسان بغير ما سُمي به مما يكرهه، المعنى: لا تلقبوا غيركم بالألقاب القبيحة؛ كالفاسق ونحوه، ولا تنادوه بها. قرأ البزي عن ابن كثير: (وَلاَ تَّنَابَزُوا) (وَلاَ تَّجَسَّسُوا) (لِتَّعَارَفُوا) بتشديد التاء في الثلاثة، والباقون: بالتخفيف[٢].

﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ أي: بئس الذكرُ المرتفع للمؤمنين أن يُذكروا بالفسق بعد دخولهم بالإيمان، واشتهارهم به.

﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ﴾ عما نُهي عنه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: الساخرون واللامزون.

﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بوضع العصيان موضع الطاعة. قرأ أبو عمرو، والكسائي، وخلاد عن حمزة بخلاف عنه: (يَتُب فَّأُولَئِكَ) بإدغام الباء في الفاء، والباقون: بالإظهار[٣].

= و«الكشاف» للزمخشري (٤/ ٣٨٣). وقوله: «هلاَّ قلتِ... محمد» أخرجه الترمذي في «سننه» (٣٨٩٢) في كتاب: المناقب، باب: فضل أزواج النبي ﷺ، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٩٠). وهو ضعيف الإسناد؛ قال الترمذي: حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث هاشم الكوفي، وليس إسناده بذلك القوي.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢٣ـ٢٢٥).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢٣ـ٢٢٤). =

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ .

[١٢] ونزل في رجلين اغتابا رفيقهما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾[١] أي: أَبعِدوه عنكم، واجعلوه جانباً منكم.

﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ يستحق عليه العقاب، وذلك البعض كثير؛ لأنه ظن السوء بالمؤمنين، والتبعيض يؤذن باجتناب بعض الظن، ولا يقدم عليه إلا بعد النظر في حال الشخص، فإن كان موسوماً بالصلاح، فلا يظن به السوء بأدنى توهم، بل يحتاط في ذلك، ولا تظنن سوءاً إلا بعد ألا تجد إلى الخير سبيلاً، وأما ظن الصلاح بالصلحاء والعلماء بالله والشرع، فمندوب إليه، وأما الفساق، فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم.

﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ ولا تتبعوا عورات الناس، ولا تبحثوا عن أخبارها حتى لا يظهر ما ستره الله منها ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ الغيبة: أن يقول في الرجل ما فيه مما يكرهه.

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا﴾ أي: أن ما يناله من عرض أخيه كأكل لحم ميت. قرأ نافع، وأبو جعفر: (مَيِّتاً) بكسر الياء مشددة[٢]، والباقون: بإسكانها مخففة[٣]، ونصبه على الحال من (لَحْمَ).

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٠٧)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٣٣٠).

(٢) «مشددة» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

﴿ فَكَرِهْتُمُوهُۚ ﴾ المعنى: إن صح ذلك، أو عرض عليكم هذا، فقد كرهتموه، ولا يمكنكم إنكار كراهته ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ لمن اتقى ما نهي عنه، وتاب مما فرط منه.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾.

[١٣] ونزل نهياً عن التفاخر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ من آدم وحواء.

﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا ﴾ جمع شعب ـ بفتح الشين ـ، وهو أكبر من القبيلة؛ لأنه يجمع القبائل مثل: ربيعة ومضر، والأوس والخزرج، سموا شعوباً؛ لتشعبهم واجتماعهم كشعب أغصان الشجر ﴿ وَقَبَآئِلَ ﴾ وهي دون الشعوب، واحدتها قبيلة، والقبيلة تجمع العمائر، [والعمائر تجمع البطون، والبطون تجمع الأفخاذ، والأفخاذ تجمع الفصائل][(١)] مثاله: خزيمة شعب، كنانة قبيلة، قريش عمارة، قصي بطن، هاشم فخذ، العباس فصيلة، المعنى: خلقناكم من أصل واحد، ثم فرقناكم.

﴿ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾ ليعرف بعضكم بعضاً، ويعطيه حقه، لا للتفاخر، ثم بين ما به[(٢)] الفخر فقال: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ ﴾ فإن التقوى بها تكمل

= (٢/ ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢٤).

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) «ما به» زيادة من «ت».

النفوس، وتتفاضل الأشخاص، قال ﷺ: «من أحبَّ أن يكونَ أكرمَ الناس، فليتق الله»[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿خَبِيرٌ﴾ ببواطنكم.

* * *

﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ونزل في طوائف من الأعراب قَدِموا المدينة في سنة جدبة، وأظهروا الإسلام ليأمنوا بذلك على نفوسهم وأموالهم، ومَنُّوا بذلك على النبي ﷺ: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل﴾ يا محمد: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ حقيقة، وأوقع ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ موقع كذبتم؛ لأنه نفي ما ادعوه تأدباً.

﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ انقدنا واستسلمنا؛ مخافةَ القتل والسبي.

﴿وَلَمَّا﴾ أي: لم ﴿يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ فالإسلام: الخضوع والقبول لأمر رسول الله ﷺ، فإن وجد معه اعتقاد وتصديق بالقلب، فهو إيمان، وتقدم ذكر الإيمان واختلاف الأئمة فيه أول سورة البقرة.

﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بالإخلاص وترك النفاق.

---

(١) رواه عبد بن حميد في «مسنده» (٦٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٧٧٠٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣٦٧)، وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف. انظر: «الضعفاء» للعقيلي (٤/ ٣٤٠).

﴿لَا يَلِتْكُم﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب: (يَأْلِتْكُمْ) بهمزة ساكنة بين الياء واللام، ويبدلها أبو عمرو على أصله؛ من ألت يألت؛ كضرب يضرب، لقوله تعالى: (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ)، وقرأ الباقون: بكسر اللام من غير همز[1]؛ من لات يليت؛ كباع يبيع، وهما لغتان، معناهما: لا ينقصكم.

﴿مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ﴾ أي: من ثوابها ﴿شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما[2] فرط من المطيعين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بالتفضل عليهم.

* * *

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ثم بين المؤمنين حقيقة فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ لم يشكوا.

﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانهم.

* * *

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] فلما نزلت هاتان الآيتان، أتت الأعراب رسولَ الله ﷺ يحلفون

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٢٦/٦).

(٢) في «ت»: «لمن».

بالله إنهم مؤمنون صادقون، وعلم الله غير ذلك منهم، فأنزل:

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾[1] التعليم بمعنى الإعلام؛ أي: أتخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يحتاج إلى إخباركم.

* * *

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧)﴾.

[١٧] ثم أمر تعالى نبيه ﷺ أن ينفي مِنَّةَ الأعراب، فقال: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ﴾ أي: بإسلامكم، فنصب بنزع الخافض.

﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ على ما زعمتم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في إيمانكم، وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله؛ أي: فلله المنة عليكم لا لكم.

* * *

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾.

[١٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ما غاب فيهما.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢١٣-٢١٤)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٩٠)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٤٩).

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ في سركم وعلانيتكم. قرأ ابن كثير: (يَعْمَلُونَ) بالغيب؛ لما في الآية من الغيبة عن النبي ﷺ، وقرأ الباقون: بالخطاب[1]، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢٧).

سُورَةُ ق

مكية بإجماع من المتأولين، وقيل: إلا ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ﴾ الآية، فمدني، وآيها: خمس وأربعون آية، وحروفها: ألف وأربع مئة وأربعة وسبعون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وخمس وسبعون كلمة.

روي عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ: أنه قال: «مَنْ قرأ سورةَ ق هَوَّنَ الله عليه الموتَ وسَكَراتِه»[1].

وهذا أول المفصل عند الإمام أحمد، وأحد الأقوال المعتمدة عن أبي حنيفة، وتقدم التنبيه عليه في أول الحجرات عند ذكر الأقوال الأخرى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾.

[١] ﴿قٓۚ﴾ أبو جعفر على أصله في السكت يقف على (ق)، والكلام فيه كالكلام في (صٓ)؛ لأنهما في أسلوب واحد، واختلف في معناه، فقيل: هو اسم من أسماء الله تعالى، أو من أسماء القرآن، أو هو مفتاح

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٩٢)، وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٣٦١).

أسماء الله تعالى التي هي القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض، وقيل: هو جبل محيط بالأرض من زُمردة خضراء منه خضرة السماء، والسماء مقبيَّةٌ عليه، وعليه كنفاها، وقيل: معناه: قضي الأمر، وقضي ما هو كائن، كما قالوا في (حَم)، وقيل: هو اسم السورة.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ الكريم في أوصافه، ومن عمل بالقرآن مَجُدَ؛ أي: شَرُف على الناس، و(قَ) مُقْسَم به وبالقرآن المجيد، وجواب القسم محذوف[1] تقديره: لَتُبْعَثُنَّ؛ لأنهم أنكروا البعث.

قال ابن عطية[2]: و[3] هذا قول حسن، ثم قال: وأحسنُ منه أن يكون الجواب هو الذي يقع عنه الإضراب بـ(بل)؛ كأنه قال: والقرآنِ المجيدِ ما ردوا أمرك بحجة، أو ما كذبوك ببرهان.

***

﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾.

[٢] ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾ كفار مكة[4] ﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ﴾ مخوِّف ﴿مِّنْهُمْ﴾ يعرفون نسبه وصدقه.

﴿فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ أي: قولُ محمد: إنا نحيا بعد الموت، وقيل: الضمير في (عَجِبُوا) لجميع الناس، مؤمنِهم وكافرِهم؛ لأن كل مفطور عجبَ من بعثة بشرٍ رسولَ الله، لكن المؤمنون نظروا واهتدوا،

---

(١) «محذوف» زيادة من «ت».
(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٥٥).
(٣) «و» زيادة من «ت».
(٤) في «ت»: «قريش».

والكافرون بقوا في عمايتهم، وحاجوا بذلك العجب، ولذلك قال: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

* * *

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ استفهام إنكار جوابه محذوف؛ أي: أنرجع إذا متنا وصرنا تراباً؟ ثم أنكروا ذلك أصلاً، فقالوا: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌ﴾ إلى الحياة ﴿بَعِيدٌ﴾ عن العادة. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (أَئِذا) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء، وفصل أبو جعفر، وأبو عمرو، وقالون بين الهمزتين بألف، وقرأ الباقون: بتحقيق الهمزتين، واختلف عن هشام في الفصل[١]، وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مِتْنَا) بكسر الميم، والباقون: بضمها[٢].

* * *

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾﴾.

[٤] قال الله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ ما تأكل من لحومهم، وهو رَدٌّ لاستبعادهم.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٩-٣٧٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣١).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣٢).

﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ محفوظ من الشياطين، جامع لم يفته شيء، وهو اللوح المحفوظ.

في الحديث: «كلُّ ابنِ آدمَ يَبْلى إلا عَجْبَ الذَّنَب»[١]، وهو عظم كالخردلة، فمنه يركب ابن آدم.

قال ابن عطية: وحفظ ما تنقص الأرض إنما هو ليعود بعينه يوم القيامة، وهذا هو الحق، وذهب بعض الأصوليين إلى أن الأجساد المبعوثة يجوز أن تكون غير هذه، قال ابن عطية: وهذا عندي خلاف لظاهر كتاب الله تعالى، ولو كانت غيرها، فكيف كانت تشهد الجلود والأيدي والأرجل على الكفرة؟ إلى غير ذلك مما يقتضي أن أجساد الدنيا هي التي تعود[٢].

وسئل شيخ الإسلام ابن حجر: هل الأجساد إذا بليت وفنيت، وأراد الله إعادتها كما كانت أولاً، هل تعود الأجساد الأول، أم يخلق الله للناس[٣] أجساداً غير الأجساد الأول؟ فأجاب: إن الأجساد التي يعيدها الله هي الأجساد الأول، لا غيرها، قال: وهذا هو الصحيح، بل الصواب ومن قال غيره عندي، فقد أخطأ فيه؛ لمخالفته ظاهر القرآن والحديث.

---

(١) رواه البخاري (٤٦٥١)، كتاب: التفسير، باب: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾، ومسلم (٢٩٥٥)، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين، من حديث أبي هريرة. قال ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٥٥٢): قال ابن الجوزي: قال ابن عقيل: لله في هذا سرٌّ لا يعلمه إلا الله؛ لأن من يُظهر الوجود من العدم لا يحتاج إلى شيء يبني عليه. ويحتمل أن يكون ذلك جُعِلَ علامةً للملائكة على إحياء كل إنسان بجوهره.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (١٥/ ١٥٦)، ووقع فيه: «الأجساد المبعثرة» بدل: «المبعوثة».

(٣) «للناس» زيادة من «ت».

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾ بالقرآن ﴿ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ مضطرب، قالوا مرة: شعر، ومرة: كهانة، فلم يثبتوا على حال.

* * *

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ ﴾ معتبرين حين أنكروا البعث.

﴿ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ ﴾ ظرف لـ(يَنْظُرُوا).

﴿ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا ﴾ بلا عمد ﴿ وَزَيَّنَّٰهَا ﴾ بالكواكب.

﴿ وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ شقوق وصدوع، فهي مزينة سليمة من العيب.

* * *

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ وَٱلْأَرْضَ ﴾ نصبٌ بمضمر يفسره ﴿ مَدَدْنَٰهَا ﴾ دَحَوْناها على وجه الماء.

﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ جبالاً ثوابت ﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ من كل صنف حسن.

* * *

﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ تَبْصِرَةً ﴾ أي: جعلنا ذلك تبصرة ﴿ وَذِكْرَىٰ ﴾ أي: تذكيراً.

﴿ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ رَجّاع إلى طاعة الله تعالى.

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ كثيرَ البركة، وهو المطر.

﴿ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ ﴾ أشجاراً وثماراً ﴿ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾ أي: وحب الزرع الذي من شأنه أن يُحصد.

* * *

﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ ﴾ أي: طوالاً في السماء ﴿ لَّهَا طَلْعٌ ﴾ ثمر، والطلع: أول ظهور[١] الثمر في أكمامه قبل أن ينشق، وهو أبيض كحب الرمان ﴿ نَّضِيدٌ ﴾ أي: منضود بعضُه فوق بعض، فما دام ملتصقاً كذلك، فهو نضيد، فإذا خرج من أكمامه وتفرق، فليس بنضيد.

* * *

﴿ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ﴾ نصب على المصدر ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ ﴾ أي: بالمطر.

﴿ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ أرضاً جدبة أنبتنا فيها الكلأ. قرأ أبو جعفر: (مَيِّتاً) بتشديد الياء، والباقون: بالتخفيف[٢].

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثلَ ذلك الإحياء ﴿ ٱلْخُرُوجُ ﴾ من القبور.

* * *

(١) «ظهور» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣٢).

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ ﴾ قبلَ قريش ﴿ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ ﴾ قومٌ كان لهم بئر عظيمة، وهي الرس، وكل ما لم يُطْوَ من بئر أو معدن أو نحوه، فهو رَسٌّ، وتقدم ذكرهم في سورة الحج، وفي سورة الفرقان ﴿ وَثَمُودُ ﴾ .

* * *

﴿ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ﴿ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ﴾ والمراد بفرعون: إياه وقومه.

﴿ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴾ وأخواته؛ لأنهم كانوا أصهاره.

* * *

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ ﴾ قوم شعيب ﴿ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ هو تُبَّع الحِمْيَرِيُّ، ذم الله قومه، ولم يذمه؛ لأنه أسلم، وتقدم ذكر قصته في سورة الدخان.

﴿ كُلٌّ ﴾ من هؤلاء المذكورين ﴿ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ ﴾ كقريش ﴿ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ وجب نزول العذاب عليهم، وفيه تسلية للنبي ﷺ، وتهديد لهم. قرأ ورش عن نافع: (وَعِيدِي) بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب بإثباتها وصلاً ووقفاً، والباقون: بحذفها في الحالين(١).

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣٢-٢٣٣).

﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ثم وبخهم بقوله: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ﴾ أفعجزنا عن الإتيان به ابتداءً، فنعجز عن إعادته؟! المعنى[١]: كما لم نعجز عن ابتداء الخلق، لا نعجز عن إحيائه بعد الموت، فلما لم يؤمنوا، قيل: ﴿ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ ﴾ شك ﴿ مِّنْ خَلْقٍ ﴾ بعد الموت ﴿ جَدِيدٍ ﴾ وهو البعث؛ لأنهم ينكرونه.

* * *

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ثم دل على قدرته تعالى، فقال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ ﴾ أي: تحدث ﴿ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾ فلا يخفى علينا ضمائره.

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ ﴾ إلى الإنسان ﴿ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ وهما عرقان كبيران في العنق، يقال لهما: وريدان، عن يمين وشمال، وسمي وريداً؛ لورود الروح فيه، والحبلُ هو الوريد، فأضيف إلى نفسه؛ [لاختلاف اللفظين، وقيل: ليس هذا بإضافة الشيء إلى نفسه][٢]، بل هي[٣] كإضافة الجنس إلى نوعه، والقرب: هو بالقدرة والسلطان؛ إذ لا ينحجب عن علم الله تعالى باطن ولا ظاهر[٤].

* * *

---

(١) «المعنى» زيادة من «ت».

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) «بل هي» زيادة من «ت».

(٤) في «ت»: «ظاهر ولا باطن».

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ﴾ أي : واذكر إذ يتلقى ﴿ ٱلْمُتَلَقِّيَانِ ﴾ أي : يتلقن، ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ويكتبانه .

﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ ﴾ فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات ﴿ قَعِيدٌ ﴾ أي : مُقاعِد، وهو المجالس الملازم، ولم يقل : قعيدان اكتفاءً بأحدهما عن الآخر .

قال ﷺ : «كاتبُ الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة، كتبها صاحب اليمين عشراً، وإذا عمل سيئة، قال صاحب اليمين لصاحب الشمال : دعه سبعَ ساعات ؛ لعله يسبح أو يستغفر»(١) .

* * *

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ مَّا يَلْفِظُ ﴾ الإنسان ﴿ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ ﴾ يرقب قوله ويحفظه عليه .

﴿ عَتِيدٌ ﴾ حاضر معه، وأراد : رقيبين وعتيدين، فاكتفى بأحدهما عن الآخر .

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٨٧)، وفي «مسند الشاميين» (٤٦٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٤٩)، والروياني في «مسنده» (١٢١٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٩٩)، ومن طريقه : البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢١٩)، كلهم من حديث أبي أمامة رضي الله عنه . قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٠٨) : وفيه جعفر بن الزبير، وهو كذاب .

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ شدتُه الذاهبة بالعقل ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي : بحقيقة الموت .

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي : الموت ﴿ مَا كُنتَ مِنْهُ ﴾ أيها الإنسان ﴿ تَحِيدُ ﴾ تميل وتهرب .

* * *

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ﴾ نفخة البعث ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي : النفخ .

﴿ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴾ للكفار بالعذاب .

* * *

﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ ﴾ مَلَكٌ يحثها إلى المحشر .

﴿ وَشَهِيدٌ ﴾ ملك يشهد عليها بما عملت، وهل الملكان الكاتبان في الدنيا هما اللذان ذكرهما الله تعالى في قوله : ﴿ سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ أم غيرهما؟ فيه خلاف .

* * *

﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

[٢٢] ولما كانت الغفلة ساترة الكافر عن الإيمان وأهوال يوم القيامة،

شبهت بالغطاء، فقيل: ﴿لَقَدْ كُنتَ﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ النازلِ بك اليوم.

﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ الذي كان في الدنيا من الغفلة.

﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ نافذ تبصر ما كنت تنكر في الدنيا.

* * *

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ الملَك الموكَّل به:

﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ هذا ما هو مكتوب عندي مُعَدٌّ محضَر.

* * *

﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ثم يقال للسائق والشهيد، أو خطاب للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب، والمراد: مالك؛ كأنه قيل: ألق ألق تأكيداً ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معاند للحق.

* * *

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ مطلقاً[١] ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم. روي عن يعقوب، وقنبل: الوقف بالياء على (مُعْتَدِي).

﴿مُّرِيبٍ﴾ شاكٍّ في دينه.

---

(١) «مطلقاً» زيادة من «ت».

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ﴾ أي: أشرك، مبتدأ ضُمن معنى الشرط، جوابه:

﴿ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾ من النار .

* * *

﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ ﴾ هو شيطانه المقيض له تبرُّأً منه ﴿ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ ﴾ ما أضللته أنا ﴿ وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ عن الإيمان .

* * *

﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ قَالَ ﴾ أي: فيقول الله: ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ ﴾ فما ينفعكم الخصام هنا .

﴿ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم ﴾ في الدنيا ﴿ بِٱلْوَعِيدِ ﴾ أي: خوَّفتكم الرسلُ بما أعددتُ لكم من العذاب هنا إن لم تؤمنوا، أو لا بد منه .

* * *

﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ مَا يُبَدَّلُ ﴾ ما يُغيَّر ﴿ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ ﴾ بالثواب والعقاب .

﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فأعذبهم بغير جرم .

* * *

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿يَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم ﴿نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ استفهام توبيخ لداخليها، وتصديق لقوله تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨].

﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ فتجيب مستفهمة تأدباً، وليكون الجواب وفق السؤال ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ زيادة. قرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: (يَوْمَ يَقُولُ) بالياء؛ أي: يقول الله، وقرأ الباقون: بالنون التي للعظمة[١]، واختلف الناس هل يقع التقرير وهي قد امتلأت، أو هي لم تمتلىء بعد؟ فقال بكلٍّ وجه جماعةٌ من المتأولين، وبحسب ذلك تأولوا قولها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾، فمن قال: إنها تكون ملأى، جعل قولها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ على معنى التقرير ونفي المزيد؛ أي: وهل عندي موضع يزاد فيه شيء؟ وهو قول عطاء، ومجاهد، ومن قال: إنها تكون غير ملأى، جعل قولها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ على معنى السؤال والرغبة بالزيادة، وهو قول ابن عباس[٢].

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزالُ جهنم تقولُ: هل من مزيد، حتى يضع ربُّ العزة فيها قدمَه، فتقول قَطْ قَطْ وعزتك، وتزوي بعضها إلى بعض، ولا يزال في الجنة فضل حتى يُنشيء الله خلقاً فيسكِنَهُ فُضولَ الجنة»[٣]، وقوله: قط قط: حسبي حسبي.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣٥).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ١٦٥).

(٣) رواه البخاري (٦٢٨٤)، كتاب: الأيمان والنذور، باب: الحَلِف بعزة الله وصفاته، ومسلم (٢٨٤٨)، كتاب: الجنة، باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، من حديث أنس. =

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾ .

[٣١] ﴿ وَأُزْلِفَتِ ﴾ قُرِّبت ﴿ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ ﴾ أي : مكاناً غير ﴿ بَعِيدٍ ﴾ .

* * *

﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

[٣٢] فإذا شاهدوها وما فيها، يقال لهم : ﴿ هَٰذَا ﴾ المشاهَد .

﴿ مَا تُوعَدُونَ ﴾ من الجزاء . قرأ ابن كثير : (يُوعَدُونَ) بالغيب ، والباقون : بالخطاب[١] ﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ ﴾ بدل من ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ أي : رجَّاع عن الذنوب ﴿ حَفِيظٍ ﴾ حافظ لأمر الله تعالى ، ولذنوبه حتى يستغفر منها .

* * *

﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

[٣٣] ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ محل (مَنْ) رفع بالابتداء والخبر ؛ أي : خاف الرحمن وأطاعه ، ولم يره .

﴿ وَجَآءَ ﴾ يوم القيامة ﴿ بِقَلْبٍ ﴾ سليم[٢] ﴿ مُّنِيبٍ ﴾ مقبل على الطاعة .

* * *

﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

[٣٤] وخبر الابتداء ﴿ ٱدْخُلُوهَا ﴾ أي : فيقال لهم : ادخلوا الجنة

---

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣٦).

(٢) «سليم» ساقطة من «ت».

﴿بِسَلَٰمٍ﴾ أي: بأمن وسلامة من جميع الآفات.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الدخول ﴿يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ البقاءُ في الجنة.

* * *

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ فيعطون ما شاؤوا مما يسألونه.

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ زيادة فوق ما طلبوا، قال جابر وأنس: هو النظر إلى وجه الله الكريم(١).

* * *

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ (كَمْ) للتكثير، وهي خبرية، المعنى: أهلكنا قروناً كثيرة قبل كفار مكة.

﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ أي: طافوا في نقوبها: طرقها.

﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ أي: هل لهم من مفر من أمر الله عز وجل؟

* * *

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ عظة ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٢٦).

أي: عقل ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ أصغى لسماع كتاب الله ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضرُ القلب غيرُ غافل.

* * *

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ولما قال اليهود: يا محمد! أخبرنا بما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة، فقال: «خلق الله الأرضَ يومَ الأحد والإثنين، والجبال يوم الثلاثاء، والمدائن والأنهار والأقوات يوم الأربعاء، والسمواتِ والملائكةَ يومَ الخميس إلى ثلاث ساعات من يوم الجمعة، وخلق في أول الثلاث ساعات الآجال، وفي الثانية الآفة، وفي الثالثة آدم»، قالوا: صدقت إن أتممت، قال: «وَمَا ذَاكَ؟»، قالوا: ثم استراح يوم السبت، واستلقى على العرش، فأنزل الله تكذيباً لهم، ورداً عليهم:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾(١) إعياء؛ لأنا منزهون عن صفات المخلوقين؛ إذ لا مماسة ثَمَّ فيقع تعب، إنما أمرنا بالشيء ﴿إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٣٢) و(٢٢/ ٤٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٨٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو ضعيف لضعف أبي سعيد البقَّال، كما ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٥٥٨).

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ أي: اليهودُ والمشركون من التشبيه والتكذيب، واختُلف في الأمر بالصبر، فبعضهم يقول: نسخ بآية السيف، وبعضهم يقول: ثابتٌ، ويرى أن الصبر مأمور به في كل حال.

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ صلِّ حمداً لله تعالى.

﴿ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ ﴾ هي صلاة الفجر ﴿ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ هما الظهر والعصر.

* * *

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ يعني: صلاة المغرب والعشاء.

﴿ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ الركعتان بعد صلاة المغرب. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وحمزة، وخلف: (وَإِدْبَارَ) بكسر الهمزة مصدر أدبر إدباراً، وقرأ الباقون: بفتحها على جمع الدُّبُر(١).

* * *

﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ وَٱسْتَمِعْ ﴾ ما أُخبرك به يا محمد ﴿ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ ﴾ هو إسرافيل ـ عليه السلام ـ ينادي بالحشر.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٢٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣٧ـ٢٣٨).

﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ إلى السماء، وهو صخرة بيت المقدس، وهو وسط الأرض، وهي أقرب الأرض إلى السماء باثني عشر أو ثمانية عشر ميلاً: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء(١). **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (الْمُنَادِي) بإثبات الياء وصلاً، **وقرأ** ابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين(٢).

* * *

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] وتبدل من ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ﴾ هي النفخة الثانية ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالبعث ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ من القبور.

* * *

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ في الدنيا ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ في الآخرة.

* * *

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿يَوْمَ﴾ ظرف له ﴿تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ **قرأ** أبو عمرو،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٨٢) عن كعب.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣٨).

والكوفيون: (تَشَقَّقُ) بتخفيف الشين، والباقون: بتشديدها[1] ﴿سِرَاعًاۚ﴾ جمع سريع، ونصبه على الحال؛ أي: تتشقق الأرض عنهم، فيخرجون مسرعين.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الخروجُ ﴿حَشْرٌ﴾ بعث ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ سهل، وهو كلام معادل لقول الكفرة: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾.

***

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ يعني: كفار مكة في تكذيبك، تسليةٌ له ﷺ، وتهديد لهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ﴾ بمسلَّط تُجبرهم على الإسلام، وإنما أنت داع. **قرأ** أبو عمرو، والكسائي من رواية الدوري: (بِجَبَّارٍ) بالإمالة، واختلف عن ابن ذكوان، وروي عن ورش وحمزة بين بين، **وقرأ** الباقون: بالفتح[2].

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ **قرأ** ابن كثير (بِالْقُرَانِ)[3] بالنقل، والباقون: بالهمز ﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أي: ما أوعدت من عصاني من العذاب.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٣ـ١٦٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣٩).

(٣) «بالقران» زيادة من «ت».

روى ابن عباس: «أن المؤمنين قالوا: يا رسول الله! لو خوفتنا، فنزلت: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾»[1].

وتقدم اختلاف القراء في إثبات الياء وحذفها من (وَعِيدِي) في الحرف السابق، وكذلك اختلافهم في هذا الحرف، وكان رسول الله ﷺ يخطب بسورة (قٓ) في كثير من الأوقات؛ لاشتمالها على ذكر الله تعالى، والثناء عليه، ثم على علمه بما توسوس به النفوس، وما تكتبه الملائكة على الإنسان من طاعة وعصيان، ثم تذكير الموت وسكرته، ثم تذكير القيامة وأهوالها، والشهادة على الخلائق بأعمالهم، ثم تذكير الجنة والنار، ثم تذكير الصيحة والنشور والخروج من القبور، ثم بالمواظبة على الصلوات، والله أعلم.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٨٥)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٢٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠٨)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٧٠)، والقرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٨).

سورة الذاريات

بإجماع المفسرين مكية، وآيها: ستون آية، وحروفها: ألف ومئتان وسبعة وثمانون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وستون كلمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١﴾.

[١] ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ يعني: الرياح التي تذرو[1] التراب ذرواً، وذرواً[2] نصب على المصدر. قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، وحمزة: بإدغام التاء في الذال، والباقون: بكسر التاء من غير إدغام[3].

* * *

﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢﴾.

[٢] ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ﴾ أي: السحاب الموقراة بالماء.

﴿وِقۡرٗا﴾ ثقلاً، مفعول (الحاملات).

---

(١) «تذرو» زيادة من «ت».

(٢) «وذرواً» سقط من «ت».

(٣) انظر: «الكشف» لمكي (١/ ١٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٢٨٨-٣٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٤٣).

﴿ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ ﴾ أي: السفن.

﴿ يُسْرًا ﴾ تجري في الماء جرياً سهلاً[1]. قرأ أبو جعفر: (يُسُراً) بضم السين، والباقون: بإسكانها[2]، ويسراً مصدر في موضع الحال؛ أي: ميسرة.

***

﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴾ هي الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق؛ من الأرزاق والأمطار وغيرها على ما أمروا به، و[3] (أَمْراً) مفعول (الْمُقَسِّمَاتِ)، أقسم الله تعالى بهذه الأشياء؛ لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته.

***

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] وجواب القسم: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ ﴾ من الثواب والعقاب.

﴿ لَصَادِقٌ ﴾ أي: لوعد صادق.

***

﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ ﴾ أي: الحساب والجزاء ﴿ لَوَٰقِعٌ ﴾ لا محالة.

---

(١) «سهلاً» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٤٣).

(٣) «و» زيادة من «ت».

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧﴾ .

[٧] ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ الطرائق التي تكون في السماء من آثار الغيم، جمع حبيكة، وهو قَسَمٌ ثانٍ.

* * *

﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾ .

[٨] جوابه: ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة.

﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ تصديق وتكذيب بمحمد، أو في قول مختلف في نفسه، قوم منكم يقولون: ساحر، وقوم: كاهن، وقوم: شاعر، وقوم: مجنون، إلى غير ذلك.

* * *

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾ .

[٩] ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ﴾ يُصرف عن الإيمان به.

﴿مَنْ أُفِكَ﴾ من صُرف عن السعادة في الأزل.

* * *

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠﴾ .

[١٠] ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ أي: لُعن الكذابون أصحابُ القول المختلف.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١﴾ .

[١١] ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ أي: في غلبة الجهل، غافلون عما يراد بهم.

﴿ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ يَسْـَٔلُونَ ﴾ استهزاءً : ﴿ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ أي : متى يوم الجزاء؟

* * *

﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ هُمْ ﴾ أي : يكون هذا الجزاء في يوم .

﴿ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ يعذبون .

* * *

﴿ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] فإذا عذبوا ، قيل لهم : ﴿ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ ﴾ أي : حريقكم .

﴿ هَٰذَا ﴾ العذابُ ﴿ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ تكذيباً به واستهزاء .

* * *

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ قرأ ابن كثير ، وحمزة ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم ، وابن ذكوان عن ابن عامر : (وَعِيُونٍ) بكسر العين ، والباقون : بضمها[١] .

* * *

---

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٣٩٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٤٥) .

﴿ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ ءَاخِذِينَ ﴾ قابلين ﴿ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ بسرور؛ لأنه في غاية الجودة، فليس فيه ما يُرَدُّ ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ أي: المتقون ﴿ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ أعمالَهم.

* * *

﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] لأنهم ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ خبر (كان).

﴿ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ ينامون، و(ما) زائدة، و(قَليلاً) نعت لمصدر محذوف؛ أي: هجوعاً قليلاً؛ أي: كانوا في معظم الليل يصلون ويذكرون.

* * *

﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ قيل: يا رسول الله! كيف الاستغفار؟ قال: «قولوا: اللهمَّ اغفر لنا، وارحمنا، وتب علينا؛ إنك أنت التواب الرحيم»(١).

* * *

﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ ﴾ الطالب ﴿ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ أي: يُحسب غنياً، فيحرم؛ لتعففه.

* * *

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٩٥)، وفي «عمل اليوم والليلة» (ص: ٣٣٢)، من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه.

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ ﴾ دلالات على التوحيد .

﴿ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ إذا ساروا فيها من الجبال والبحار والأشجار والثمار وأنواع النبات .

* * *

﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ ﴾ آيات أيضاً بتنقلها من حال إلى حال، ثم إلى الزوال .

﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ الصنعة، فتستدلون بها على صانعها؟

* * *

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

[٢٢] ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ ﴾ أي : المطر ؛ لأنه سبب الرزق .

﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ من الجنة ؛ لأنها فوق السماء السابعة، وجميع المقدر مكتوب في السماء .

* * *

﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٣] ثم أقسم بنفسه فقال : ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ ﴾ أي : هذا القول .

﴿ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ فتقولون : لا إله إلا الله . قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم : (مِثْلُ) برفع اللام صفة لـ(حقٌّ) ؛

لأنه نكرة لكثرة المماثل، و(ما) زائدة تعطي تأكيداً، وقرأ الباقون: بالنصب صفة لمصدر محذوف[1]؛ أي: إنه لحق حقاً مثلَ ما إنكم تنطقون.

قال الحسن في هذه الآية: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله أقواماً أقسمَ الله لهم بنفسه، فلم يصدِّقوه»[2].

* * *

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤)﴾.

[٢٤] ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ قرأ هشام: (إِبْرَاهَامَ) بالألف، وأبو عمرو: (حَدِيث ضَّيْفِ) بإدغام الثاء في الضاد[3]، وضيف اسم جنس يقع للجمع والواحد، وروي أن أضياف إبراهيم هؤلاء: جبريل وميكائيل وإسرافيل، وأتباع لهم من الملائكة صلى الله عليه وعليهم.

﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ لأنهم كرام على الله، ولأن إبراهيم خدمهم هو وامرأته، وسماهم ضيفاً؛ لأنهم كانوا في صورة الضيف.

قال ﷺ: «مَنْ كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر، فليكرمْ ضيفَه»[4].

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٤٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٦/ ٢٠٦).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٢)، والإدغام في «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٤٦).

(٤) رواه البخاري (٥٦٧٢)، كتاب: الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومسلم (٤٧)، كتاب: الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار والضيف، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ ﴾ عند دخولهم ﴿ سَلَٰمًا ﴾ مصدر؛ أي: سلموا سلاماً.

﴿ قَالَ سَلَٰمٌ ﴾ عليكم، مبتدأ وخبره. قرأ حمزة، والكسائي: (سِلْمٌ) بكسر السين وإسكان اللام من غير ألف، وقرأ الباقون: بفتح السين واللام وألف بعدها[١]، فنكرهم، فقال: أنتم ﴿ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ أي: غرباء لا نعرفكم.

* * *

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ فَرَاغَ ﴾ فمال[٢] ﴿ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ ﴾ سراً ﴿ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ مشوي.

* * *

﴿ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ ﴾ ليأكلوه، فتركوه.

﴿ قَالَ ﴾ إنكاراً عليهم[٣]: ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ منه؟

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٥٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٤٧).

(٢) «فمال» زيادة من «ت».

(٣) «عليهم» زيادة من «ت».

﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ فَأَوْجَسَ ﴾ فأضمر في نفسه ﴿ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ لأنه ظنهم أعداءً؛ لعدم أكلهم، ولغرابة شكلهم.

﴿ قَالُواْ لَا تَخَفْ ﴾ روي أن جبريل مسح بجناحه العجل، فقام يمشي خلف أمه.

﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ ﴾ هو إسحق عليه السلام ﴿ عَلِيمٍ ﴾ يكمُلُ علمُه إذا بلغ. قرأ ابن كثير: (وَبَشَّرُوهُو) بواو يصلها بهاء الكناية في الوصل وشبهه حيث وقع.

* * *

﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ ﴾ سارة إلى بيتها، وكانت في زاوية تنظر إليهم.

﴿ فِى صَرَّةٍ ﴾ شِدَّة صوت؛ من الصرير.

﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ لطمته بجميع أصابعها تعجُّباً كعادة النساء إذا أنكرن شيئاً.

﴿ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ فكيف ألد؟ والعقيم: من مُنع الولد، والعُقْم في اللغة: المنع، وكانت سارة لم تلد قبل ذلك.

* * *

﴿ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] ﴿ قَالُواْ كَذَٰلِكِ ﴾ مثلَ ذلك الذي بشرنا به ﴿ قَالَ رَبُّكِ ﴾ وإنما نخبرك به عنه.

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ذو الحكمة ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بالمصالح وغير ذلك من المعلومات.

* * *

﴿ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ثم ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم ـ عليه السلام ـ للملائكة:

﴿ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ والخطب: الأمر المهم، وقلما يعبر به إلا عن الشدائد والمكاره، حتى قالوا: خطوب الزمان، ونحو هذا، فكأنه يقول لهم: ما هذه الطامة التي جئتم لها؟

* * *

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ يعني: قوم لوط، والمجرم: فاعلُ الجرائم، وهي صعاب المعاصي.

* * *

﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾ مطبوخٍ بالنار، روي أنه طين طبخ في نار جهنم حتى صار حجارة كالآجُرّ.

* * *

﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾ معلَّمة، عليها اسمُ من يُرمى بها، ونصبه على الحال.

﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ والمسرف: الذي يتعدى الطور، فإذا جاء مطلقاً، فهو لأبعد الغايات: الكفر فما دونه.

* * *

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ في قرى لوط، وإن لم يجر لها ذكر؛ لأن ذلك معلوم.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ممن آمن بلوط منجياً لهم، وذلك قوله: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٦٥].

* * *

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ هو بيت لوط، وكان هو وابنتاه، وصفهم الله تعالى بالإيمان والإسلام جميعاً؛ لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم.

* * *

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾ في مدينة قوم لوط، وهي سدوم.

﴿ءَايَةً﴾ عبرة ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ فإنهم المعتبرون بها.

* * *

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] وتعطف على قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾ ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾ أي: وتركنا فيه

وقصته أثراً أيضاً هو آية ﴿ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ ﴾ هو صاحب مصر .

﴿ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴾ بحجة ظاهرة .

* * *

﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ٣٩ ﴾ .

[٣٩] ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ ﴾ أعرض عن الإيمان بجمعه؛ لأنهم له كالركن للبناء .

﴿ وَقَالَ ﴾ لموسى : هو ﴿ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴾ تقسيم ظن؛ أي : إنه لابد أن يكون أحدَهما .

* * *

﴿ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ٤٠ ﴾ .

[٤٠] ﴿ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ ﴾ فطرحناهم في البحر .

﴿ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴾ والمليم : الذي أتى من المعاصي ونحوها ما يُلام عليه .

* * *

﴿ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ٤١ ﴾ .

[٤١] ﴿ وَفِي عَادٍ ﴾ أي : في إهلاكهم آيةٌ ﴿ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴾ التي لا خير فيها، لا تلقح شجراً، ولا تسوق مطراً، وهي الدبور .

* * *

﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ٤٢ ﴾ .

[٤٢] ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ ﴾ من أنفسهم وأموالهم .

﴿ أَتَتۡ ﴾ مرّت ﴿ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴾ البالي .

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿وَفِي﴾ هلاكِ[١] ﴿ثَمُودَ﴾ آيةٌ.

﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى انقضاء آجالكم، وهي ثلاثة أيام.

* * *

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] وذلك أنهم لما عقروا الناقة، قيل لهم: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام.

﴿فَعَتَوْا﴾ ترفعوا ﴿عَنْ﴾ امتثال ﴿أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ بعد الأيام الثلاثة. قرأ الكسائي: (الصَّعْقَةُ) بإسكان العين من غير ألف، والباقون: بكسر العين وألف قبلها[٢]، وهي على القراءتين: الصيحة العظيمة، ومنه يقال للوقعة الشديدة من الرعد: صاعقة، وهي التي معها النار ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ إليها نهاراً.

* * *

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾ ما قدروا على النهوض عند نزول العذاب بهم.

﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ ممن أهلكهم.

* * *

---

(١) في «ت»: «إهلاك».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٤٨).

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: (وَقَوْمِ) بخفض الميم عطفاً على (وَفِي ثَمُودَ)، وقرأ الباقون: بنصبها بمضمر[١]؛ أي: وأهلكنا قومَ نوح.

﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل إهلاك[٢] هؤلاء المذكورين.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ بالكفر والعصيان.

***

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ ﴾ بقوة ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ لقادرون.

***

﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا ﴾ مهَدْناها ﴿ فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴾ نحن.

***

﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ صنفين ونوعين مختلفين، وهي إشارة إلى المتضادات والمتقابلات من الأشياء؛ كالليل والنهار، والشقاوة والسعادة، والهدى والضلالة، والسماء والأرض، والسواد والبياض،

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٤٨).

(٢) «إهلاك» زيادة من «ت».

والصحة والمرض، والكفر والإيمان، ونحو هذا ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعرفون الخالق فتعبدونه.

***

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠﴾.

[٥٠] ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ بالتوبة والطاعة ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾.

***

﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١﴾.

[٥١] ثم نهى عن عبادة كل مدعو من دون الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ﴾ وكرر ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ حرصاً على هدايتهم.

***

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢﴾.

[٥٢] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: سيرة الأمم كذلك ﴿مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ أي: قبلَ قومك يا محمد.

﴿مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ﴾ له: أنتَ ﴿سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ تلخيصه: المرسلون قبلك كُذِّبوا كما كُذِّبت.

***

﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٥٣﴾.

[٥٣] ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ﴾ توقيف وتعجيب من تراود نفوس الكفرة في تكذيب الأنبياء على تفرق أزمانهم؛ أي: إنهم لم يتواصوا.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ جمعَهم على ذلك الطغيان، والطاغي: المستعلي في الأرض المفسد العاتي على الله.

* * *

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: عن الحرص المفرط عليهم، وذهاب النفس حسرات.

﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ لأنك بلغت الرسالة.

* * *

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿وَذَكِّرْ﴾ عِظْ بالقرآن ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولمن قُضِي(١) له أن يكون منهم.

قال ابن عطية: وعلى هذا التأويل، فلا نسخ في الآية، إلا في معنى الموادعة التي فيها؛ فإنّ آية السيف نسخت جميع الموادعات(٢).

* * *

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قال ابن عباس، وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ: المعنى: ما خلقت الجن والإنس إلا

---

(١) في «ت»: «قضي له».

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٨٢).

لآمرهم بعبادتي، وليقروا لي بالعبودية[1]، فعبر عن ذلك بقوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ إذ العبادة هي مضمن الأمر، ومعنى العبادة في اللغة: التذلل والانقياد، وكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله، متذلل لمشيئته.

* * *

﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ لي، ولا لأنفسهم وغيرهم.

﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ ولا أنفسَهم ولا غيرَهم.

* * *

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ﴾ الذي يرزق كلَّ ما يفتقر إلى الرزق.

﴿ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ الشديد القوة نعتاً لـ(ذو)، المعنى: أنا غني عنكم، فاشتغلوا بما أمرتكم به تفلحوا.

* * *

﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ أنفسَهم بالكفر ﴿ ذَنُوبًا ﴾ نصيباً من العذاب ﴿ مِّثْلَ ذَنُوبِ ﴾ نصيب ﴿ أَصْحَٰبِهِمْ ﴾ المراد: من تقدم من الأمم المعذبة، وهذا

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٣٥)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ١٨٢)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٥٥).

استعارة؛ لأن الذَّنوب: الدلو العظيمة، وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة[1] الماء بالدلاء.

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ بالعذاب، فهو نازل بهم لا محالة في وقته المحتوم. قرأ يعقوب: (لِيَعْبُدُونِي) (يُطْعِمُونِي) (يَسْتَعْجِلُونِي) بإثبات الياء فيهن وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين[2].

* * *

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٦٠﴾.

[٦٠] ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ فيه بالعذاب، وهو يوم القيامة، والويل: الشقاء والهم، وروي أن في جهنم وادياً يسمى ويلاً، والله أعلم.

* * *

---

(١) في «ت»: «القساة».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٠ـ٢٥١).

سورة الطور

مكية بإجماع المفسرين، وآيها: تسع وأربعون آية، وحروفها ألف وثلاث مئة وثمانية أحرف، وكلمها: ثلاث مئة واثنتا عشرة كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ (١)﴾.

[١] ﴿وَالطُّورِ﴾ هو الجبل بالسريانية، والمراد: الذي كلم الله عليه موسى ـ عليه السلام ـ، واسمه زبير، وهو بمدين.

* * *

﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢)﴾.

[٢] ﴿وَكِتَابٍ﴾ هو ما كتبه الله لموسى من التوراة، وقيل: هو القرآن ﴿مَسْطُورٍ﴾ مكتوب، والسطر: ترتيب الحروف المكتوبة.

* * *

﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣)﴾.

[٣] ﴿فِي رَقٍّ﴾ جلد، وسمي رقاً؛ لأنه مرقق، وقد غلب الاستعمال على هذا الذي هو من جلود الحيوان ﴿مَنْشُورٍ﴾ مبسوط، وهو خلاف المطوي.

﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ ﴾ .

[٤] ﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴾ هو بيت في السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، والمعمور: المأهول، وعمارته بالملائكة.

* * *

﴿ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ ﴾ .

[٥] ﴿ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴾ هو السماء.

* * *

﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ ﴾ .

[٦] ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ المملوء، والجمهور على أنه بحر الدنيا، والواو الأولى للقسم، وباقيها للعطف.

* * *

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ ﴾ .

[٧] وجواب القسم: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴾ لنازلٌ، والمراد: عذاب الآخرة للكفار.

* * *

﴿ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ﴿ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴾ يدفعه.

* * *

﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ ﴾ تضطرب، فتجيء وتذهب ﴿ مَوْرًا ﴾ مصدر .

* * *

﴿ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ ﴾ كما يسير السحاب ﴿ سَيْرًا ﴾ ثم تتفتت أثناء السير حتى تصير آخراً كالعهن المنفوش؛ لهول ذلك اليوم .

* * *

﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] والفاء في قوله : ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ ﴾ عاطفة جملة على جملة، وهي تتضمن ربطَ المعنى وتأكيدَه، وإثباتَ الويل .

﴿ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ للرسل، وتقدم ذكر الويل في آخر الذاريات .

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ ﴾ والخوض : التخبط في الأباطيل تَشَبُّهٌ بخوض الماء ﴿ يَلْعَبُونَ ﴾ استهزاءً بالنبي ﷺ .

* * *

﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] وتبدل من ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ ﴾ يُدْفَعون بعنف .

﴿إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ بأن تجمع أيديهم إلى أعناقهم، ونواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعون في النار.

* * *

﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] فإذا جُعلوا[١] فيها، قيل لهم تبكيتاً: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا﴾ في الدنيا ﴿تُكَذِّبُونَ﴾.

* * *

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ثم قيل لهم: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ العذابُ ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ العذابَ كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه؟!

* * *

﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ ادخلوها، ثم قيل لهم على جهة قطع رجائهم: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ﴾ عليها ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ﴾ خبر محذوف[٢] المبتدأ؛ أي: صبرُكم وجزعُكم سواءٌ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ لأن صبركم لا ينفعكم.

﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: هذا عذابكم حتمٌ لا بدَّ منه جزاءَ أعمالكم.

---

(١) في «ت»: «حصلوا».

(٢) «محذوف» زيادة من «ت».

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾ إخبار لمحمد ﷺ ومعاصريه، لما فرغ من ذكر عذاب الكفار، عقب ذلك بنعيم المتقين؛ ليبين الفرق، ويقع التحريض على الإيمان.

* * *

﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿فَٰكِهِينَ﴾ قرأ أبو جعفر: (فَكِهِينَ) بغير ألف بعد الفاء، يعني: مسرورين، وقرأ الباقون: بالألف، يعني: متنعمين[١].

﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ من إنعامه ورضاه عنهم ﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

* * *

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ثم يقال لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ أكلاً وشرباً.

﴿هَنِيٓـًٔۢا﴾ لا تنغيص فيه، ونصبه على المصدر.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ معناه: إن رُتَب الجنة ونعيمها هي بحسب الأعمال، وأما نفس دخولها، فهو برحمة الله وتغمده، والأكل والشرب والتهني ليس من الدخول في شيء، وأعمال العباد الصالحة لا توجب

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٥).

على الله التنعيم إيجاباً، لكنه قد جعلها أمارة على من سبق في علمه تنعيمه، وعلق الثواب والعقاب بالتكسب الذي في الأعمال.

* * *

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصۡفُوفَةٍۖ وَزَوَّجۡنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠﴾.

[٢٠] ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ نصب على الحال. قرأ أبو جعفر: (مُتَّكِينَ) بإسكان الياء بغير همز، والباقون: بالهمز[١] ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصۡفُوفَةٍۖ﴾ صُفَّ بعضُها إلى بعض.

﴿وَزَوَّجۡنَـٰهُم﴾ قرنَّاهم، وليس في الجنة تزويج كالدنيا ﴿بِحُورٍ﴾ جمع حوراء، وهي البيضاء القوية بياض العين وسواد سوادها.

﴿عِينٍ﴾ جمع عيناء، وهي الكبيرة العينين مع جمالها.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَـٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ۝٢١﴾.

[٢١] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ﴾ قرأ أبو عمرو: (وَأَتْبَعْنَاهُمْ) بقطع الألف وفتحها وإسكان التاء والعين ونون وألف بعدها، والباقون: (وَاتَّبَعَتْهُمْ) بوصل الألف وتشديد التاء وفتح العين وتاء ساكنة بعدها[٢].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٦).

﴿ ذُرِّيَّٰتُهُمْ ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وابن عامر: بألف بعد الياء على الجمع، وأبو عمرو وحده يكسر التاء والهاء، ويعقوب وابن عامر يضمانهما، وقرأ الباقون: بغير ألف على التوحيد مع ضم التاء والهاء(١).

﴿ بِإِيمَٰنٍ ﴾ المعنى: أن المؤمنين اتبعتهم ذريتهم، وهم أولادهم الصغار والكبار بسبب إيمانهم، فكبارهم بإيمانهم بأنفسهم، وصغارهم بأن أُتْبِعوا في الإسلام بآبائهم بسبب إيمانهم؛ لأن الولد يُحكم بإسلامه تبعاً لأحد أبويه إذا أسلم، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد، وقال مالك: يحكم بإسلامه تبعاً لإسلام أبيه دون أمه، وأما إذا مات أحد أبويه في دار الإسلام، فقال أحمد: يحكم بإسلامه، وهو من مفردات مذهبه؛ خلافاً للثلاثة، واختلفوا في إسلام الصبي المميز ورِدَّته، فقال الثلاثة: يصحان منه، وقال الشافعي: لا يصحان.

﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ المؤمنين في الجنة بدرجاتهم، وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجة آبائهم؛ تكرمة لآبائهم؛ لتقر بذلك أعينهم. قرأ ابن كثير، والكوفيون: (ذُرِّيَّتَهُمْ) بغير ألف على التوحيد مع فتح التاء، وقرأ الباقون: بالألف على الجمع مع كسر التاء.

﴿ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم ﴾ قرأ ابن كثير: بكسر اللام، والباقون: بنصبها(٢).

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٢٩٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٨).

﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ (مِنْ) الأولى متعلقة بـ(ألتناهم)، والثانية زائدة، المعنى على القراءتين: ما نقصناهم من عملهم شيئاً.

﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ﴾ من خير وشر ﴿رَهِينٌ﴾ مرهون، فنفس المرء مرهونة بعمله، ومطالَبة ومجازاة به.

* * *

﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم﴾ زِدْناهم في وقت بعد وقت.

﴿بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ وإن لم يصرحوا بطلبه.

* * *

﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ يتداولون بينهم ﴿فِيهَا كَأْسًا﴾ خمراً.

﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي: لا يُذهب عقولَهم فَيَلْغُوا ويأثموا كشاربي خمر الدنيا. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (لاَ لَغْوَ وَلاَ تَأْثِيمَ) بفتح الواو والميم بغير تنوين، والباقون: برفعهما مع التنوين(١).

* * *

﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ مع ذلك للخدمة.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٩).

﴿غِلْمَانٌ﴾ أرقّاءُ ﴿لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ﴾ حسناً ولطافة.

﴿لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ مصون[1] في الصَّدَف. قرأ أبو جعفر: (لُوْلُؤٌ) بإسكان الواو الأولى ورفع الثانية منونة من غير همز فيهما[2]، وأبو بكر عن عاصم، وأبو عمرو: بإبدال الهمز الأول، وبالهمز في الثاني، والباقون: بالهمز فيهما.

قال ﷺ: «أدنى أهلِ الجنة منزلةً مَنْ ينادي الخادمَ من خدامه، فيجيبه ألفُ خادمٍ ببابه: لَبَّيْكَ لَبيك»[3].

* * *

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بعدَ اجتماعِهم ودورانِ الكأس عليهم ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضاً؛ تلذذاً واعترافاً بالنعمة عما كانوا عليه، وما وصلوا إليه.

* * *

---

(١) «مصون» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٠ـ٣٩٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٩).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٩)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٨٣١)، من حديث عائشة رضي الله عنها. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٣٧٤)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٦٩).

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا ﴾ في الدنيا ﴿ مُشۡفِقِينَ ﴾ خائفين من عذابه تعالى.

* * *

﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا ﴾ بالمغفرة ﴿ وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ اسمٌ من أسماء جهنم، والسموم: الحار الذي يبلغ مسام الإنسان، وهو النار في هذه الآية.

* * *

﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ ﴾ من قبل البعث ﴿ نَدۡعُوهُۖ ﴾ نعبده موحِّدين ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، والكسائي: بفتح الهمزة، أي: لأنه، وقرأ الباقون: بكسرها على الاستئناف[١] ﴿ هُوَ ٱلۡبَرُّ ﴾ المحسن الصادق في وعده ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ العظيم الرحمة.

* * *

﴿ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ فَذَكِّرۡ ﴾ دُمْ على تذكير المشركين ﴿ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ ﴾ برحمته

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٦٠).

وعصمته، و(نِعْمَت) رُسمت بالتاء، وقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب[1] ﴿ بِكَاهِنٍ ﴾ هو الذي يوهم أنه يعلم الغيب ﴿ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ كما يقولون.

* * *

﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ أي: بل أيقولون: هو ﴿ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ ﴾ ننتظر. ﴿ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ حوادثَ الدهر، فيهلك كغيره من الشعراء.

* * *

﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ ﴾ انتظروا هلاكي، وعيدٌ في صيغة أمر.

﴿ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ المنتظرين هلاككم، فعُذِّبوا بالسيف يوم بدر.

* * *

﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم ﴾ عقولُهم ﴿ بِهَٰذَآ ﴾ القولِ المتناقض، وهو قولهم له ﷺ: ساحر، كاهن، شاعر، وذلك أن عظماء قريش كانوا يعرفون[2] بالأحلام والعقول، فأزرى الله بعقولهم حين لم تثمرهم معرفة الحق من الباطل.

---

(١) سلفت عند تفسير الآية (٢٣١) من سورة البقرة.

(٢) في «ت»: «يوصفون».

﴿ أَمْ هُمْ ﴾ بل هم ﴿ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ مجاوزون الحدَّ في العناد.

* * *

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ﴾ اختلقَ محمدٌ القرآن.

﴿ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ المعنى: لم يمتنعوا عن الإيمان بالقرآن لأنه مختلَق، بل تكبراً.

* * *

﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] فإن كان كما زعموا مختلقاً ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ﴾ أي: مثلِ القرآن ونظمِه وحسنِ بيانه ﴿ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ في قولهم.

* * *

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ ﴾ أي: من غير مقدر.

﴿ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ لأنفسهم، ولا بد للخلق من خالق، فهلاً يوحِّدون خالقهم.

* * *

﴿ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ فلا يعبدون خالقهما[1].

﴿ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ بخالقهما.

---

(١) في «ت»: «خالقهم».

﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ٣٧ ﴾ .

[٣٧] ﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ ﴾ أي: مفاتيح خزائن رحمة ﴿ رَبِّكَ ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما، فيخصوا من شاؤوا بما شاؤوا. **قرأ** أبو عمرو: (خَزَائِن رَّبِّكَ) بإدغام النون في الراء(١).

﴿ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴾ المسلطون الجبارون. **قرأ** هشام عن ابن عامر، وقنبل عن ابن كثير، وحفص عن عاصم، بخلاف عن الثاني والثالث: (الْمُسَيْطِرُونَ) بالسين، **وقرأ** حمزة: بين الصاد والزاي، بخلاف عن رواية خلاد، **وقرأ** الباقون: بالصاد الخالصة(٢).

* * *

﴿ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٣٨ ﴾ .

[٣٨] ﴿ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ ﴾ يرتقون به إلى السماء ﴿ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ ﴾ الوحيَ وكلامَ الملائكة، فيقولوا ما شاؤوا، فإن كان كذلك.

﴿ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم ﴾ فَرَضاً على دعواهم ﴿ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴾ حجة بينة.

* * *

﴿ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ٣٩ ﴾ .

[٣٩] ﴿ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ ﴾ بزعمكم.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٦١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٢٩٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٦١-٢٦٢).

﴿ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ فيه تسفيه لهم، وإشعار بأن مَنْ هذا رأيه، فلا[1] يُعَدُّ من العقلاء.

* * *

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا ﴾ على الإنذار ﴿ فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ ﴾ أي: غُرم، وهو ما يلزم أداؤه، فهم بذلك ﴿ مُّثْقَلُونَ﴾ فلا يُسْلِمون.

* * *

﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ اللوح المحفوظ.

﴿ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما فيه، ويخبرون الناس به.

* * *

﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ﴾ مكراً بك؛ ليهلكوك.

﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ المهلكون[2] جزاء كيدهم.

* * *

﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ﴾ يستحق العبادة ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ من

---

(١) في «ت»: «لا».

(٢) «المهلكون» زيادة من «ت».

الآلهة، وجميع ما في هذه السورة من ذكر (أَمْ) استفهام غير عاطفة، واستفهم تعالى مع علمه بهم؛ تقبيحاً عليهم، وتوبيخاً لهم؛ كقول الشخص لغيره: أجاهل أنت؟ مع علمه بجهله.

* * *

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا﴾ قطعاً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ عليهم؛ ليعذَّبوا به.

﴿يَقُولُوا۟﴾ عناداً وجهلاً: ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ بعضُه فوق بعض يَسقينا.

* * *

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟﴾ يعاينوا. قرأ أبو جعفر: (يَلْقَوْا) بفتح الياء وإسكان اللام وفتح القاف من غير ألف قبلها، وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح اللام وألف بعدها وضم القاف[١].

﴿يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ وذلك عند النفخة الأولى. قرأ ابن عامر، وعاصم: (يُصْعَقُونَ) بضم الياء؛ أي: يهلكون، وقرأ الباقون: بفتحها؛ أي: يموتون[٢].

* * *

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٦٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٣)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٦٢).

﴿ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٦﴾ .

[٤٦] وتبدل من ﴿ يَوۡمَهُمُ ﴾ ﴿ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا ﴾ من الإغناء في رد العذاب ﴿ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ يمنعون من عذاب الله .

* * *

﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٧﴾ .

[٤٧] ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ كفروا ﴿ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ أي : قبل المعد لهم يوم القيامة ، وهو القتل ببدر ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ بذلك .

* * *

﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨﴾ .

[٤٨] ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ ﴾ فيهم بالإمهال ، ولا يضيق صدرك . قرأ أبو عمرو : (وَاصْبِر لِّحُكْمِ) بإدغام الراء في اللام ، وروي عنه الإظهار ، والوجهان صحيحان عنه[١] .

﴿ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾ بحيث نراك ونلحظك ﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾ أي : قل : سبحان الله وبحمده ﴿ حِينَ تَقُومُ ﴾ من منامك .

* * *

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾ .

[٤٩] ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ ﴾ أي : صلِّ له ، يعني : المغرب والعشاء .

---

(١) انظر : «الغيث» للصفاقسي (ص : ٣٥٩) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٦٣) .

﴿وَإِدۡبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ يعني: الركعتين قبل صلاة الفجر، وذلك حين تدبر النجوم؛ أي: تغيب بضوء الصبح. **اتفق القراء** على كسرة الهمزة في (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ)؛ إذ المعنى على المصدر؛ أي: وقت أُفول النجوم وذهابها، لا جمع دبر، كما تقدم لبعض القراء في (وَأَدْبَارَ السُّجُودِ) في سورة (ق) [الآية: ٤٠]، والله سبحانه أعلم.

❋ ❋ ❋

سورة النجم

مكية بإجماع من[1] المتأولين، وآيها: اثنتان وستون[2] آية، وحروفها: ألف وأربع مئة وخمسة أحرف، وكلمها ثلاث مئة وستون كلمة، وهي أول سورة أعلنَ بها رسول الله ﷺ وجهرَ بقراءتها في الحرم، والمشركون يستمعون، وفيها سجد، وسجد معه المؤمنون والمشركون، والجن والإنس غير أبي لهب؛ فإنه رفع حفنة من تراب إلى جبهته، وقال: يكفيني هذا.

وسبب هذه السورة أن المشركين قالوا: إن محمداً ﷺ يتقول القرآن، ويختلق أقواله، فنزلت الآية في ذلك.

وهذه السورة أول المفصل على أحد القولين في مذهب مالك، وتقدم التنبيه عليه في أول الشورى عند ذكر القول الآخر، وقد ذكر اختلاف الأئمة في المفصل في أول التفسير، ثم ذكر كل مذهب في محله، وهو عند أول الشورى، والحجرات، وق، وهذا المحل، والله الموفق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾.

---

(١) «من» ساقطة من «ت».

(٢) في «ت»: «ستون وآيتان».

[١] ﴿وَالنَّجْمِ﴾ يعني: الثريا، والعرب لا تقول النجم مطلَقاً إلا للثريا.

﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ سقط عند غروبه، وقيل: المراد: الجملة من القرآن إذا تنزلت، وذلك أنه روي أن القرآن نزل على رسول الله ﷺ نجوماً؛ أي: أقداراً مقدرة في أوقات ما، ويجيء (هَوَى) على هذا التأويل بمعنى: نزل.

قال ابن عطية: وفي هذا المعنى بُعد وتحامُل على اللغة، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]، والخلاف في هذه كالخلاف في تلك(١)، وهو قسم بالنجم وقتَ هويِّه، أو بالقرآن وقتَ نزوله.

* * *

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾.

[٢] وجواب القسم: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ يعني: محمداً ﷺ عن طريق الهدى ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ ما لابسَ الغيَّ، وهو نقيض الرشد. قرأ أبو عمرو، وورش عن نافع: بإمالة رؤوس آي هذه السورة؛ بخلاف عنهما، وافقهما على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف(٢).

* * *

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ أي: لا يتكلم بالباطل عن هوى نفسه.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/٤ وما بعدها).

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ .

[٤] ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ أي: نطقُه ﷺ بالقرآن وما يأتيه من السماء ﴿ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ إليه، لم يقله من تلقاء نفسه.

***

﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ هو جبريل عليه السلام، والقوى: جمع القوة.

***

﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ قوة شديدة في خلقه ﴿ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ فاستقر جبريل.

***

﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ وَهُوَ ﴾ يعني: محمداً، المعنى: استوى جبريل ومحمدٌ ليلة المعراج.

﴿ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ عند مطلع الشمس.

***

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ ثُمَّ دَنَا ﴾ قَرُب جبريل من محمد ﴿ فَتَدَلَّىٰ ﴾ زادَ في القُرب، والأكثرون على أن هذا الدنوَّ والتدلِّي منقسم بين جبريل ـ عليه السلام ـ، ومحمد ﷺ، أو مختص بأحدهما من الآخر، أو من سدرة المنتهى.

وقال ابن عباس: «هو محمدٌ دنا وتدلى من ربه».

وحكي عن ابن عباس أيضاً: «هو الربُّ دنا من محمد، فتدلَّى إليه؛ أي: أمرُه وحكمُه»[1].

قال القاضي أبو الفضل ـ رضي الله عنه ـ في كتاب «الشفا»: فاعلم أن ما وقع في إضافة الدنو والقرب من الله أو إلى الله، فليس بدنو مكان ولا قرب حداً، بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق: «فليس بدنو حَدّ، وإنما دنوُّ النبي من ربه وقربُه منه إبانةُ عظيم منزلته، وتشريف رتبته، وإشراق أنوار معرفته، ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته، ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس، وبسط وإكرام»[2].

* * *

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ١٩٧)، و «تفسير البغوي» (٤/ ٢٥١).

(٢) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٢٠٤)، وقول ابن عباس السالف منه. وقال القاضي في نهاية هذا الكلام: ويتأول فيه ما يُتأول في قوله: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا». وذكر الإمام ابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٦٥) ما يؤيد قولَ ابنِ عباس الأخير بما روى البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: دنا الجبَّار ربُّ العزة فتدلّى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى. اهـ وهذا القول متأوَّل على ما ذكر القاضي عياض. ومن المعلوم أن أكثر العلماء على أن هذا الدنو والتدلي منقسم ما بين جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم، أو مختص بأحدهما من الآخر ومن السدرة المنتهى. كما ذكر النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٣/ ٤).

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ فَكَانَ قَابَ ﴾ قدرَ ﴿ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ بل أقرب، فمن جعل الضمير عائداً إلى الله لا إلى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب، ولطف المحل، واتضاح المعرفة، والإشراف على الحقيقة من محمد ﷺ، وعبارة عن إجابة الرغبة، وقضاء المطالب قربٌ بالإجابة والقبول، وإتيانٌ بالإحسان وتعجيل المأمول، وإنما ذكر (القَوْسَين)؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب، والعرب تجعل مساحة الأشياء بالقوس، ويقال: قاب قوسين؛ يعني: قدر ذراعين، وإنما سمي الذراع قوساً؛ لأنه يقاس به الأشياء.

* * *

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ فَأَوْحَىٰٓ ﴾ اللهُ ﴿ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ ﷺ ﴿ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ في قوله تعالى: (مَا أَوْحَى) إبهام على جهة التفخيم والتعظيم، والذي عُرف من ذلك فرضُ الصلاة.

* * *

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ ﴾ قرأ أبو جعفر، وهشام عن ابن عامر: (كَذَّبَ) بتشديد الذال؛ يعني: ما كذب قلب محمد ﷺ.

﴿ مَا رَأَىٰٓ ﴾ بعينه، وقرأ الباقون: بتخفيفها[١]؛ أي: ما ارتابَ القلب،

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٥٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٩).

وقرأ ورش عن نافع: (الْفُوَادُ) بفتح الواو بغير همز، والباقون: بالهمز، تلخيصه: لم يوهم القلبُ العينَ غيرَ الحقيقة، بل صَدَّق رؤيتَها.

واختلف السلف والخلف هل رأى نبينا ﷺ ربه ليلة الإسراء؟ فأنكرته عائشة، وخالفها ابن عباس وجمع، وتقدم الكلام في ذلك مستوفىً في أول سورة الإسراء في قصة المعراج.

***

﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب: (أَفَتَمْرُونَهُ) بفتح التاء وإسكان الميم من غير ألف؛ أي: أتجحدونه، وقرأ الباقون: بضم التاء وفتح الميم وألف بعدها؛ أي: أتجادلونه[1] ﴿ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ لأن المشركين أنكروا إسراءه ﷺ، ومشاهدتَه جبريل عليه السلام.

***

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] فأكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ ﴾ أي: رأى محمدٌ جبريلَ على صورته حقيقة، وعلى قول ابن عباس ومَنْ وافقه: رأى رَبَّه. قرأ ورش، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، وخلف، وابن ذكوان بخلاف عنه: (رَآهُ) بإمالة الهمزة والراء، وأمال الدوري عن أبي عمرو الهمزة بخلاف عنه، وأمال السوسي الراء[2].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٥٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، =

﴿ نَزْلَةً ﴾ مرةً ﴿ أُخْرَىٰ ﴾ لأنه ﷺ عرج إلى السماء مرات بسبب الصلوات، فكان لكل عرجة نزلة.

* * *

﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ ﴾.

[١٤] وكانت الرؤيا ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش، لا يتجاوزها أحد من الملائكة ولا غيرهم، ولا يعلم ما وراءها إلا هو تعالى، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض منها.

* * *

﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ ﴾.

[١٥] ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ أراد أن يعظم مكان السدرة ويشرفه بأن جنة المأوى عنده، وهي الجنة التي يأوي إليها الملائكة.

* * *

﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ ﴾.

[١٦] ﴿ إِذْ يَغْشَىٰ ﴾ يغطِّي ﴿ ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ العامل في (إِذْ) (رَآهُ)، والمعنى: رآه في هذه الحال، و﴿مَا يَغْشَى﴾ معناه: من قدرة الله وأنواع الصفات التي يخترعها لها، وذلك مبهم على جهة التفخيم والتعظيم.

قال ﷺ: «رأيتُ على كل ورقة منها ملكاً قائماً يُسَبِّحُ الله»[١].

= و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧ و١٠).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥١٩) عن عبد الرحمن بن زيد، مرسلاً. =

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ ما مال بصر محمد يميناً ولا شمالاً، أضاف الأمر للبصر.

﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: ما جاوز ما رأى.

***

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ﴾ التي يمكن أن يراها البشر الآية ﴿ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف، وابن ذكوان: (مَا رَأَى) (لَقَدْ رَأَى) بإمالة الراء والهمزة، واختلف عن هشام وأبي بكر، وأمال أبو عمرو الهمزة فقط.

***

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ مخاطبة لقريش، وهي من رؤية العين، لما فرغ من ذكر عظمة الله تعالى وقدرته، قال على جهة التوقيف: أرأيتم هذه الأوثانَ وحقارتَها، وبعدَها عن هذه القدرة والصفات العلية ﴿ٱللَّٰتَ﴾ صنم ثقيف بالطائف. **قرأ** رويس عن يعقوب: بتشديد التاء، ويمدُّ الساكنين، **وقرأ** الباقون: بتخفيفها، والكسائي يقف عليها بالهاء[1].

= وانظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٤٨)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٩٦).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٢ و٣٧٩)، و«معجم =

﴿ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ سَمُرة كانت غطفان تعبدها، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها، واجتث أصلها، فخرجت من أصلها شيطانة، فقتلها.

* * *

﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ وَمَنَوٰةَ ﴾ اسم علم[١] لصنم هُذيل وخُزاعة، وألفها منقلبة عن ياء؛ لأنها من منى يمني. قرأ ابن كثير: (مَنَاءَةَ) بهمزة بعد الألف، فيمد للاتصال، وقرأ الباقون: بغير همز، والوقف عليها لجميع القراء بالهاء اتباعاً للرسم[٢] ﴿ ٱلثَّالِثَةَ ﴾ نعت لـ(مناة)؛ لأنها ثالثة الصنمين.

﴿ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ نعت ذم، نحو: و﴿ قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ ﴾ [الأعراف: ٣٩]؛ أي: ضعفاؤهم لرؤسائهم؛ أي: مناة الحقيرة، وقيل: اللات والعزى ومناة كانت أصناماً من حجارة في جوف الكعبة يعبدونها، واشتقوا لها أسماء من أسماء الله سبحانه، فقالوا: من الله: اللات، ومن العزيز: العزى، ومن المنان: مناة، ومعنى الآية: أخبرونا ألهذه الآلهة المعبودة قدرة على شيء ما فتعبدونها دون الله تعالى؟! وتقدم في سورة الحج ما ألقاه الشيطان في قراءة النبي ﷺ لما قرأ هذه الآية.

= القراءات القرآنية» (٧/ ١٢). وذكرها البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٥٦)، من قراءة ابن عباس وأبي صالح.

(١) «علم» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٣).

﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ولما قالوا: الملائكة والأصنام بنات الله، مع كراهتهم البنات، نزل إنكاراً عليهم: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ المعنى: إذا كرهتم البنات، فكيف تجعلون لكم البنين، وله تعالى البنات؟!

* * *

﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ جائرة؛ حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لأنفسكم. قرأ ابن كثير: (ضِئْزَى) بالهمز؛ من ضأزه يضأزه ضأزاً، وقرأ الباقون: بغير همز(١)؛ من ضازه يضيزه ضيزاً.

* * *

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ إِنْ هِيَ ﴾ أي: الأصنام ﴿ إِلَّآ أَسْمَآءٌ ﴾ لا حقيقة تحتها من نفع أو ضر ﴿ سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾ أي: سميتم بها ﴿ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾ آلهة تخرُّصاً.

﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا ﴾ بتلك الأسماء ﴿ مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ حجة على تسميتهم، ثم رجع إلى الخبر بعد المخاطبة، فقال: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ في قولهم: إنها آلهة ﴿ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ الخبيثة مما زين لهم الشيطان.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ على لسان الرسل.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٤).

﴿ أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ ﴾ (أَمْ) منقطعة، والهمزة فيها للإنكار، المعنى: ليس للكافر.

﴿ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ من شفاعة الأصنام.

* * *

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ يحكم فيهما بما يريد، فالأمر كله لله.

* * *

﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ إن شفعوا لا يشفعون.

﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ أن يشفع له ﴿ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ عنه.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ لأنهم قالوا: الملائكة بنات الله.

* * *

﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ ﴾ أي: بذلك القولِ ﴿ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ فإنه[١] لا اعتبار له في المعارف الحقيقية.

* * *

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ فَأَعْرِضْ عَن ﴾ إبلاغ ﴿ مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا ﴾ عن العمل بالقرآن.

﴿ وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: طلب الدنيا ﴿ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ ﴾ لا يتجاوزه علمُهم.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ أي: هو أعلم بالفريقين، فيجازيهم.

* * *

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فهذا معترض بين الآية الأولى،

---

(١) في «ت»: «فإن».

وبين قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ من الشرك، فاللام في (لِيَجْزِيَ) متعلق بمعنى الآية: إذا كان أعلم بهم، جازى كلاً بما يستحقه.

﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ وحَّدوا ربهم ﴿بِالْحُسْنَى﴾ بالجنة.

* * *

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢)﴾.

[٣٢] ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ الشرك. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (كَبِيرَ) بكسر الباء من غير ألف ولا همز على التوحيد، والباقون: بفتح الباء وألف وهمزة مكسورة بعدها على الجمع[(١)].

﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ ما فَحُش من الذنوب ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ استثناء منقطع، واللمم: ما صغر من الذنوب؛ كالغمزة والنظرة واللمسة والقبلة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ لمن فعل ذلك وتاب.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: خلق أباكم آدمَ من تراب.

﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين، سمي جنيناً؛ لاجتنانه؛ أي[(٢)]: استتاره في البطن.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦).

(٢) «لاجتنانه؛ أي» زيادة من «ت».

﴿ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ قرأ حمزة: (إِمِّهَاتِكُمْ) بكسر الهمزة والميم، وقرأ الكسائي: بكسر الهمزة فقط، وكل منهما بشرط الوصل، وقرأ الباقون: بضم الهمزة وفتح الميم، واتفقوا على الابتداء كذلك(١).

﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ تثنوا عليها ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ وأخلصَ العمل.

* * *

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] كان الوليد بن المغيرة المخزومي قد سمع قراءة النبي ﷺ، وجلس إليه، ووعظه رسول الله ﷺ، فقرب إلى الإسلام، وطمع النبي ﷺ فيه، ثم إنه عاتبه رجل من المشركين، وقال له: أتترك ملة آبائك؟ ارجعْ إلى دينك، اثبت عليه، وأنا أتحمل لك بكل شيء تخافه في الآخرة، لكن على أن تعطيني كذا وكذا من المال، فوافقه الوليد على ذلك، ورجع عما همَّ به من الإسلام، وضل ضلالاً بعيداً، وأعطى بعض ذلك المال لذلك الرجل، ثم أمسك عنه وشحَّ، فنزل: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴾(٢) عن الإيمان.

* * *

﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَأَعْطَىٰ ﴾ صاحبَه ﴿ قَلِيلًا ﴾ من ماله ﴿ وَأَكْدَىٰٓ ﴾ قطعَ عطيته بخلاً، وأصله من الكدْيَة: أرضٌ صلبة كالصخرة تمنع حافرَ البئر من النفوذ.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦ـ١٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤١)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٦٢)، والقرطبي في «تفسيره» (١٧/ ١١١) عن ابن زيد ومقاتل.

﴿ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ ﴾ أعلمَ من الغيب أنَّ مَنْ تحمل ذنوبَ أحد، فإن المتحمل عنه ينتفع بذلك ﴿ فَهُوَ ﴾ لهذا الذي علمه ﴿ يَرَىٰ ﴾ الحقَّ، وله فيه بصيرة؟!

* * *

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ أَمْ ﴾ هو جاهل ﴿ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ يعني: أسفار التوراة. قرأ أبو جعفر: (يُنَبَّا) بإبدال الهمز، والباقون: بالهمز[(١)][(٢)].

* * *

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ قرأ هشام عن ابن عامر: (أَبْرَاهَامَ) بالألف، والباقون: بالياء[(٣)] ﴿ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ أي: تمم ما أُمر به، وبلغ رسالات ربه إلى خلقه.

عن أبي ذر الغفاري[(٤)] ـ رضي الله عنه ـ قال: قلتُ: يا رسول الله! كم من كتابٍ أنزل الله ـ عز وجل ـ؟ قال: «مئة كتاب، وأربعة كتب،

---

(١) «والباقون: بالهمز» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٨).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٨).

(٤) «الغفاري» زيادة من «ت».

أنزل الله[١] على آدم عشر صحائف، وعلى شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنزل الله[٢] التوراة والإنجيل والزبور والفرقان»، قلت: يا رسول الله! ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: «كانت أمثالاً: أيها الملِكُ المبتلى المغرور! إني لم أبعثك فتجمعَ الدنيا بعضَها إلى بعض، ولكن بعثتُك، تردُّ دعوة المظلوم، فإني لا أردها، وإن كانت من كافر، وكان فيها أمثال منها: على العاقل ـ ما لم يكن مغلوباً على عقله ـ أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، ويفكر في صنع الله، وساعة يحاسب نفسه فيما قدم وأخر، وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب وغيرهما، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن علم أن كلامه من عمله، قل كلامه إلا فيما يعنيه».

ويأتي ما نقل من صحف موسى آخر سورة (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى).

***

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ثم بين تعالى ما في صحفهما، فقال: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: لا تحمل حاملة حملَ غيرِها بأن تؤخذ بإثمها، وفي هذا إبطال قول من قال للوليد بن المغيرة: إنه يحمل عنه الإثم.

***

(١) لفظ الجلالة زيادة من «ت».

(٢) لفظ الجلالة زيادة من «ت».

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ ﴾.

[٣٩] وتعطف على ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾ ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ عمل ونوى، أي: كما لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، لا يثاب بفعله، وما جاء في الأخبار من أن الصدقة والحج ينفعان الميت، فلكون الناوي له كالنائب عنه.

واختلف الأئمة فيما يُفعل من القرب؛ كالصلاة والصيام وقراءة القرآن والصدقة[١]، ويُهدى ثوابه للميت المسلم، فقال أبو حنيفة وأحمد: يصل ذلك إليه، ويحصل له نفعه بكرم الله ورحمته، وقال الشافعي ومالك: يجوز ذلك في الصدقة والعبادة المالية، وفي الحج، وأما في غير ذلك من الطاعات؛ كالصلاة والصوم وقراءة القرآن وغيره، لا يجوز، ويكون ثوابه لفاعله، وعند المعتزلة: ليس للإنسان جعلُ ثواب عملِه في شيء من الأعمال لغيره، ولا يصل، ولا ينفعه.

واختلفوا فيمن مات قبل أن يحج، فقال أبو حنيفة ومالك[٢]: يسقط عنه الحج بالموت، ولا يلزم الحج عنه إلا أن يوصي بذلك، وقال الشافعي وأحمد: لا يسقط عنه، ويلزم الحج عنه من رأس ماله.

واختلفوا فيمن لم يحج عن نفسه، هل يصح أن يحج عن غيره؟ فقال أبو حنيفة ومالك: يصح، ويجزىء عن الغير مع الكراهة، وقال الشافعي وأحمد: لا يصح، فلو فعل، وقع عن نفسه.

وأما الصلاة، فهي عبادة بدنية، لا تصح فيها النيابة بمال ولا بدن بالاتفاق، وعند أبي حنيفة: إذا مات وعليه صلوات، يعطى لكل صلاة

---

(١) «والصدقة» زيادة من «ت».

(٢) «ومالك» زيادة من «ت».

نصف صاع بر، أو صاع من تمر، أو شعير، أو قيمة ذلك فدية تصرف للمساكين، وليس للمدفوع إليه عدد مخصوص، فيجوز أن يدفع لمسكين واحد الفدية عن عدة صلوات، ولا يجوز أن تدفع فدية صلاة لأكثر من مسكين، ثم لا بد من الإيصاء بذلك، فلو تبرع الورثة بذلك، جاز من غير لزوم، وهو من مفردات مذهبه، وهو[1] خلاف[2] للثلاثة.

* * *

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ في ميزانه يوم القيامة.

* * *

﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ﴾ أي: يُجزى[3] العبدُ سعيَه ﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ الأكملَ، والقراءة بفتح (أَنَّ) على أن[4] هذا كله في صحف موسى.

* * *

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ أي: الانتهاء، وهو رجوع الخلائق إليه تعالى بعد الموت، فيجازيهم.

---

(١) «وهو» ساقطة من «ت».

(٢) في «ت»: «خلافاً».

(٣) «أي يجزى» زيادة من «ت».

(٤) «على أن» زيادة من «ت».

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ ذكر الضحك والبكاء؛ لأنهما صفتان تجمعان أوصافاً كثيرة من الناس؛ إذ الواحدة دليل السرور، والأخرى دليل الحزن في الدنيا والآخرة، فنبه تعالى بهاتين الخاصتين اللتين هما للإنسان وحده.

* * *

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ ﴾ في الدنيا.

﴿ وَأَحْيَا ﴾ للبعث، فلا يقدر على الإماتة والإحياء غيره.

* * *

﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

[٤٥] ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ﴾ الصنفين ﴿ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾ من كل حيوان.

* * *

﴿ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

[٤٦] ﴿ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ تُراق في الرَّحم.

* * *

﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

[٤٧] ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ﴾ الخلقة ﴿ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ للبعث بعد الموت. وتقدم اختلاف القراء في (النَّشْأَة) في سورة العنكبوت.

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ ﴾ الناسَ بالكفاية والأموال.

﴿ وَأَقْنَىٰ ﴾ أعطى القُنية وما يدخرونه بعد الكفاية.

* * *

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴾ وهو كوكب خلف الجوزاء، وهما شعريان، يقال لأحدهما: العبور، وهي اليمانية، وللأخرى: الغميصاء، والمراد هنا: العبور، وهي أشد ضياء، عبدها أبو كبشة من خزاعة، وخالف قريشاً في عبادة الأوثان، فلذلك كانوا يسمون النبي ﷺ: ابن أبي كبشة؛ لخلافه إياهم كخلاف أبي كبشة في عبادة الشعرى. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (وَأَنَّه هُّوَ) بإدغام الهاء في الهاء في الأحرف الأربعة؛ بخلاف عن رويس[(١)].

* * *

﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب: (عادً الُّولى) بإدغام التنوين في اللام وتشديدها مضمومة بلا همز بعدها، على أنهم لم يحركوا التنوين؛ لالتقاء الساكنين، بل أدغموه في لام التعريف بعد أن حركوا اللام بحركة الهمزة التي هي فاء الفعل حتى ساغ

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٠).

الإدغام فيه، وقرأ الباقون وهم: ابن كثير، والكوفيون، وابن عامر: بكسر التنوين؛ لاجتماع الساكنين، وإسكان اللام، وتحقيق الهمزة بعدها[1]، وهذا حكم الوصل، وأما حكم الابتداء، فيجوز في مذهب أبي عمرو، ويعقوب، وقالون، وأبي جعفر إذا لم يهمزوا الواو ثلاثةُ أوجه: (أَلُولى) بإثبات همزة الوصل وضم اللام بعدها، الثاني: (لُولَى) بضم اللام وحذف همزة الوصل قبلها اكتفاء عنها بتلك الحركة، الثالث: (الأُولَى) ترد الكلمة إلى أصلها، فتأتي بهمزة الوصل وإسكان اللام وتحقيق الهمزة المضمومة بعدها، وعن قالون في الابتداء بها في وجه همز الواو [ثلاثة أوجه: الأول: (الُؤْلَى) بهمزة الوصل وضم اللام وهمزة ساكنة على الواو][2]، والثاني: (لُؤْلَى) بضم اللام وحذف همزة الوصل وهمز الواو، الثالث: (الأُولَى) كوجه أبي عمرو الثالث، وعن أبي جعفر في هذه الأوجه الثلاثة خلاف، وكلهم يقف على (عاداً) بالألف؛ لأنها بدل من التنوين؛ لأنه اسم رجل، وعاد الأولى هم قوم هود، أُهلكوا بريح صرصر، وكان لهم عقب، فكانوا عاداً الأولى.

* * *

﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١﴾.

[٥١] ﴿وَثَمُودَا۟﴾ هم قوم صالح، أهلكهم الله بالصيحة. قرأ عاصم،

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤١٠-٤١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢١-٢٢).

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

وحمزة، ويعقوب: بغير تنوين: اسم للقبيلة، وقرأ الباقون: بالتنوين[١]: اسم للأب، منصوب بأهلكنا مقدرة، وكل من نَوَّنَ وقف بالألف، ومن لم ينون، وقف بغير ألف، وإن كانت مرسومة، فبذلك جاءت الرواية عنهم منصوصة ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ منهم أحداً.

* * *

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝٥٢﴾.

[٥٢] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أهلكناهم أيضاً ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قبلَ عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ لطولِ دعوة نوح إياهم، وعتوِّهم على الله بالمعصية والتكذيب.

* * *

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣﴾.

[٥٣] ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ قرى قوم لوط. قرأ أبو جعفر: (وَالْمُوْتَفِكَةَ) بإسكان الواو بغير همز، والباقون: بالهمز، واختلف عن قالون[٢].

﴿أَهْوَىٰ﴾ أسقطَ؛ لأن جبريل ـ عليه السلام ـ رفعها إلى السماء، ثم أسقطها مقلوبة إلى الأرض.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٩٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣).

﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

[٥٤] ﴿ فَغَشَّىٰهَا ﴾ ألبسها الله ﴿ مَا غَشَّىٰ ﴾ ولم يذكر المغشَّى؛ تهويلاً لشأنه .

* * *

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

[٥٥] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ ﴾ أي : أَنْعُمه الدالة على الوحدانية أيها الإنسان ﴿ تَتَمَارَىٰ ﴾ تتشكك ، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد : غيره . قرأ يعقوب : (رَبِّك تَّمارَى) بتاء واحدة مشددة حيث قرأها بالوصل ، وأما إذا ابتدأ بقوله (تتَمَارَى) ، أظهر التاءين جميعاً؛ لموافقة الرسم والأصل ، وبذلك قرأ الباقون[١] ؛ فإن الإدغام إنما يتأتى في الوصل ، وهذا بخلاف الابتداء بتاءات البزي في البقرة؛ فإنها مرسومة بتاء واحدة ، فكان الابتداء كذلك موافقة للرسم ، فلفظ الجميع في الوصل واحد ، والابتداء مختلف؛ لما ذكر .

* * *

﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

[٥٦] ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ ﴾ هو محمد ﷺ ﴿ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ﴾ أي : الرسل .

﴿ ٱلْأُولَىٰٓ ﴾ يعني : من جنسهم أُرسل إليكم كما أُرسلوا إلى أقوامهم .

* * *

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٠) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٤) .

﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ۝٥٧﴾.

[٥٧] ﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ﴾ قربت القيامة.

* * *

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾.

[٥٨] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أي: كاشف مزيل لها إذا جاءت، والهاء للمبالغة.

* * *

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩﴾.

[٥٩] ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ أي: القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ تكذيباً. قرأ أبو عمرو: (الْحَدِيث تَّعْجَبُونَ) بإدغام الثاء في التاء[1].

* * *

﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠﴾.

[٦٠] ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ مما فيه من الوعيد.

* * *

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١﴾.

[٦١] ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ لاهون.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٤).

﴿ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

[٦٢] ﴿ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ﴾ سجودَ التلاوة، أو صلوا المفروضات ﴿ وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴾ وحِّدوا، وهذا محل سجود عند أبي حنيفة والشافعي وأحمد، وهو قول عمر بن الخطاب؛ لأنه صح عن رسول الله ﷺ أنه سجد بالنجم، وليس يراها مالك ـ رحمه الله ـ؛ لما روي عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ: «أنه قرأ على النبي ﷺ: ﴿ وَٱلنَّجْمِ ﴾ ، فلم يسجد فيها»[١]، وتقدم ذكر اختلاف الأئمة في حكم سجود التلاوة هل هو واجب أو مسنون عند سجدة مريم، والله سبحانه أعلم.

* * *

(١) رواه البخاري (١٠٢٢)، كتاب: أبواب سجود القرآن، باب: من قرأ السجدة ولم يسجد، ومسلم (٥٧٧)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة.

سورة القمر

مكية، وقال بعضهم: إلا قوله: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ الآية، وآيها: خمس وخمسون آية، وحروفها: ألف وأربع مئة وثلاثة وعشرون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة واثنتان وأربعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾.

[١] ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ دنت القيامة ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾.

* * *

﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾.

[٢] روي أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حِرَاءَ بينهما(١)، ورئي فرقتين: فرقة على قُعَيْقِعَان، وفرقة على أبي قُبَيْس(٢)، فقالت قريش: سحركم ابن أبي كبشة، فاسألوا السُّفَّار،

---

(١) رواه البخاري (٣٦٥٥)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: انشقاق القمر، ومسلم (٢٨٠٢)، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: انشقاق القمر، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية»، كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٧١) وذكره القرطبي في=

فسألوهم فقالوا: نعم قد رأيناه[1]، فنزلت الآية:

﴿وَإِن يَرَوْاْ﴾ أي: قريش ﴿ءَايَةً﴾ دالةً على معجزة محمد ﷺ؛ كانشقاق القمر ﴿يُعْرِضُواْ﴾ عن الإيمان بها.

﴿وَيَقُولُواْ﴾ هذا ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي: ذاهب، سوف يبطل؛ من قولهم: مر: إذا ذهب، وقيل: معناه: دائمٌ متمادٍ، ومعنى تسمية ما جاءت به الأنبياء معجزة: هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بها.

* * *

﴿وَكَذَّبُواْ وَاتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾.

[٣] ﴿وَكَذَّبُواْ﴾ النبيَّ ﴿وَاتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في الباطل.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ من الخير والشر ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾ بأهله في الجنة أو في[2] النار. **قرأ** أبو جعفر: (مُسْتَقِرٍّ) بخفض الراء نعتاً لـ(أَمْرٍ)؛ أي: اقتربت الساعة، واقترب كل أمر مستقرٍّ يستقرُّ ويتبين حاله، **وقرأ** الباقون: برفعها على المعنى الأول[3].

* * *

= «تفسيره» (١٧/ ١٢٧) عن ابن عباس. وقعيقعان وأبو قبيس هما جبلا مكة.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ٨٥)، ومن طريقه: الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦٢). ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٦٦)، ومن طريقه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ٣٥٥).

(٢) «في» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٩).

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ ﴾ .

[٤] ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم ﴾ في القرآن ﴿ مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ ﴾ المتقدمة عن الأمم الماضية .

﴿ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ مُتَّعظ ، زجرته وازدجرته : نهيته .

* * *

﴿ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ ﴾ .

[٥] ﴿ حِكْمَةٌۢ ﴾ خبر مبتدأ محذوف ؛ أي : هذا حكمة .

﴿ بَٰلِغَةٌ ۖ ﴾ تامة قد بلغت الغاية .

﴿ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ نفي واستفهام توبيخ . وقف يعقوب (تُغْنِي) بإثبات الياء ، والنذر : جمع نذير[١] .

* * *

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ ﴾ .

[٦] ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ أي : لا تذهب نفسُك عليهم حسرات ، وتم القول في قوله : (عَنْهُمْ) ، ثم ابتدأ وعيدهم فقال :

﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ ﴾ هو إسرافيل عليه السلام ، ونصب (يَوْمَ) بـ : اذكر مقدرة . **قرأ** أبو عمرو ، وأبو جعفر ، وورش : (الدَّاعِي) بإثبات الياء وصلاً ، ويعقوب والبزي : بإثباتها وصلاً ووقفاً ، والباقون : بحذفها في الحالين[٢] .

---

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٠) .

(٢) انظر : «التيسير» للداني (ص : ٢٠٦) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾ فظيع، تنكره النفوس؛ لأنها لم تعهَدْ مثله. قرأ ابن كثير: (نُكْرٍ) بإسكان الكاف، والباقون: بضمها[1].

* * *

﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ خُشَّعًا ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف: (خَاشِعاً) بفتح الخاء وألف بعدها وكسر الشين بعدها مخففة على الواحد، وقرأ الباقون: (خُشَّعاً) بضم الخاء وفتح الشين مشددة من غير ألف[2]، جمع خاشع، حال العاملُ فيها (يَدْعُو)، وصاحب الحال ضميرٌ محذوف تقديره: يدعوهم الداعي، ولم يؤنث خاشع؛ لأن تأنيثه غير حقيقي.

﴿ أَبْصَٰرُهُمْ ﴾ أي: ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب، وخص الأبصار بالخشوع؛ لأنه فيها أظهر منه في سائر الجوارح، وكذلك سائر ما في الإنسان من حياء أو خوف ونحوه إنما يظهر في البصر.

﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾ القبور ﴿ كَأَنَّهُمْ ﴾ لكثرتهم وما بهم من الخوف والحيرة.

﴿ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ مُنْبَثٌّ لا يدرون أين يذهبون.

* * *

= (٢/ ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٠).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٧ـ٦١٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٠ـ٣١).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ﴿ مُّهۡطِعِينَ ﴾ حال من (يَخْرُجُونَ)؛ أي: مسرعين مادِّي أعناقهم.

﴿ إِلَى ٱلدَّاعِۖ ﴾ إلى صوت إسرافيل. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (الدَّاعِي) بإثبات الياء، وابن كثير ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، والباقون: بحذفها في الحالين[١].

﴿ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ﴾ صعب شديد.

* * *

﴿ ۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ ۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ ﴾ قبلَ قريش ﴿ قَوۡمُ نُوحٖ ﴾ نوحاً ﴿ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا ﴾ نوحاً؛ أي: كذبوه تكذيباً بعد تكذيب، فكان كلما ذهب قرن مكذِّب، تبعه قرن مكذِّب.

﴿ وَقَالُواْ ﴾ هو ﴿ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ﴾ انتُهِر وزُجر عن التبليغ بأنواع الأذية.

* * *

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ فَدَعَا ﴾ نوحٌ ﴿ رَبَّهُۥٓ ﴾ منتصراً عليهم ﴿ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴾ لي منهم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٢).

﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ ﴾ .

[١١] ﴿ فَفَتَحْنَآ ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحفص عن عاصم: بتشديد التاء، والباقون: بتخفيفها[١] ﴿أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ كثيرٍ سريع الانصباب، لم ينقطع أربعين يوماً.

* * *

﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ ﴾ .

[١٢] ﴿ وَفَجَّرْنَا﴾ أي: جعلنا ﴿ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ كلها تنبع. قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وابن ذكوان عن ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (عِيُوناً) بكسر العين، والباقون: بضمها[٢] ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ أي: ماء الأرض وماء السماء، فصارا ماء واحداً.

﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ﴾ أي: حال ﴿قَدْ قُدِرَ﴾ مضى عليهم، وهو الغرق.

* * *

﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ ﴾ .

[١٣] ﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ أي: نوحاً ﴿عَلَىٰ﴾ سفينة ﴿ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾ هي خشباتها العِراض.

﴿وَدُسُرٍ﴾ جمع دِسار؛ أي: المسامير التي تشد بها الألواح.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٣).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٣).

﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ ﴾.

[١٤] ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ أي: بحفظنا وحمايتنا ﴿ جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ يعني: فعلنا به وبهم من إنجاء نوح وإغراق قومه ثواباً لمن جُحِد أمرُه، وهو نوح ﷺ.

* * *

﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥ ﴾.

[١٥] ﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ﴾ أي: أبقينا السفينة بباقَرْدَى من بلد الجزيرة حتى أبصرها أوائل هذه الأمة، أو أبقينا الفعلة بقوم نوح.

﴿ ءَايَةٗ ﴾ يُعتبر بها ﴿ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ معتبرٍ خائفٍ مثلَ عقوبتهم.

* * *

﴿ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦ ﴾.

[١٦] ﴿ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ استفهام تعظيم، ووعيد لقريش، والنذر هنا جمع نذير، المعنى: كيف كان عاقبة إنذاري لمن لم يحصل به كأنتم أيها القوم. **قرأ** ورش عن نافع: (وَنُذُرِي) في الأحرف الستة بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، والباقون: بحذفها في الحالين[١].

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٤ـ٣٥).

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ سهَّلناه للتلاوة والحفظ عن ظهر قلب .

﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ استدعاء وحض على ذكره وحفظه؛ لتكون زواجره وعلومه وهدايته حاضرة في النفس، وقيل: معناه: هل من طالب علم، فيعان عليه .

* * *

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ﴾ وهي قبيلة، وتقدم قَصَصُها .

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله .

* * *

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ شديدةَ الهبوب .

﴿ فِى يَوْمِ نَحْسٍ ﴾ شؤم ﴿ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ صفته؛ أي: دائم الشؤم .

* * *

﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ ﴾ تقلعُهم عن أماكنهم؛ لأنهم كانوا يدخلون الشعاب، ويحفرون الحفر يندسون فيها، فكانت الريح تقلعهم، وتصرعهم على رؤوسهم، فتدقُّ رقابهم، فَيَبين الرأس عن الجسد .

﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ ﴾ أصولُ ﴿ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ منقلع، وشبهوا بالنخل؛ لطولهم،

وذكر منقعر حملاً على لفظ (نخل)، ولو حمل على المعنى، لأنث؛ كـ ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

* * *

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ كرره للتهويل.

* * *

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ تقدم تفسيره.

* * *

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ بالإنذار الذي جاءهم به صالح عليه السلام.

قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وهشام: (كَذَّبَت ثَّمُودُ) بإدغام التاء في الثاء، واختلف عن ابن ذكوان، وقرأ الباقون: بالإظهار[١].

* * *

﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا﴾ وانتصابُه بفعل يفسره.

﴿نَّتَّبِعُهُ﴾ ونحن جماعة كثيرة، فكيف نتبعه وهو واحد منا، وليس بملك؟

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٥).

﴿إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ﴾ خطأ ﴿وَسُعُرٍ﴾ جنون إن اتبعناه.

***

﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ﴾ الوحيُ ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ ونحن أحقُّ به منه. واختلاف القراء في الهمزتين من (أَأُلْقِيَ) كاختلافهم فيهما من (أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) في سورة صٓ [الآية: ٨] ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ في قوله، ﴿أَشِرٌ﴾ متكبر بَطِر.

***

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ قرأ ابن عامر، وحمزة: (سَتَعْلَمُونَ) بالخطاب على معنى: قل يا صالح لهم، وقرأ الباقون: بالغيب؛ أي: يقول الله: سيعلمون[١].

﴿غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ وقوله: (غداً) تقريب يريد به الزمان المستقبل، لا يوماً بعينه[٢].

***

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ مخرجوها، وذلك أنهم تعنتوا على صالح،

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٦-٣٧).

(٢) من قوله: «لهم عقب...» (ص: ٤٥٢) إلى هنا سقط من «ش».

فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء، فقال الله لهم: ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾.

﴿فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ﴾ اختباراً لهم ﴿فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ﴾ فانتظر هلاكهم ﴿وَٱصۡطَبِرۡ﴾ على أذاهم.

* * *

﴿وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ٢٨﴾.

[٢٨] ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ﴾ مقسوم ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ وبين الناقة، فيومٌ لهم ويومٌ لها.

﴿كُلُّ شِرۡبٖ﴾ نصيب من الماء ﴿مُّحۡتَضَرٞ﴾ يحضره من كان نوبته، هم أو الناقة.

* * *

﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ٢٩﴾.

[٢٩] فهموا بقتلها ﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ﴾ قدار بن سالف.

﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ فتناول الناقة بسيفه ﴿فَعَقَرَ﴾ الناقة؛ أي: قتلها.

* * *

﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٠﴾.

[٣٠] ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.

* * *

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ٣١﴾.

[٣١] ثم بين عذابهم فقال: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ هي صيحة جبريل عليه السلام ﴿فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾ هو الرجل يجعل لغنمه

حظيرة من الشجر والشوك دون السباع، فما سقط من ذلك فداسته الغنم، فهو هشيم، وقيل: هو يبس الشجر إذا تحطم.

* * *

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾.

* * *

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴾.

* * *

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ﴾ ريحاً ترميهم بالحصباء، وهي الحصى.

﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ﴾ يعني: لوطاً وابنتيه، والاستثناء منقطع.

﴿ نَّجَّيْنَٰهُم ﴾ من العذاب ﴿ بِسَحَرٍ ﴾ وهو السدس الآخر من الليل.

* * *

﴿ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ نِّعْمَةً ﴾ أي: جعلناه نعمة عليهم ﴿ مِّنْ عِندِنَا ﴾ حيث أنجيناهم.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ كما أنعمنا على آل لوط ﴿ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴾ أَنْعُمَنا، وهو مؤمن.

* * *

﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

[٣٦] ﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم ﴾ لوط ﴿ بَطْشَتَنَا ﴾ أخذتنا بالعذاب .

﴿ فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴾ شكُّوا في الإنذار .

* * *

﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

[٣٧] ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ ﴾ ليخبثوا بهم، فصدهم وأغلق بابه، فعالجوا فتحه، فقالت الملائكة : خَلِّ بيننا وبينهم، ففتحه، فصفقهم جبريل بجناحه .

﴿ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ ﴾ مسحناها، فصاروا عمياً لا يبصرون، فثَمَّ قالت الملائكة إخباراً عنه تعالى : ﴿ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ أي : وما أنذركم به لوط .

* * *

﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

[٣٨] ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً ﴾ نصب على الظرف، وصرفت؛ لتنكيرها؛ أي : حل بهم وقتَ الصبح ﴿ عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ دائم متصل .

* * *

﴿ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

[٣٩] ﴿ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ .

* * *

﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ كرر ذلك في كل قصة؛ لأن التخويف والوعظ متى كررا، كانا أوقع في القلوب، وأردع للنفوس.

* * *

﴿ وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ﴾ هما موسى وهارون. واختلاف القراء في الهمزتين من (جَاءَ آلَ) كاختلافهم فيهما من (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تقَعَ) في سورة الحج [الآية: ٦٥].

* * *

﴿ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٍ مُّقۡتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ كَذَّبُواْ ﴾ أي: كذب فرعون وقومه ﴿ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا ﴾ يعني: الآيات التسع، وهي: اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وحل عقدة من لسانه، وانفلاق البحر.

﴿ فَأَخَذۡنَٰهُمۡ ﴾ بالعذاب ﴿ أَخۡذَ عَزِيزٍ ﴾ غالب في انتقامه ﴿ مُّقۡتَدِرٍ ﴾ قادر على إهلاكهم.

* * *

﴿ أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٌ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ أَكُفَّارُكُمۡ ﴾ يا قريش ﴿ خَيۡرٌ ﴾ أشد وأعظم ﴿ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ ﴾ المذكورين من قوم نوح إلى فرعون؟! وهذا استفهام بمعنى الإنكار.

﴿أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ﴾ من العذاب ﴿فِي ٱلزُّبُرِ﴾ أي: الكتب أنه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية.

* * *

﴿أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ٤٤﴾.

[٤٤] ﴿أَمۡ يَقُولُونَ﴾ جهلاً منهم ﴿نَحۡنُ جَمِيعٞ﴾ أي: جماعة أمرنا مجتمع ﴿مُّنتَصِرٞ﴾ أي: ممتنع لا نُضام، ووحد منتصر؛ لأنه وصف للفظ (جميع).

* * *

﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥﴾.

[٤٥] ولما قال أبو جهل يوم بدر: إنا جمع منتصر، نزل: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ﴾[١] قرأ روح، وزيد عن يعقوب: (سَنَهْزِمُ) بالنون مفتوحة وكسر الزاي ونصب (الجمعَ) مفعولاً، وقرأ الباقون: بالياء[٢] ورفعها (الجمعُ) رفع على غير تسمية الفاعل، المعنى: ينصر تعالى رسوله، ويهزم جمع المشركين.

﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ أي: الأدبار، وإفراده لإرادة الجنس، فهزموا ببدر.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٠٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ١٧٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٤٠).

﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

[٤٦] ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ بالتعذيب ﴿ وَٱلسَّاعَةُ ﴾ أي : عذابها .

﴿ أَدْهَىٰ ﴾ أعظم داهية ﴿ وَأَمَرُّ ﴾ أشدُّ مرارة من الأسر والقتل يوم بدر .

* * *

﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

[٤٧] ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ المشركين .

﴿ فِى ضَلَـٰلٍ ﴾ في الدنيا ﴿ وَسُعُرٍ ﴾ نيران في العقبى .

* * *

﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

[٤٨] وسعر مظروف ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ ويقال لهم :

﴿ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾ أي : حر النار ؛ فإن مسها سبب للتألم بها ، وسقر : علم لجهنم ، ولذلك لم يصرف .

* * *

﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

[٤٩] ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ ﴾ نصب لفعل يفسره ﴿ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ أي : بتقدير سابق .

* * *

﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

[٥٠] ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ ﴾ بشيء نريد تكوينه .

﴿ إِلَّا وَٰحِدَةٌ ﴾ أي: كلمة واحدة ﴿ كَلَمۡحِۭ ﴾ كنظر سريع ﴿ بِٱلۡبَصَرِ ﴾ بالعين.

* * *

﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ ﴾ أشباهكم في الكفر ممن قبلكم[١].

﴿ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ متعظ فيخاف.

* * *

﴿ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿ وَكُلُّ شَيۡءٖ ﴾ مبتدأ، نعته ﴿ فَعَلُوهُ ﴾ أي: العباد، مكتوب خبره.

﴿ فِي ٱلزُّبُرِ ﴾ في كتب الحفظة.

* * *

﴿ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ ﴾ من الخلق وأعمالهم وآجالهم.

﴿ مُّسۡتَطَرٌ ﴾ مكتوب محفوظ.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ ﴾ بساتين ﴿ وَنَهَرٖ ﴾ أي: أنهار، وتوحيده على أنه اسم الجنس، وهي أنهار الماء واللبن والعسل والخمر في الجنة.

---

(١) «ممن قبلكم» زيادة من «ت».

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ مكان مرضي مُقرَّبين. قرأ أبو عمرو: (مَقْعَد صِّدْقٍ) بإدغام الدال في الصاد[١].

﴿ عِندَ مَلِيكٍ ﴾ عزيز الملك ﴿ مُّقْتَدِرٍ ﴾ قادر[٢] لا يعجزه شيء، وهذا إشارة إلى الرتبة والقربى، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦١)، و«القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ١٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٤٢).

(٢) «قادر» زيادة من «ت».

سُورَةُ الرَّحمٰن عَزَّ وَجَلَّ

مكية على الأصح، نزلت حين قالت قريش بمكة: ﴿وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾ [الفرقان: ٦٠]، وفي السيرة: أن ابن مسعود جهر بقراءتها في المسجد حتى قامت إليه أندية قريش، فضربوه، وذلك قبل الهجرة(١)، وآيها: ثمان وسبعون آية(٢)، وحروفها: ألف وست مئة وثلاثون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وإحدى وخمسون كلمة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١﴾.

[١] ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ مبالغة الرحمة، وهو اسم لا يوصف به غيره سبحانه، وقال الجمهور: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ جزء آية، وهو مبتدأ.

* * *

﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾.

[٢] خبره ﴿عَلَّمَ﴾ محمداً ﷺ ﴿ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ بواسطة جبريل عليه السلام،

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣١٤)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ١٥١).

(٢) في «ت»: «سبعون وثمان آيات».

وقيل: مَنَّ به وعلَّمه الناسَ، وخص حفاظه وفهمته بالفضل، قال ﷺ: «خيركم من تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمه»[1]. قرأ ابن كثير: (الْقُرَانَ) بالنقل، والباقون: بالهمز[2].

***

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣﴾.

[٣] ومن الدليل على أن القرآن غير مخلوق: أن الله تعالى ذكره في كتابه العزيز في أربعة وخمسين موضعاً، ما فيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق، ولا أشار إليه، وذكر الإنسان في ثمانية عشر موضعاً، كلها نصٌّ[3] على خلقه، وقد اقترن ذكرهما في هذه السورة على هذا النحو ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ هو آدم عليه السلام.

***

﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾.

[٤] ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ أسماء كل شيء، والبيان: هو إظهار المعنى وإيضاحه عما كان مستوراً قبله، وقيل: المراد بالإنسان: اسم الجنس، وبالبيان: النطق والفهم والإبانة عن ذلك، وذلك هو الذي ميز به من سائر الحيوان، وهذه الأفعال الثلاثة مع ضمائرها أخبار مترادفة للرحمن، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد؛ كما تقول: زيد أغناك

---

(١) رواه البخاري (٤٧٣٩)، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٤٥).

(٣) في «ت»: «نصبٌ».

بعد فقر، أعزك بعد ذل، كثَّرك بعد قلة، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد، فما تنكر من إحسانه.

* * *

﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴾ رفع بالابتداء، وهذا ابتداء تعديد نِعَم، المعنى: الشمس والقمر يجريان ﴿ بِحُسۡبَانٖ ﴾ بحساب معلوم، ومنازل معدودة؛ ليعرف الإنسان بذلك الأوقات، والحسبان ـ بالضم ـ: مصدر حَسَبْتُ الحساب ـ بفتح السين ـ أحسُبه ـ بضمها ـ حَسْباً وحِساباً وحِسْبَة.

* * *

﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ وَٱلنَّجۡمُ ﴾ ما ليس له ساق من النبات؛ كاليقطين، وقيل: المراد: نجوم السماء.

﴿ وَٱلشَّجَرُ ﴾ ماله ساق تبقى في الشتاء ﴿ يَسۡجُدَانِ ﴾ وسجودهما سجود ظلهما، وفي النجم بالغروب ونحوه، وثنى ضمير (يسجدان) نظراً إلى لفظهما، وسمي نجماً؛ لأنه نَجَمَ؛ أي: ظهر وطلع، وسمي الشجر؛ من اشتجار غصونه، وهو تداخلها.

* * *

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ وَٱلسَّمَآءَ ﴾ نصب بفعل يفسره ﴿ رَفَعَهَا ﴾ سقفاً لمصالح العباد.

﴿ وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴾ أمر بالعدل.

﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾ لئلا تجاوزوا العدل .

* * *

﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ ﴾ أي : وزنكم بالميزان المعروف ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾ بالعدل .

﴿ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ لا تنقصوا الموزون ، خسرت الشيء ـ بالفتح ـ ، وأخسرته : نقصته .

* * *

﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَالْأَرْضَ ﴾ نصب بفعل يفسره .

﴿ وَضَعَهَا ﴾ بسطها ﴿ لِلْأَنَامِ ﴾ الخلق الذين بثهم فيها .

* * *

﴿ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ فِيهَا فَاكِهَةٌ ﴾ يعني : أنواع الفواكه ﴿ وَالنَّخْلُ ﴾ عطف على (فاكهةٌ) .

﴿ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴾ أوعية ثمر النخل ، وهو الطلع ، جمع كِمّ ، وكل ما ستر شيئاً ، فهو كم ، ومنه كُمُّ القميص .

* * *

﴿ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢ ﴾.

[١٢] ﴿ وَٱلۡحَبُّ ﴾ هو البر والشعير ونحوهما ﴿ ذُو ٱلۡعَصۡفِ ﴾ التبن وورق النبات اليابس.

﴿ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴾ هو الرزق في قول ابن عباس والأكثرين، وقيل: هو المشموم. قرأ ابن عامر: (وَالْحَبَّ ذَا الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانَ) بنصب الثلاثة الأسماء عطفاً على (الأرض)؛ أي: وضع الأرض، وخلق الحب، وخلق الريحان، وكذا كتب (ذَا الْعَصْفِ) في المصحف الشامي بالألف، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (وَالْحَبُّ)(١) و(ذُو) بالرفع، (وَالرَّيْحَانِ) بخفض النون عطفاً على (الْعَصْفِ)، وقرأ الباقون: برفع الأسماء الثلاثة عطفاً على (النَّخْلُ)(٢)؛ أي: والحب ذو العصف، وذو الريحان، فحذف (ذو)، وأقيم (الريحان) مقامه، و(ذُو الْعَصْفِ) في مصاحفهم بالواو، فذكر تعالى قوت الناس والأنعام.

***

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣ ﴾.

[١٣] ثم خاطب الجن والإنس فقال: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ ﴾ جمع أَلَى؛ كقفا؛ أي: بأي أنعم ﴿ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ روى الأصبهاني عن ورش: [(فَبِأَيِّ)

---

(١) «والحب» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٤٦).

بالإبدال حيث وقع بالفاء، واختلف عنه فيما تجرد عن الفاء نحو][1] (بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) (بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ)، وقرأ الباقون: بتحقيق الهمز[2]، وكررت هذه الآية إحدى وثلاثين مرة؛ تقريراً للنعمة، وتذكيراً بها، وتوبيخاً لمنكريها، ومن عادة العرب إذا ذكروا النعم أن يفصلوا بين كل نعمتين بما ينبه عليهما؛ نحو: ألم تكن فقيراً فأغنيتك، أفتنكر هذا؟ [ألم تكن جائعاً فأطعمتك، أفتنكر هذا][3]؟

* * *

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ١٤﴾.

[١٤] ويدل على أنه خطاب للثقلين قوله بعد: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ﴾ من طين يابس له صلصلة ﴿كَٱلۡفَخَّارِ﴾ كالطين المطبوخ، نعت لصلصال، المعنى: جعل آدم أولاً تراباً، ثم طيناً، ثم حمأً مسنوناً، ثم صلصالاً.

* * *

﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ١٥﴾.

[١٥] ﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ﴾ هو أبو الجن[4].

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٤٧).

(٣) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٤) جاء على هامش «ت»: «الجان بنو الجن، عن الضحاك، أو هو مسيخ الجن كما=

﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ هو لهب النار الصافي الذي لا دخان فيه.

* * *

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما أفاض عليكما في أطوار خلقتكما حتى صيركما أفضل المركبات؟

* * *

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ يعني: مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما، وتقدم الكلام عليهما، وعلى قوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: ٢٨] ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات: ٥] في أول سورة الصافات.

* * *

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى؛ كاعتدال الهواء، واختلاف الفصول، وحدوث ما يناسب كل فصل فيه.

= أن القردة والخنازير مسيخ الإنس، عن عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، أو بنو إبليس كما قاله الحسن وعطاء وقتادة ومقاتل رحمهم الله تعالى كذا في «شذور العقود» لابن الجوزي........ قوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾ الآية، وفي الأولين نظر.......».

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ مَرَجَ ﴾ أرسل ﴿ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ الملحَ والعذبَ متجاورين.

﴿ يَلْتَقِيَانِ ﴾ لا فصل بينهما في رأي العين.

***

﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى.

﴿ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ لا يختلطان، ولا يطغيان على الناس بالغرق.

[٢١] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

***

﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب: (يُخْرَجُ) بضم الياء وفتح الراء مجهولاً، وقرأ الباقون: بفتح الياء وضم الراء معلوماً[١]، وثنى الضمير، وإنما يخرجان من الملح؛ لأنهما لما التقيا، صارا كالشيء الواحد.

﴿ ٱللُّؤْلُؤُ ﴾ الدر. قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو: (اللَّوْلُؤُ) بإبدال الهمز الأول، وهو الساكن، فيسكنان الواو، والباقون: بالهمز[٢].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٠-٣٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٤٧-٤٨).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٠-٣٩٤)، و«معجم =

﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾ الخرز الأحمر، قال ابن عباس: «إذا أمطرت السماء، فتحت الأصداف أفواهها، فحيثما وقعت قطرة كانت لؤلؤة»[1].

[٢٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

* * *

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾ السفن. قرأ يعقوب: (الْجَوَارِي) بإثبات الياء وقفاً، وحذفها الباقون في الحالين، وأمال الدوري عن الكسائي فتحة الواو ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ صفة الجواري. قرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم بخلاف عنه: بكسر الشين؛ أي: المحدِثاتُ السيرَ، وقرأ الباقون: بالفتح[2]؛ أي: المرفوعات، وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ كالجبال، جمع عَلَم.

* * *

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ من خلق مواد السفن والإرشاد إلى أخذها.

= القراءات القرآنية» (٧/ ٤٨).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٣٢). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٦٩٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٨٦ـ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٤٩).

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا ﴾ أي: الأرض[1] ﴿ فَانٍ ﴾ هالك. روي عن قنبل، ويعقوب: الوقف بالياء على (فَانِي) و(آنِي) و(دَانِي).

* * *

﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ ﴾ أي: ذات ﴿ رَبِّكَ ﴾ ويعبر بالوجه عن الجملة.

﴿ ذُو ﴾ صفة (وَجْهُ)، ومعنى ذي ﴿ الْجَلَالِ ﴾ الذي يعظمه ويجله المؤمنون[2] عن سمات المحدثات ﴿ وَالْإِكْرَامِ ﴾ الذي يكرم عبيده بالنعمة عليهم. قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف عنه: (وَالإِكْرَامِ) بالإمالة حيث وقع[3].

* * *

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ مما يبقى وهو وجه ربك.

* * *

﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: الكلُّ محتاجون إليه ﴿ كُلَّ يَوْمٍ ﴾

---

(١) «أي: الأرض» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «الموحدون».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥٠).

نصب على الظرف ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أي: كل حين ووقت يُحدِث أموراً ويُجدد أحوالاً.

* * *

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما يسعف به سؤالكما.

* * *

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣١] ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (سَيَفْرُغُ) بالياء؛ لقوله: (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)، و(وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ)، و(وَلَهُ الْجَوَارِ)، فأتبع الخبر الخبر، وقرأ الباقون: بالنون[1] إخباراً منه تعالى عن نفسه، وهو وعيد من الله سبحانه للخلق بالمحاسبة، وليس المراد منه الفراغ عن شغل؛ لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن.

﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ الجن والإنس، سميا بذلك؛ لأنهما ثقلا الأرض أحياءً وأمواتاً، وكتب (أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ) في النور [الآية: ٣١] و(يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ) في الزخرف [الآية: ٤٩]، و(أَيُّهَ الثَّقَلَانِ) هنا بغير ألف، وما سواها: (يَا أَيُّهَا)، و(يَا أَيَّتُهَا) بالألف. قرأ ابن عامر (أَيُّهُ) بضم الهاء على الإتباع لضمة الياء قبلها، وقرأ الباقون: بفتحها، ووقف أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥٠-٥١).

(أَيُّهَا) بالألف على الأصل خلافاً للرسم، ووقف عليها الباقون بالحذف إتباعاً للرسم[1].

[٣٢] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

* * *

﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ (٣٣)﴾.

[٣٣] ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ﴾ تخرجوا ﴿ مِنۡ أَقۡطَارِ ﴾ أي: جوانب ﴿أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ هاربين من قضائه تعالى ﴿ فَٱنفُذُواْۚ﴾ فاخرجوا ﴿ لَا تَنفُذُونَ ﴾ لا تقدرون على الخروج[2] ﴿ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ بقوة وقهر، وأنى لكم ذلك؟!

* * *

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤)﴾.

[٣٤] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قدم هنا الجن على الإنس، وقال في سورة الإسراء ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ﴾ [الآية: ٨٨]، والتقديم يقتضي الأفضلية، ولكن الجن خلق قبل الأنس، ففي هذه السورة ترتيب الخلقة، لا ترتيب الفضيلة، وفي سورة الإسراء عكسه، وكذا قوله تعالى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥١ـ٥٢).

(٢) في «ت»: «النفوذ».

﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وأولو العلم أفضل من الملائكة، ولكن قدمهم لتقدم الخلقة.

* * *

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٥] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ﴾ لهب بلا دخان. **قرأ** ابن كثير: بكسر الشين، والباقون: بضمها[١]، وهما لغتان، وجمع الضمير في (اسْتَطَعْتُمْ) نظراً إلى معنى (الثَّقَلَيْنِ)، وثناه في (عَلَيْكُمَا) نظراً إلى اللفظ ﴿مِّن نَّارٍ﴾ صفة شواظ ﴿وَنُحَاسٌ﴾ هو الدخان. **قرأ** ابن كثير، وأبو عمرو: بخفض السين عطفاً على النار، والباقون: بالرفع عطفاً على الشواظ[٢]، المعنى: إذا خرجتم من قبوركم، يرسل عليكما لهب خالص من النار ودخان يسوقانكما إلى المحشر ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ لا تمتنعان من ولوج النار.

[٣٦] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

* * *

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ انفرجت فصارت أبواباً لنزول الملائكة.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥٢-٥٣).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً ﴾ أي: حمراء؛ من الورد المعروف ﴿ كَالدِّهَانِ ﴾ الأديم الأحمر، وألوانه تختلف، قال قتادة: إنها اليوم خضراء، ويكون لها يومئذ لون آخر إلى الحمرة.

* * *

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ مما يكون بعد ذلك.

* * *

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ فَيَوْمَئِذٍ ﴾ أي: يوم تنشق السماء ﴿ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ لأنهم يعرفون، فالمؤمن يعرف بغرته وتحجيله، والكفار بسيماهم على ما يأتي بعد.

وعن ابن عباس في الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٩٢] قال: «لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا؛ لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يسألهم: لمَ عملتم كذا وكذا؟»، وعنه أيضاً: «لا يُسألون سؤال شفاء وراحة، وإنما يُسألون سؤالَ تقريع وتوبيخ»[1].

* * *

(١) نظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٩٠)، وعنده: «لا يسألون سؤال شفقة ورحمة».

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

[٤٠] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ بما أنعم على عباده المؤمنين في هذا اليوم .

* * *

﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤١] ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ ﴾ بسواد الوجه وزرقة العيون ﴿ فَيُؤْخَذُ ﴾ المجرمُ ﴿ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾ أي : يجمع بين ناصيته وقدميه من وراء ظهره، ثم يلقى في جهنم .

[٤٢] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

* * *

﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ثم يقال لهم : ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ المشركون .

* * *

﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا ﴾ بين النار يحترقون بها .

﴿ وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ ماءٍ حار بلغ النهاية في الحرارة يُصب عليهم .

* * *

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

[٤٥] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ فكل ما ذكر الله ـ عز وجل ـ من قوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ فإنه مواعظ وتخويف ، وكل ذلك نعمة منه تعالى ؛ لأنه يزجر عن المعاصي ، ولذلك ختم كل آية ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

* * *

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

[٤٦] ثم ذكر ما أعده لمن اتقاه وخافه ، فقال : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾ أي : مقامه بين يدي ربه للحساب(١) ﴿ جَنَّتَانِ ﴾ جنة عدن ، وجنة النعيم .

[٤٧] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

* * *

﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

[٤٨] ثم وصف الجنتين فقال : ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ أغصان ، جمع فنن ، وهو الغصن المستقيم طولاً .

[٤٩] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

* * *

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ ﴾ .

[٥٠] ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ في الأعالي والأسافل بالماء الزلال ، إحداهما السلسبيل ، والأخرى التسنيم .

---

(١) «أي : مقامه بين يدي ربه للحساب» زيادة من «ت» .

[٥١] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

* * *

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾ .

[٥٢] ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ صنفان: رطب، ويابس، ونحوهما.
قرأ يعقوب: (فِيهُمَا) بضم الهاء، والباقون: بكسرها(١).

[٥٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

* * *

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾ .

[٥٤] ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ﴾ جمع فراش ﴿بَطَآئِنُهَا﴾ جمع بطانة، وهي التي تلي الظِّهارة.

﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ﴾ وهو ما غَلُظ من الديباج، وظهائرها من سندس، وهو ما رَقَّ منه، وقيل: إن الإستبرق فارسي معرب. قرأ ورش عن نافع، ورويس عن يعقوب: (مِنِ اسْتَبْرَقٍ) بحذف الألف وكسر النون لإلقاء حركة الهمزة عليها، والباقون: بإسكان النون وكسر الألف وقطعها(٢).

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ أي: ما يجتنى منهما، وهو الثمر.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥٥).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٤٠٨-٤٠٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥٦).

﴿ دَانٍ﴾ قريب المتناوَل للقائم والقاعد والنائم.

[٥٥] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

* * *

﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾.

[٥٦] ﴿ فِيهِنَّ﴾ أي: فيهما وفي غيرهما من الجنان ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ خافضات[١] الأعين من النظر إلى غير أزواجهن، ولا يردن غيرهم.

﴿ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ ﴾ يمسسهن، والطمث: الجماع بالتدمية، ومنه قيل للحائض: طامث؛ كأنه قال: لم يُدْمِهن بالجماع.

﴿ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾ قرأ الكسائي بخلاف عنه: (يَطْمُثْهُنَّ) بضم الميم في هذا الحرف والحرف الثاني، وروي عنه التخيير في أحدهما، بمعنى أنه إذا ضم الأول كسر الثاني، وإذا كسر الأول ضم الثاني، والوجهان ثابتان عنه من التخيير وغيره، وقرأ الباقون: بالكسر[٢]، وفي هذا دليل على أن الجن يغشى كالإنسي.

[٥٧] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

* * *

---

(١) في «ت»: «غاضات».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥٦ـ٥٧).

﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٩ ﴾ .

[٥٨] ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ في حمرة الوجنة وبياض الوجه وصفائهما .

عن رسول الله ﷺ: «لكلِّ رجلٍ منهم زوجتان، على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهن دون لحمها ودمها وجلدها»[١] .

وروي: أن المرأة تلبس سبعين حلة، فيرى ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء[٢][٣] .

[٥٩] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

* * *

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦١ ﴾ .

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٢٢)، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: (٦٠)، وقال: حسن صحيح، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. واللفظ الذي ساقه المؤلف هو للبغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٧٥).

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٨٦٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٨٦٤)، عن ابن مسعود موقوفاً.
ورواه البزار في «مسنده» (١٨٥٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٢١)، وفي «المعجم الأوسط» (٩١٥)، عن ابن مسعود مرفوعاً. وانظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (١٠/ ٤١١) و(١٠/ ٤١٨).

(٣) في «ش»: «لكلِ رجل منهم زوجتان، على كل زوجة سبعون حلة، فيرى ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء، ويرى مخ سوقهن دون لحمها ودمها وجلدها. كما روي أن المرأة تلبس سبعين حلة». وما أثبت من «ت»، وهو الموافق لمراجع التخريج.

[٦٠] ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ بالتوحيد[١] ﴿إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ بالجنة.

[٦١] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

* * *

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٣﴾.

[٦٢] ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ أي: من دون الجنتين الأوليين؛ أي: أمامهما.

﴿جَنَّتَانِ﴾ أخريان فالأوليان جنتا السابقين، والأخريان[٢] جنتا أصحاب اليمين.

[٦٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

* * *

﴿مُدۡهَآمَّتَانِ ۝٦٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٥﴾.

[٦٤] ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾ قد علا لونهما في دهمة وسواد من شدة الخضرة والري، نعت (جَنَّتَانِ).

[٦٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

* * *

﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٧﴾.

[٦٦] ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ فوارتان بالماء لا ينقطعان.

[٦٧] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

* * *

---

(١) «بالتوحيد» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «الأولتان» و«الأخرتان».

﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

[٦٨] ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ ﴾ وعطف على (فاكهة) ﴿ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ وإن كانا منها؛ تخصيصاً وبياناً لفضلهما، فكأنهما قد صارا جنسين آخرين نحو ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ [البقرة: ٩٨]؛ فإن ثمرة النخل فاكهة وغذاء، وثمرة الرمان فاكهة ودواء، واحتج به أبو حنيفة على أن من حلف لا يأكل فاكهة، فأكل رطباً أو رماناً، لم يحنث؛ لأنه لا يجعلهما من الفاكهة، وكذا الحكم عنده في العنب، وهذا من مفردات مذهبه؛ خلافاً لصاحبيه والأئمة الثلاثة.

[٦٩] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

* * *

﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ ﴾ .

[٧٠] ﴿ فِيهِنَّ ﴾ يعني: الجنان الأربع ﴿ خَيْرَٰتٌ ﴾ أي: خَيِّرات ـ بالتشديد ـ، فخفف؛ لأن خَيْراً الذي بمعنى أَخْيَرَ لا يجمع، فلا يقال فيه: خيرون، ولا خيرات.

﴿ حِسَانٌ ﴾ المعنى: فاضلات حسنات خَلْقاً وخُلُقاً.

[٧١] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

* * *

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

[٧٢] ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ ﴾ مخدَّرات مستورات لا ينظرن إلى غير أزواجهن.

﴿فِي ٱلۡخِيَامِ﴾ جمع خيمة، وخيام الجنة بيوت اللؤلؤ، قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «هي دُرٌّ مجوف»[1]، ورواه ابن مسعود عن النبي ﷺ.

[٧٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

* * *

﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٌ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾﴾.

[٧٤] ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٌ قَبۡلَهُمۡ﴾ أي: قبل أصحاب الجنتين.

﴿وَلَا جَآنٌّ﴾ كحور الأوليين، وتقدم تفسيره، ومذهب الكسائي فيه.

[٧٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

* * *

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾﴾.

[٧٦] ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ نصب على الاختصاص أو الحال ﴿عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ﴾ هو ما تدلَّى من الأسرة من عالي الثياب والبسط، وقيل: هي رياض الجنة، قال ابن عطية[2]: والأول أصوب وأبين[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٢٨).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٢٨).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣٦).

﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ هي بسط حسان فيها صور وغير ذلك، منسوب إلى عبقر، تزعم العرب أنه بلد الجن، فينسبون إليه كل شيء عجيب، وقيل: العبقري: هي الزرابي، واحدتها عبقرية، والطنافس الثخان، والعرب إذا استحسنت شيئاً واستجادته، قالت: عبقري، قال ابن عطية[1]: ومنه قول النبي ﷺ: «فلم أرَ عَبْقَرِياً من الناس يَفْري فَرْيَهُ»[2].

[٧٧] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

* * *

﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾.

[٧٨] ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ تعالى اسمه من حيث إنه مطلق على ذاته، فما ظنك بذاته.

﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾. قرأ ابن عامر: (ذُو الْجَلاَلِ) بواو بعد الذال كالحرف الأول نعتاً للاسم، وكذلك هو في المصاحف الشامية، وقرأ الباقون: (ذِي الْجَلاَلِ) بياء بعد الذال نعتاً للربّ، وكذلك هو في مصاحفهم[3]، وهذا الموضع مما أريد فيه بالاسم مسماه، قال ﷺ: «أَلِظُّوا

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٢٣٧).

(٢) رواه البخاري (٣٤٣٤)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر بن الخطاب، ومسلم (٢٣٩٣)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر رضي الله عنه، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥٩).

بِيا ذا الجلالِ والإكرامِ»[1]، والدعاء بهاتين الكلمتين مرجو الإجابة، والله أعلم.

* * *

(١) رواه الترمذي (٣٥٢٤)، كتاب: الدعوات، باب: (٩٢)، وقال: حديث غريب، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (٧٧١٦)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٧٧)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٣٦)، وغيرهم من حديث ربيعة بن عامر رضي الله عنه.

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

مكية بإجماع من يعتد به من المفسرين، وقيل: فيها بعض آيات مدنية، وليس بثابت، وآيها: ست وتسعون آية، وحروفها: ألف وسبع مئة وثلاثة أحرف، وكلمها ثلاث مئة وثمان وسبعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١﴾.

[١] ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة، وسماها واقعة؛ لتحقق وقوعها، وتنصب (إذا) بمضمر مثل (اذكرْ)، وقال بعض المفسرين: الواقعة: صخرة بيت المقدس تقع عند القيامة(١).

* * *

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾.

[٢] ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا﴾ لمجيئها ﴿كَاذِبَةٌ﴾ كذب؛ يعني: أنها تقع صدقاً.

* * *

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣٨)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٢٠٢)، و«روح المعاني» للآلوسي (٢٧/ ١٢٩)، قال ابن عطية: وهذا ضعيف. وقال الألوسي: وليس بشيء.

﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ .

[٣] ﴿ خَافِضَةٌ ﴾ قوماً إلى النار ﴿ رَّافِعَةٌ ﴾ آخرين إلى الجنة .

* * *

﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ ﴾ .

[٤] وتبدل من ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ﴾ ﴿ إِذَا رُجَّتِ ﴾ حُرِّكت ﴿ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴾ تحريكاً شديداً .

* * *

﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ ﴾ .

[٥] ﴿ وَبُسَّتِ ﴾ فُتِّتَتْ ﴿ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ فصارت كالدقيق المبسوس ، وهو المبلول .

* * *

﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾ .

[٦] ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً ﴾ أي[1] : غباراً ﴿ مُّنۢبَثًّا ﴾ متفرقاً كالذي يرى في شعاع الشمس .

* * *

﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ ﴾ .

[٧] ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ أصنافاً ﴿ ثَلَٰثَةً ﴾ .

* * *

---

(١) «أي» ساقطة من «ت» .

﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ثم فسر الأزواج فقال: ﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴾ الذين يؤتَون كتبَهم بأيمانهم، ثم عَجَّب نبيه ﷺ فقال:

﴿ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴾ كأنه قال: ما هم، وأي شيء هم؟! وقوله (فأصحابُ الميمنةِ) ابتداء، و(ما) ابتداء ثان، وأصحاب الميمنة خبر (ما)، والجملة خبر الابتداء الأول، في الكلام معنى التعظيم؛ كما تقول: زيد و[١] ما زيد؟!

* * *

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴾ الذين يؤتونها بشمالهم.

﴿ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴾ وهم الذين يؤخذ بهم ذاتَ الشمال إلى النار، والعرب تسمي اليد اليسرى: الشؤم[٢]، ومنه سمي الشام واليمن؛ لأن اليمن عن يمين الكعبة، والشام عن شمالها.

* * *

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ إلى الإيمان من كل أمة هم ﴿ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ إلى الجنة.

* * *

(١) «و» ساقطة من «ت».

(٢) في «ت»: «الشومى».

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ .

[١١] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ إلى الله .

* * *

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾ .

[١٢] ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ قد أُعليت مراتبُهم .

* * *

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ .

[١٣] ﴿ثُلَّةٌ﴾ جماعة كثيرة غير محصورة العدد ﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: من الأمم الماضية من لدن آدم ـ عليه السلام ـ إلى زمان نبينا محمد ﷺ، واشتقاقها من الثَّلِّ، وهو القطع.

* * *

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝١٤﴾ .

[١٤] ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ يعني: أمة محمد ﷺ، ولا يخالف ذلك قوله ـ عليه السلام ـ: «إنَّ أمتي يكثرون سائرَ الأُمم»(١) ؛ لجواز أن يكون سابقو سائر الأمم أكثرُ من سابقي هذه الأمة، وتابعو هذه أكثر من تابعيهم، ولا يرده قوله في أصحاب اليمين: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ لأن كثرة الفريقين لا ينافي أكثرية أحدهما، وروي مرفوعاً أنهما من هذه الأمة، وقيل: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعني: الأنبياء من آدم إلى محمد، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ يعني: الصحابة؛ لأن الأولين هم الأنبياء السابقون، وهم مئة

---

(١) قال المناوي في «الفتح السماوي» (٣/ ١٠٢٢): لم أقف عليه.

ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي، فالصحابة بالنسبة إليهم قليل، وهذا قول حسن صحيح للمناظرة، المعنى: جماعة من المتقدمين والمتأخرين.

***

﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾ منسوجة بالذهب مشتبكة بالدرِّ والياقوت.

***

﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴾ حالان من الضمير في (عَلَى). قرأ أبو جعفر: (مُتَّكِينَ) بإسكان الياء بغير همز، والباقون: بالهمز[1].

***

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ ﴾ للخدمة ﴿ وِلْدَٰنٌ ﴾ غلمان ﴿ مُّخَلَّدُونَ ﴾ مبقون معهم.

***

﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ بِأَكْوَابٍ ﴾ الكوب: إناء لا عروة ولا خرطوم له ﴿ وَأَبَارِيقَ ﴾ هي آنية لها ذلك ﴿ وَكَأْسٍ ﴾ يشربونها من خمر جارية ﴿ مِّن مَّعِينٍ ﴾ منبع لا ينقطع أبداً.

***

﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ ﴾ لا يفرّقون ﴿ عَنْهَا ﴾ بسكر ولا غيره كخمر الدنيا.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥٦).

﴿ وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ قرأ الكوفيون: بكسر الزاي؛ أي: لا يَنْفَد شربهم[1]، وقرأ الباقون: بالفتح[2]؛ أي: لا تغلبهم على عقولهم.

***

﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ ﴾.

[٢٠] ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ أي: يختارون.

***

﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ ﴾.

[٢١] ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ يتمنون، قال ابن عباس: «يخطر على قلبه لحمُ الطير، فيصير بين يديه على ما اشتهى[3]»[4].

***

﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ ﴾.

[٢٢] ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وأبو جعفر: بخفض الاسمين عطفاً على (جَنَّاتِ النَّعِيمِ)؛ أي: هم في جنات النعيم، ومحادثةِ حور عين، وقرأهما الباقون: بالرفع[5]؛ أي: وعندهم حورٌ عين وتفسير حور عين[6] أي: بِيضٌ ضِخامُ العيون.

---

(١) في «ت»: «شرابهم».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٦٤-٦٥).

(٣) في «ت»: «أشهى».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٠٤).

(٥) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٠٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٦٥).

(٦) «وتفسير حور عين» ساقط من «ت».

﴿ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾ المخزونُ في الصدف، وخص المكنون من اللؤلؤ؛ لأنه أصفى لوناً، وأبعدُ عن الغير. وتقدم مذهب أبي جعفر، وأبي عمرو في إبدال همزة (اللُّؤلُؤ) في سورة الرحمن [الآية: ٢٢].

* * *

﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: إن هذه الرتب والنعم هي لهم بحسب أعمالهم؛ لأنه روي أن المنازل والقسم في الجنة هي منقسمة على قدر الأعمال، ونفس دخول الجنة هو برحمة الله وفضله، لا بعمل عامل.

* * *

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ﴾ باطلاً ﴿ وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ إثماً؛ أي: ما يُحدث الإثم.

* * *

﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ إِلَّا قِيلًا ﴾ استثناء منقطع؛ أي: قولاً، وتبدل من (قِيلاً).

﴿ سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴾ أي: يفشون السلام بينهم، ويسلمون سلاماً بعد سلام، فلا يسمع إلا السلام.

* * *

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾ هم المسلمون .

* * *

﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ فِى سِدْرٍ ﴾ هو شجر النبق ﴿ مَّخْضُودٍ ﴾ لا شوكَ فيه .

* * *

﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ وَطَلْحٍ ﴾ هو الموز في قول أكثر المفسرين ﴿ مَّنضُودٍ ﴾ متراكم بالثمرة من أسفله إلى أعلاه .

* * *

﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ أي دائم .

* * *

﴿ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ ﴾ .

[٣١] ﴿ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾ يجري على الأرض أين شاؤوا بلا تعب .

* * *

﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

[٣٢] ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴾ كثيرة الأجناس .

* * *

﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ ﴾ في زمن ﴿ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ عنهم.

* * *

﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ على الأسرة، في الحديث: «ارتفاعُها كما بينَ السماء والأرض»(١).

* * *

﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ ﴾ ابتدأنا خلقهن، في الحديث: «هم اللواتي قُبِضن في دار الدنيا عجائزَ شُمْطاً رُمْصاً»(٢) ﴿ إِنشَآءً ﴾ خلقاً جديداً.

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٩٤)، كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٧٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٠٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. قال الترمذي: وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رِشدين بن سعد.

(٢) رواه الترمذي (٣٢٩٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن تفسير سورة الواقعة، من حديث أنس، بلفظ: «إن من المنشآت التي كن في الدنيا عجائز عمشاً رمصاً»، قال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ ﴾ .

[٣٦] ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ ﴾ بعد أن كنَّ عجائزَ ﴿أَبْكَارًا﴾ عذارى، كلما أتاهن أزواجهن، وجدوهن أبكاراً، ولا وجع ثَمَّ.

* * *

﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ .

[٣٧] ﴿ عُرُبًا ﴾ قرأ حمزة، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: بإسكان الراء تخفيفاً، والباقون: بضمها على الأصل[1]، وهي جمع عَروب؛ أي: عواشق متحببات لأزواجهن ﴿ أَتْرَابًا﴾ جمع تِرْب؛ أي: مستويات في السن، بنات ثلاث وثلاثين، وسن أزواجهن كذلك.

قال ﷺ: «يدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ جُرْداً مُرْداً بِيضاً جِعاداً مُكَحَّلين، أبناءَ ثلاث وثلاثين، على طول آدم، طوله ستون ذراعاً في سبعة أذرع»[2].

وروي أن الرجل يرى وجهه في وجه زوجته؛ لصفائه.

وقيل: الضمير عائد على الحور العين المذكورات قبل، قال ابن عطية: وهذا فيه بعد؛ لأن تلك قصة قد انقضت جملة[3].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٦٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٠٠٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه الترمذي (٢٥٤٥)، كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في سن أهل الجنة، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه بلفظ نحوه.

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٤٤).

﴿ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨ ﴾ .

[٣٨] ﴿ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ هم المسلمون، واللام صلة (أَنْشَأْناهُنَّ) .

* * *

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ ﴾ .

[٣٩] ﴿ ثُلَّةٌ ﴾ جماعة ﴿ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ .

* * *

﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝٤٠ ﴾ .

[٤٠] ﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ وهاتان الفرقتان في أمة محمد ﷺ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «الثلتان من أمتي»[(١)]، فعلى هذا: التابعون بإحسان، ومن جرى مجراهم ثلة أولى، وسائر الأمة ثلة أخرى في آخر الزمان، وقيل: الأولون سالف الأمم منهم جماعة عظيمة أصحاب يمين، والآخرون هذه الأمة منهم جماعة عظيمة أهل يمين، قال ابن عطية: بل جميعهم إلا من كان من السابقين[(٢)].

* * *

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ ﴾ .

[٤١] ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾ هم الكفار .

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٩١) وقال: من وجه غير صحيح .

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٤٥) .

﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤٢] ﴿ فِي سَمُومٍ ﴾ ريح حارة من النار تنفذ في المسام ﴿ وَحَمِيمٍ ﴾ ماء في غاية الحر .

* * *

﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ دخان أسود .

* * *

﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ لَّا بَارِدٍ ﴾ كغيره من الظلال ﴿ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ حسن .

* * *

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

[٤٥] ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ ﴾ في الدنيا ﴿ مُتْرَفِينَ ﴾ منعَّمين .

* * *

﴿ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

[٤٦] ﴿ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ ﴾ يقيمون .

﴿ عَلَى ٱلْحِنثِ ﴾ الذنب ﴿ ٱلْعَظِيمِ ﴾ بجعل الشريك لله تعالى .

* * *

﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

[٤٧] ﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ محشورون ،

قالوا ذلك على طريق الإنكار والتعجب. واختلف القراء في (أَئِذَا) (أَئِنَّا)، فقرأ نافع، وأبو جعفر، والكسائي، ويعقوب: بالاستفهام في الأول، والإخبار في الثاني، وقرأ الباقون: بالاستفهام فيهما، وهم على أصولهم في التحقيق والتسهيل، وإدخال الألف كما تقدم في سورة ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ واختلفوا في كسر الميم وضمها من (متنا)، فقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: بالكسر، والباقون: بالضم[1].

* * *

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ٤٨﴾.

[٤٨] ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ الأقدمون، وتقدم تفسيره، ومذاهب القراء فيه، وتوجيه قراءتهم في سورة الصافات.

* * *

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ٤٩﴾.

[٤٩] ثم أمر الله نبيه أن يُعْلِمهم بأن العالم محشور مبعوث إلى يوم القيامة، فقال: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ﴾.

* * *

﴿لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٥٠﴾.

[٥٠] ﴿لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ﴾ وقت ﴿يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ هو يوم القيامة.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٦٨).

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

[٥١] ثم خاطب أهل مكة بقوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴾ بالبعث .

* * *

﴿ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

[٥٢] ﴿ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴾ (مِنْ) الأولى لابتداء الغاية، والثانية لبيان الجنس، وتقدم ذكر شجرة الزقوم في سورة الصافات .

* * *

﴿ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

[٥٣] ﴿ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ﴾ من جماعة الشجر، و(مِنْ) للتبعيض ﴿ ٱلْبُطُونَ ﴾ من شدة الجوع . قرأ أبو جعفر : (فَمَالُونَ) بضم اللام بغير همز، والباقون : بكسر اللام والهمز .

* * *

﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

[٥٤] ﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ ﴾ على الزقوم؛ لغلبة العطش ﴿ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴾ الماء الحار .

* * *

﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

[٥٥] ﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم، وحمزة :

(شُرْبَ) بضم الشين اسم للمشروب، والباقون: بالفتح على المصدر[1]، و(الهيم): إبل يصيبها داء يقال له الهيام، تشرب الماء فلا تروى، ولا تزال تشرب حتى تهلك.

* * *

﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ ﴾ رزقهم المعدُّ لهم ﴿ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ يوم الجزاء بأعمالهم.

* * *

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ثم احتج عليهم في البعث بقوله: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا ﴾ فهلاً[2] ﴿ تُصَدِّقُونَ ﴾ بالبعث؛ لأنكم إذا نظرتم النظر الصحيح، علمتم أن القادر على الإنشاء قادرٌ على الإعادة.

* * *

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴾ تَصُبُّون في أرحام النساء من المني الذي يكون منه الولد.

* * *

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٦٩).

(٢) «فهلا» زيادة من «ت».

﴿ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٥٩ ﴾ .

[٥٩] ﴿ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ ﴾ تجعلون المني بشراً ﴿ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾ واختلاف القراء في الهمزتين من (أَأَنْتُمْ) في الأحرف الأربعة كاختلافهم فيهما من (أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا) في سورة الأنبياء [الآية: ٦٢].

* * *

﴿ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ٦٠ ﴾ .

[٦٠] ﴿ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا ﴾ قرأ ابن كثير بتخفيف الدال، والباقون: بتشديدها[١]، وهما لغتان؛ أي: قضينا.

﴿ بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ ﴾ وأقّتنا موتَ كلٍّ بوقت معين ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴾ بعاجزين.

* * *

﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦١ ﴾ .

[٦١] ﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ ﴾ أي: نجعل ﴿ أَمۡثَٰلَكُمۡ ﴾ مكانكم ﴿ وَنُنشِئَكُمۡ ﴾ نخلقكم.

﴿ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ من أوصاف لا يصلُها علمُكم، ولا يحيط بها فكركم، قال الحسن: من كونهم قردة وخنازير، تأول هذا؛ لأن الآية تنحو إلى الوعيد[٢].

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧١).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٢٤٨).

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

[٦٢] ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ الخلق في الرحم. وتقدم اختلاف القراء في (النَّشْأَة) في سورة العنكبوت [الآية: ٢٠].

﴿ فَلَوْلَآ ﴾ فهلاَّ ﴿ تَذَكَّرُونَ ﴾ تعتبرون فتؤمنون. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تَذْكُرُون) بتخفيف الذال، والباقون: بتشديدها(١).

* * *

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

[٦٣] ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾ تثيرون من الأرض، وتلقون فيها من البذر.

* * *

﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

[٦٤] ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ ﴾ تنبتونه ﴿ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ المنبتون.

* * *

﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

[٦٥] ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا ﴾ فُتاتاً ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ تعجبون. قرأ البزي عن ابن كثير بخلاف عنه: (فَظَلْتُمُ تَّفَكَّهُونَ) بتشديد التاء.

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧١).

﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ إِنَّا ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم: (أَئِنَّا) بهمزتين محققتين، إحداهما استفهام إنكار للعذاب الواقع بهم، وقرأ الباقون: بهمزة واحدة إخبار بمعنى الإنكار والجحود أيضاً، والقول مضمر على القراءتين؛ أي: يقولون: إنا[١].

﴿ لَمُغْرَمُونَ ﴾ معذَّبون، والغرام: العذاب.

* * *

﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ بَلْ نَحْنُ ﴾ قوم ﴿ مَحْرُومُونَ ﴾ ممنوعون من الرزق.

* * *

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ﴾ العذبَ ﴿ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴾ أي: تشربونه.

* * *

﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ ﴾ السحاب ﴿ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ بقدرتنا.

* * *

﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا ﴾ شديد الملوحة، وتثبت اللام جواباً[٢] لـ(لو)

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧٢).

(٢) في «ت»: «وجوباً».

في (لَجَعْلنَاهُ حُطَاماً)، وحذفت في هذا الحرف اختصاراً؛ لدلالة الموجودة عليها.

﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعمَ.

* * *

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ۝٧١﴾.

[٧١] ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ﴾ تقدحونها من زندكم.

* * *

﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢﴾.

[٧٢] ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ التي يُقدح منها النار، وهي المرخ والعفار، وتقدم ذكرهما في آخر سورة (يس) ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ الشجرةَ. قرأ أبو جعفر: (الْمُنْشُونَ) بإسكان الواو بغير همز، والباقون: بالهمز[1].

* * *

﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣﴾.

[٧٣] ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا﴾ أي: النارَ ﴿تَذْكِرَةً﴾ لنار جهنم.

﴿وَمَتَٰعًا﴾ منفعة ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ أي: المسافرين الذين ينزلون القواء، وهي القفر.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧٢).

﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ الباء زائدة؛ أي: نَزِّه ربك.

﴿ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ والعظيم صفة للاسم، أو الرب.

* * *

﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ ﴾ معناه: أقسم، و(لا) زائدة، وقيل: قوله: (فلا) رد لما قاله الكفار في القرآن أنه سحر وشعر وكهانة، معناه: ليس الأمر كما يقولون، ثم استأنف القسم فقال: أقسم

﴿ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ قرأ السوسي عن أبي عمرو: (أُقْسِمْ) بإسكان الميم عند الباء حيث وقع، وتقدم الكلام عليه في الكهف، وقرأ حمزة والكسائي[١] وخلف: (بِمَوْقِعِ النُّجُومِ) بإسكان الواو من غير ألف على التوحيد، والباقون: بفتح الواو وألف بعدها على الجمع[٢]، والمراد: نجوم القرآن حين نزلت فإنه كان ينزل على رسول الله ﷺ متفرقاً نجوماً، وهذا قول ابن عباس، وقال جماعة: المراد: مغارب النجوم ومساقطها.

* * *

﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] ثم اعترض بين القسم وجوابه بموصوف وصفته، وهو:

---

(١) «الكسائي» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧٣).

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾ ثم اعترض بين الموصوف وصفته بقوله: ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾ لأن صفته ﴿عَظِيمٌ﴾.

* * *

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾.

[٧٧] وجواب القسم: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ على الله؛ لكثرة ما فيه من التنزيه والمواعظ والأحكام.

* * *

﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾.

[٧٨] ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ صفة قرآن ﴿مَّكْنُونٍ﴾ مَصون، وهو اللوح المحفوظ.

* * *

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

[٧٩] ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ أي: ذلك الكتابَ المكنونَ ﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ وهم الملائكة عليهم السلام الموصوفون بالطهارة، وقيل: قوله: ﴿لا يمسه﴾ إخبار مضمنه النهي، وضمة السين تعود إلى القرآن؛ أي: لا يمس المصحف من بني آدم إلا الطاهرُ من الكفر والجنابة والحدث الأصغر، وضعَّفَ ابن عطية هذا القول[١].

وأما حكم مسِّ المصحف بعلاقة[٢]، فقال أبو حنيفة: يجوز للجنب والمحدث والحائض حمل المصحف بعلاقة[٣]، ولا بأس أن يمسه

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٢٥٢).

(٢) «بعلاقة» ساقطة من «ت».

(٣) «بعلاقة» زيادة من «ت».

بكمه، وقال مالك: لا يجوز لمحدث حدث الوضوء فما فوقه أن يمس المصحف، ولا يحمله بعلاقته، ولا على وسادة، ولا بأس بحمله[1] في خرجه وعدله، ولا بأس بحمل الصبيان المصاحف على غير طهارة، ولا تمسه حائض، وقال الشافعي: يحرم بالحدث والجنابة حمل المصحف، ومسُّ ورقه، وكذا جلده، وخريطة وصندوق فيهما مصحف، وما كتب لدرس قرآن؛ كلوح، والصبي المحدث لا يمنع، ويباح قلب ورقه بعود، وحمله في أمتعة، ويحرم بالحيض ما يحرم بالجنابة، وقال أحمد: يحرم على المحدث والجنب مس المصحف وبعضِه من غير حائل، حتى جلده وحواشيه[2]، وهو أشبه؛ لشمول اسم المصحف له، وله حمله بعلاقته، وفي غلافه، وفي كمه، وتصفحه به، وبعود، ومسه من وراء حائل، ويباح لصغير مس لوح فيه قرآن، وحكمه في المصحف كالرجل، ولا تمسسه حائض مطلقاً.

وأما قراءة القرآن للجنب والحائض، فقال أبو حنيفة: لا يجوز للجنب قراءة القرآن، ولا بأس أن يقرأ شيئاً منه ولا يريد به القرآن؛ كالبسملة، والحمدلة، والحائض كالجنب، وقال مالك: لا يجوز للجنب أن يقرأ الكثير من القرآن، ولا بأس بقراءة اليسير؛ كالآية والآيتين ونحوهما، وعنه في قراءة الحائض روايتان: المشهور جواز القراءة لها، وقال الشافعي: يحرم على الجنب والحائض قراءة القرآن، ويحل أذكاره بغير قصد قرآن، وقال أحمد: يجوز للجنب قراءة بعض آية، ولو كرر، ما لم يتحيل[3]

(١) «بحمله» زيادة من «ت».
(٢) «وحواشيه» زيادة من «ت».
(٣) في «ت»: «يحتمل».

على قراءة محرم عليه، وله قولٌ ذكر وما وافق قرآناً ولم يقصده، ويحرم على الحائض مطلقاً.

* * *

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

[٨٠] ﴿تَنزِيلٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: القرآن منزَّلٌ.

﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ سمي المنزل تنزيلاً على اتساع اللغة؛ كما يقال للمقدور: قَدَر، وللمخلوق: خَلْق، على قول من يجيزه، وتقدم الكلام في ذلك في سورة الزمر.

* * *

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾﴾.

[٨١] ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ أي: القرآن.

﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ متهاونون مكذبون، وأصله الجري في الباطل خداعاً.

* * *

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

[٨٢] ونزل لما قيل: مطرنا بنوء كذا: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ شكركم.

﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ أي: تجعلون شكر رزقكم التكذيبَ.

قال ﷺ: «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريقٌ من الناس بها كافرين، ينزل الله الغيث، فيقولون: بكوكب كذا وكذا»[١]، فالسنة أن يقول: مُطرنا بفضل الله وبرحمته.

---

(١) رواه مسلم (٧٢)، كتاب: الإيمان، باب: بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

[٨٣] ﴿ فَلَوْلَآ ﴾ فهلاَّ ﴿ إِذَا بَلَغَتِ ﴾ الروحُ ﴿ ٱلْحُلْقُومَ ﴾ الحلقَ .

***

﴿ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

[٨٤] ﴿ وَأَنتُمْ ﴾ يا حاضري الميت ﴿ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾ إليه ولا تنفعونه .

***

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

[٨٥] ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ علماً وقدرة منكم ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ الملائكة .

***

﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

[٨٦] ﴿ فَلَوْلَآ ﴾ كررت للتأكيد ﴿ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ مملوكين أذلاء .

***

﴿ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

[٨٧] ﴿ تَرْجِعُونَهَآ ﴾ أي : تردون الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم .

﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ فيما تدعون من عدم القدرة عليكم، فأجاب عن قوله : ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴾ وعن قوله : ﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ بجواب واحد، ومثله قوله تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [البقرة: ٣٨] أجيبا بجواب واحد .

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ثم بين طبقات الخلق عند الموت، وبين درجاتهم، فقال: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ الميتُ ﴿ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ إلى رحمة الله تعالى.

* * *

﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] وجواب (أمّا): ﴿ فَرَوْحٌ ﴾ قرأ رويس عن يعقوب: (فَرُوحٌ) بضم الراء؛ أي: فله حياة طيبة لا موت فيها، وقرأ الباقون: بالفتح[١]؛ أي: فله راحة من كل تعب.

﴿وَرَيْحَانٌ ﴾ رزق طيب ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ ذات تنعم، وقف ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: (وَجَنَّهْ) بالهاء.

* * *

﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ ﴾.

[٩٠] ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ الميتُ [﴿ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾.

* * *

﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾.

[٩١] ﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ ﴾ يا محمد ﴿ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ أي: سلامة لك من الاغتمام لهم، فلا ترى فيهم إلا السلامة من العذاب][٢].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣١٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٤ـ٧٥).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

[٩٢] ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ ﴾ الميت ﴿ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ وهم الكفار أصحاب الشمال والمشأمة .

* * *

﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

[٩٣] ﴿ فَنُزُلٌ ﴾ هو أول شيء يُقدم للضيف ﴿ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ .

* * *

﴿ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ ﴾ .

[٩٤] ﴿ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ قرأ أبو عمرو : (وَتَصْلِيَة جَّحِيمٍ) بإدغام التاء في الجيم[1]، والتصلية : أن يباشر بهم النار، والجحيم : معظم النار وحيث تراكمها .

* * *

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

[٩٥] ولما كمل تقسيم أحوالهم، وانقضى الخبر بذلك، أكد تعالى الأخبار بأن قال لنبيه ﷺ مخاطبة تدخل معه أمته فيها :

﴿ إِنَّ هَٰذَآ ﴾ الذي أخبرنا به ﴿ لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ عبارة فيها مبالغة ؛ لأنها بمعنى واحد؛ كما تقول في أمر تؤكده : هذا يقين اليقين، أو صواب

---

(١) انظر : «الغيث» للصفاقسي (ص : ٣٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧٥) .

الصواب؛ بمعنى: أنه نهاية الصواب، فهي عبارة مبالغة وتأكيد، معناها: أن هذا الخبر هو نفس اليقين وحقيقته.

* * *

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

[٩٦] ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ هذه عبارة تقتضي الأمر بالإعراض عن أقوال الكفار، وسائر أمور الدنيا المختصة بها، وبالإقبال على أمور الآخرة، وعبادة الله والدعاء إليه.

وروي أنه لما نزل ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم، فلما نزل ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: اجعلوها في سجودكم»[(١)]، وكان ﷺ يقول في ركوعه: «سبحان ربي العظيم، وفي سجوده: سبحان ربي الأعلى»[(٢)].

واختلف الأئمة في ذلك، فقال أحمد: هو واجب تبطل الصلاة بتركه عمداً، ويسجد لتركه سهواً، والواجب عنده مرة واحدة، وأدنى الكمال ثلاث، وقال أبو حنيفة والشافعي: هو سنة، وقال مالك: يكره لزوم ذلك؛

---

(١) رواه أبو داود (٨٦٩)، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، وابن ماجه (٨٨٧)، كتاب: الصلاة، باب التسبيح في الركوع والسجود، من حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٨٧١)، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، والترمذي (٢٦٢)، كتاب: الصلاة، باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود، والنسائي (١٠٠٨)، كتاب: الافتتاح، باب: تعوذ القارئ إذا مرَّ بآية عذاب، من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ.

لئلا يعد واجباً فرضاً، والاسم هنا بمعنى الجنس؛ أي: بأسماء ربك، والعظيم: صفة الرب.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من داومَ على قراءةِ سورة الواقعة لم يفتقرْ أبداً»[1]، قال ابن عطية: فيها ذكر القيامة، وحظوظ الناس في الآخرة، وفهم ذلك غنىً لا فقر معه، ومن فهمه، شغل بالاستعداد[2]، والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٩٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٣/ ١٨٨)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. قال البيهقي: تفرد به شجاع أبي طيبة.
والحديث إسناده ضعيف، ومتنه منكر. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٤١٣ـ ٤١٤) وبيان وجوه ضعف هذا الحديث.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣٨).

سُورَةُ الحَدِيدِ

مدنية، وقيل: مكية، وآيها: تسع وعشرون آية، وحروفها: ألفان وأربع مئة وستة وسبعون حرفاً، وكلمها: خمس مئة وأربع وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)﴾.

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ التسبيح هنا: هو التنزيه المعروف في قولهم: سبحان الله، وهو إخبار بصيغة الماضي مضمنه الدوام، وأن التسبيح مما ذكر دائم مستمر، وهو تسبيح حقيقة، وجاء في فاتحة هذه السورة، وفي الحشر، والصف على لفظ الماضي، وفي الجمعة والتغابن على لفظ المضارع، وذلك إشارة إلى أن تسبيح هذه الأشياء غير مختص بوقت دون وقت، بل كانت مسبحة أبداً في الماضي، وستكون مسبحة أبداً في المستقبل.

﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من جميع المخلوقات.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ بقدرته وسلطانه ﴿الْحَكِيمُ﴾ بلطفه وتدبيره.

* * *

﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ .

[٢] ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ أي : سلطانها الحقيقي الدائم ؛ لأن ملك البشر مجاز ﴿ يُحْيِۦ ﴾ الموتى للبعث ﴿ وَيُمِيتُ ۖ ﴾ الأحياء ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ تام القدرة .

***

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ .

[٣] ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ ﴾ السابق للأشياء قبل وجودها الذي ليس لوجوده بداية مفتتحة .

﴿ وَٱلْءَاخِرُ ﴾ الدائم الباقي بعد فناء الأشياء الذي ليس له نهاية منقضية .

﴿ وَٱلظَّٰهِرُ ﴾ الغالب العالي على كل شيء .

﴿ وَٱلْبَاطِنُ ۖ ﴾ بلطفه وغوامض حكمته وباهي صفاته التي لا تصل إلى معرفتها على ما هي عليه الأوهام ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ يستوي عنده الظاهر والخفي .

***

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ .

[٤] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ تقدم القول فيها في سورة (فصلت)، قال بعض المفسرين : الأيام الستة من أيام القيامة، وقال الجمهور : بل من أيام الدنيا، قال ابن عطية : وهو الأصوب(١) .

---

(١) انظر : «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٢٥٧).

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواءً يليق بعظمته، وتقدم الكلام فيه في سورة (طه)، وفي (الأعراف) أيضاً.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من المطر والأموات وغير ذلك ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالزرع ونحوه.

﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الملائكة، والرحمة، والعذاب، وغير ذلك.

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الأعمال صالحها وسيئها.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ بعلمه وقدرته وإحاطته.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم عليه.

* * *

﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يتصرف فيه كما أراد.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ خبر يعم الموجودات. قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب: (تَرْجِعُ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم(١).

* * *

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿يُولِجُ﴾ يُدخل ﴿ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ فيه تنبيه على

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧٩).

العبرة فيما يتجاذبه الليل والنهار من الطول والقصر، وذلك متشعب[١] مختلف حسب اختلاف الأقطار والأزمان الأربعة، وذلك بحر من بحار الفكرة لمن تأمله.

﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها من الأسرار والمعتقدات، وذلك أغمض ما يكون.

***

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾.

[٧] ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أمرٌ للمؤمنين بالثبوت على الإيمان.

﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ من أموال متقدميكم، وفيه تزهيد وتنبيه على أن الأموال إنما تصير للإنسان من غيره، ويتركها لغيره، روي أنها نزلت في غزوة العسرة، وهي غزوة تبوك، والإشارة بقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ إلى عثمان ـ رضي الله عنه ـ، وحكمها باق يندب إلى هذه الأفعال بقية الدهر.

***

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾.

[٨] وقوله[٢]: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ﴾

---

(١) «متشعب» زيادة من «ت».

(٢) «وقوله» زيادة من «ت».

توطئة لدعائهم، وإيجاب لأنهم أهل هذه الرتب الرفيعة، فإذا تقرر ذلك، فلا مانع من الإيمان، وهذا كما تريد أن تندب رجلاً إلى عطاء، فتقول له: أنت يا فلان من قوم أجواد، فينبغي أن تكرم، وهذا مطرد في جميع الأمور إذا أردت من أحد فعلاً خَلَّقته بخلق أهل ذلك الفعل، وجعلت له رتبتهم، فإذا تقرر في هؤلاء أن الرسول يدعوهم، وأنهم ممن أخذ ميثاقهم، فكيف يمتنعون من الإيمان.

﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ بالإيمان حين الإخراج من ظهر آدم على ما مضى في سورة الأعراف. قرأ أبو عمرو: (أُخِذَ) بضم الهمزة وكسر الخاء مجهولاً، (مِيثَاقُكُمْ) بالرفع فاعل، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة والخاء، ونصب (مِيثَاقَكُمْ) مفعولاً[1]، والآخذ على كلِّ قول هو الله تعالى.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إن دمتم على ما بدأتم به.

***

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ﴾ محمد ﷺ. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (يُنْزِلُ) بإسكان النون وتخفيف الزاي، والباقون: بفتح النون وتشديد الزاي[2] ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ يعني: القرآن.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧٩).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٠).

﴿لِيُخۡرِجَكُم﴾ الله بـالقـرآن[1] ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفـر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ حيث نبَّهكم بالرسل والآيات. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، وحفص عن عاصم: (لَرَؤُوفٌ) بالإشباع على وزن فَعول، والباقون: على وزن فَعُل[2]، والرأفة: أشد الرحمة.

***

﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وأنتم تموتون وتتركون أموالكم ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فيه زيادة تذكير بالله وعبرة، ثم بين فضل من سبق بالإنفاق في سبيل الله والجهاد فقال: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ﴾ نزلت بسبب أن جماعة من الصحابة أنفقوا نفقات كثيرة حتى قال ناس: هؤلاء أعظم أجراً من كل من أنفق قديماً، فنزلت الآية مبينة أن النفقة قبل الفتح أعظمُ أجراً، والمراد: فتح مكة الذي أزال الهجرة، وهذا هو المشهور الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «لا هجرةَ بعدَ الفتح، ولكن

---

(١) «الله بالقرآن» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٠).

جهادٌ ونية»[١]، وروي أنها نزلت في أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ونفقاته[٢].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المنفقون قبل الفتح ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾ أي: من بعد الفتح.

﴿وَكُلًّا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ المثوبة ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهي الجنة. قرأ ابن عامر: (وَكُلٌّ) بالرفع مبتدأ، خبره (وَعَدَ)، وكذلك هو في المصاحف الشامية وقرأ الباقون: بالنصب، وكذلك هو في مصاحفهم[٣]، وهي الوجه؛ لأن وعد ليس يعوقه عائق عن أن ينصب المفعول المتقدم[٤].

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يعلم ظاهره وباطنه فيجازيكم عليه.

* * *

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ من ذا الذي ينفق في سبيل الله رجاء أن يعوضه؟ والقرض الحسن: الإعطاء لله.

﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ فيعطيه أجره أضعافاً مضاعفة. قرأ عاصم. (فَيُضَاعِفَهُ) بإثبات الألف بعد الضاد مخففاً ونصب الفاء، وقرأ ابن عامر، ويعقوب:

---

(١) رواه البخاري (٢٦٣١)، كتاب: الجهاد، باب: فضل الجهاد والسير، ومسلم (١٣٥٣)، كتاب: الحج، باب: تحريم مكة، من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٣)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٢٤٠).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٠ـ٨١).

(٤) في «ت»: «المقدم».

بحذف الألف وتشديد العين ونصب الفاء، وقرأ ابن كثير، وأبو جعفر: بحذف الألف وتشديد العين ورفع الفاء، وقرأ الباقون: بإثبات الألف مخففاً ورفع الفاء[1]، فالقراءة بالنصب جواب الاستفهام؛ كأنه قال: أيقرض الله أحد فيضاعفه له؟ وبالرفع؛ أي: فهو يضاعفه.

﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ هو الذي يقترن به رضا وإقبال.

***

﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾.

[١٢] ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ العامل في (يَوْمَ) قوله: (وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ)، والرؤية في هذه الآية رؤية عين.

﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم﴾ وهو نور حقيقة؛ لأن كل مؤمن يُعطى يوم القيامة نوراً، فيطفأ نور كل منافق، ويبقى نور المؤمنين.

﴿بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ وخص بين الأيدي بالذكر؛ لأنه موضع حاجة الإنسان إلى النور.

﴿وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ أي: وعن أيمانهم، خص ذكر جهة اليمين تشريفاً، وناب ذلك مناب أن يقول: وفي جميع جهاتهم، وقيل: وبأيمانهم: كتبهم بالرحمة، وتقول لهم الملائكة:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨١-٨٢).

﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ أي: دخولُ جنات.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ مخاطبة لمحمد ﷺ.

* * *

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] وتبدل من ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ قرأ حمزة: (أَنْظِرُونَا) بقطع الهمزة مفتوحة وكسر الظاء؛ بمعنى: أمهلونا، وقرأ الباقون: بوصل الهمزة وضم الظاء(١)؛ أي: انتظرونا نستضيء من نوركم، وابتداؤها لهم بضم الهمزة.

﴿قِيلَ﴾ أي: فيقول لهم المؤمنون: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾ طرداً لهم وتهكماً.

﴿فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ فاطلبوا لأنفسكم نوراً؛ فإنه لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا، فيرجعون، فلا يجدون شيئاً، فينصرفون إليهم ليلقوهم.

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ أي: حائل بين الجنة والنار، وقيل: هو الأعراف ﴿لَّهُۥ﴾ أي: ولذلك السور ﴿بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ﴾ أي: داخل الباب من جهة المؤمنين

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٣).

﴿فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ الجنة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ خارجه ﴿مِن قِبَلِهِ﴾ أي: من جهة شقه الخارج نحو الكفار ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ وهو النار.

وقال عبد الله بن عمر، وكعب الأحبار، وعبادة بن الصامت، وابن عباس: هو سور بيت المقدس الشرقي، وفيه باب يسمى باب[1] الرحمة، باطنه فيه المسجد الأقصى، وظاهره من جهة المشرق واد يقال له: وادي جهنم[2].

قال ابن عطية: وهذا القول في السور بعيد[3]، والله أعلم.

* * *

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ في الدنيا؟

﴿قَالُوا۟﴾: يعني المؤمنين رداً عليهم:

﴿بَلَىٰ﴾ كنتم معنا ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ محنتموها بالنفاق.

﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ شككتم في أمر الله

---

(١) «يسمى باب» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٥).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٦٢).

﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾ الكاذبة بطول الأمل. قرأ أبو جعفر: (الأَمَانِي) بإسكان الياء، والباقون: برفعها مشدداً[1].

﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ الموتُ، ودخولُ النار. واختلاف القراء في الهمزتين من (جَاءَ أَمْرُ اللهِ) كاختلافهم فيهما من (وَيُمْسِك السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ) في سورة الحج [الآية: ٦٥].

﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ أي: غركم الشيطان بأن الله لا يعذبكم.

* * *

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٥﴾.

[١٥] ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ﴾ بدل؛ بأن تنقذوا[2] أنفسكم من العذاب. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (تُؤْخَذُ) بالتاء على التأنيث، والباقون: بالياء على التذكير[3]؛ لأن الفداء بمعنى الفدية.

﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ وهم[4] المشركون، والخطاب الأول للمنافقين.

﴿مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ أي: أولى بكم ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ النارُ.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٤).

(٢) في «ت»: «تفدوا».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٦_٣٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٤_٨٦).

(٤) «وهم» ساقطة من «ت».

﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ونزل عتاباً للمؤمنين: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ ﴾ أي: يَحِنْ؛ من أنى يأني: إذا جاء إناه؛ أي: وقتُه.

﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ تعالى إذا ذكر، وتلين وتخضع؟ قال ابن عباس: «إن الله استبطأ قلوب المؤمنين، فعاتبهم على رأس ثلاثَ عشرةَ سنةً من نزول القرآن»(١) ﴿ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ وهو القرآن. قرأ نافع، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (نَزَلَ) بتخفيف الزاي، والباقون: بالتشديد(٢).

﴿ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل القرآن، وهم اليهود والنصارى. قراءة العامة: (وَلاَ يَكُونُوا) بالغيب عطفاً على (تَخْشَعَ)، وقرأ رويس عن يعقوب: بالخطاب(٣) التفاتاً أو نهياً للمؤمنين عن مماثلة أهل الكتاب فيما حُكي عنهم.

﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ ﴾ أي: الزمانُ بطول أعمارهم ﴿ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ ﴾ بميلهم

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٦ـ٣٢٧)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٢٤٩).
(٢) المصادر السابقة.
(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٦).

إلى الدنيا، وإعراضهم عن مواعظه تعالى ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ خارجون عن الطاعة.

***

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ﴾ هذا ضرب مثل، واستدعاء إلى الخير؛ أي: لا يبعد عنكم أيها التاركون للخشوع رجوعُكم إليه؛ فإن الله يحيي الأرض بعد موتها، فكذلك يفعل بالقلوب، يردها إلى الخشوع، وترجع هي إليه بعد نفورها منه؛ كما تحيا الأرض بعد أن كانت غبراء.

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ كي يكمل عقلكم.

***

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: بتخفيف الصاد فيهما؛ من التصديق بالإسلام، وقرأ الباقون: بتشديدها منهما[١]؛ من التصدُّق، وأصلُه: المتصدقين والمتصدقات، أدغمت التاء في الصاد.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٧).

﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ هو الصدقة بطيب نفس، وصحة نية على مستحقيها[1].

﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ﴾ القرض. قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (يُضَعَّفُ) بتشديد العين وحذف الألف قبلها، وقرأ الباقون: بإثبات الألف والتخفيف[2].

﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ تقدم تفسيره في هذه السورة.

❊ ❊ ❊

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ والصدِّيق: الكثيرُ الصدق، وهم ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر، وعلي، وزيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وحمزة، وتاسعهم عمر بن الخطاب، ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته، وتم الكلام عند قوله: (هُمُ الصِّدِّيقُونَ)، ثم ابتدأ فقال:

﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ مبتدأ، ظرفه ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ خبره ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي: أجر ما عملوا من العمل الصالح ﴿وَنُورُهُمْ﴾ على الصراط، وهم الأنبياء الذين يشهدون على الأمم.

---

(١) في «ت»: «مستحقها».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٧).

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ فيه دليل على أن الخلود في النار مخصوص بالكفار؛ لأن الصحبة تدل على الملازمة.

* * *

﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ولما ذكر حال الفريقين في الآخرة، حقَّر أمر الدنيا، فقال: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: إن الحياة الدنيا، و(ما) صلة؛ أي: الحياة في هذه الدار.

﴿ لَعِبٌ ﴾ باطل ﴿ وَلَهْوٌ ﴾ فرح، ثم ينقضي ﴿ وَزِينَةٌ ﴾ منظر يتزينون به ﴿ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ ﴾ يفخر به بعضكم على بعض.

﴿ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ﴾ فازهدوا فيها، فما مثلها إلا.

﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ ﴾ أي: الزراع؛ لأنهم إذا ألقوا البذر في الأرض، كفروه؛ أي: غطَّوه ﴿ نَبَاتُهُۥ ﴾ الهاء للغيث؛ أي: أعجب الكفارَ ما نبت بالمطر.

﴿ ثُمَّ يَهِيجُ ﴾ ييبس ﴿ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ﴾ بعد خضرته.

﴿ ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ﴾ فتاتاً ويفنى.

﴿ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ للكافرين ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ﴾ للمؤمنين.

قرأ أبو بكر عن عاصم: (وَرُضْوَانٌ) بضم الراء، والباقون: بكسرها[1].

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ لمن ركن إليها، ولم يشتغل بطلب الآخرة.

* * *

﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ سَابِقُوٓاْ ﴾ سارِعوا ﴿ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: السموات ﴿ وَٱلْأَرْضِ ﴾ لو وصل بعضها ببعض، ولم يذكر الطول؛ لأن عرض كل ذي عرض أقلُّ من طوله.

﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ قوله (أُعِدَّتْ) دليل على أنها مخلوقة الآن معدة.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الموعود ﴿ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ من غير إيجاب.

﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ فلا يبعد منه التفضل بذلك، والمراد منه: التنبيه لأعظم[2] حال الجنة، وذلك لأن ذا الفضل العظيم إذا أعطى عطاء مدح به نفسه، وأثنى بسببه على نفسه، فإنه لابد أن يكون ذلك العطاء عظيماً.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٨).

(٢) في «ت»: «على عظم».

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ ﴾ أي: ما حدث من حادث.

﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ من قحط ونقص في النبات والثمار ﴿ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ كمرض وفقد ولد.

﴿ إِلَّا ﴾ مكتوبة ﴿ فِى كِتَٰبٍ ﴾ وهو اللوح المحفوظ.

﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ أي: نخلقها؛ يعني: المصيبةَ والأرضَ والأنفسَ.

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ يعني: تحصيل الأشياء كلها في كتاب.

* * *

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ معناه: فعل الله هذا كله، وأعلمكم به، ليكون سبب تسليمكم وقلة اكتراثكم بأمر الدنيا، فلا تحزنوا على فائت ﴿ وَلَا تَفْرَحُوا۟ ﴾ الفرحَ المبطِرَ ﴿ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ منها. قرأ أبو عمرو: (أَتَاكُمْ) بقصر الهمزة؛ لقوله: (فَاتَكُمْ)، فجعل الفعل له، وقرأ الباقون: بالمد[1]، أي: أعطاكم الله.

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ ﴾ متكبر بما أوتي من الدنيا ﴿ فَخُورٍ ﴾ به على الناس، فيه دليل على أن الفرح المنهي عنه إنما هو ما أدى إلى الاختيال

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٨-٨٩).

والفخر، وأما الفرح بنعم الله، المقترنُ بالشكر والتواضع، فأمر لا يستطيع أحد دفعه عن نفسه، ولا حرج فيه.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ ﴾ بأموالهم وأفعالهم الحسنة من إيمانهم وغير ذلك، قيل: هو في محل الخفض على نعت المختال، وقيل: هو رفع بالابتداء، وخبره فيما بعده ﴿ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ ﴾ وهذا غاية الذم أن يبخل الإنسان، ويأمر غيره بالبخل. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (بِالْبَخَلِ) بفتح الباء والخاء، والباقون: بضم الباء وإسكان الخاء[١].

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ﴾ عما يجب عليه ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ﴾ عن خلقه ﴿ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ المحمود في ذاته. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (فَإِنَّ اللهَ الْغَنِيُّ) بغير (هو)، وكذا هو في مصاحف المدينة والشام، وقرأ الباقون بزيادة (هو)، وكذلك هو في مصاحفهم[٢].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٩).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٩ـ٩٠).

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا﴾ الملائكةَ إلى الأنبياء. قرأ أبو عمرو: (رُسْلَنَا) (بِرُسْلِنَا) بإسكان السين فيهما، والباقون: بضمها[١] ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج القواطع.

﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الوحي ﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾ العدل.

﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ ليتعاملوا بينهم بالعدل.

﴿وَأَنزَلۡنَا﴾ أخرجنا ﴿ٱلۡحَدِيدَ﴾ من المعادن؛ لأن العدل إنما يكون بالسياسة، والسياسة مفتقرة إلى العدة، والعدة مفتقرة إلى الحديد.

﴿فِيهِ بَأۡسٞ﴾ قتال ﴿شَدِيدٞ﴾ لأنه يقاتل به ويمتنع ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ فيما يحتاجون إليه.

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ﴾ أي: يعلمه موجوداً، فالتغيير ليس في علم الله، بل في هذا الحادث الذي خرج من العدم إلى الوجود ﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾ أي: دينه بآلات الحرب في مجاهدة الكفار ﴿وَرُسُلَهُۥ﴾ أي: وينصر رسله ﴿بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ أي: بما سمع من الأوصاف الغائبة عنه، فآمن بها؛ لقيام الأدلة عليها، قال ابن عباس: «يَنصرونه ولا يُبصرونه»[٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ في أمره ﴿عَزِيزٞ﴾ في ملكه.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٩٠).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٤٧٨).

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ ذكر رسالتهما؛ تشريفاً لهما بالذكر، ولأنهما من أول الرسل، ثم ذكر نعمه على ذريتهما، فقال ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ ﴾ يعني: الكتب الأربعة؛ فإنها جميعاً في ذرية إبراهيم عليه السلام. قرأ هشام (أَبْرَاهَام) بالألف، والباقون: بالياء، وقرأ نافع (النُّبُوءَةَ) بالمد والهمز، والباقون: بتشديد الواو بغير همز.

﴿ فَمِنْهُم ﴾ فمن الذرية ﴿ مُّهْتَدٍ ﴾ روي عن قنبل، ويعقوب: الوقف بالياء على (مُهْتَدِي) ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ خارجون عن الطاعة.

* * *

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا ﴾ أتبعنا وأَرْدفنا؛ مأخوذ من القفا؛ أي: جاء بالثاني في قفا الأول ﴿ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ وكان آخر نبي من بني إسرائيل، وأول أنبيائهم موسى عليه السلام.

﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً ﴾ وهي أشد الرحمة، وكانوا متوادِّين بعضهم لبعض؛ كما قال تعالى في وصف أصحاب النبي ﷺ: ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [الفتح: ٢٩]. قرأ قنبل بخلاف عنه: (رَآفَةً) بالمد

مثل: رَعافة ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾ والرحمة في القلب لا تَكَسُّبَ للإنسان فيها.

﴿وَرَهۡبَانِيَّةً﴾ هو ترهبهم في الجبال والصوامع، ورفض النساء، والرهبان: الخائف؛ مأخوذ من الرهب، وهو الخوف، (ورَهْبَانِيَّةً) عطف على (وَرَحْمَةً).

﴿ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ نعت؛ أي: جعلنا عليهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة، والمعتزلة تعرب (ورَهْبَانِيَّةً) أنها نصب بإضمار فعل يفسره (ابْتَدَعُوها)، وليست بمعطوفة على الرأفة والرحمة، ويذهبون في ذلك إلى أن الإنسان يخلق أفعاله، فيعربون الآية على مذهبهم، ابتدعوها من قبل أنفسهم، روي أنهم افترقوا ثلاث فرق: ففرقةٌ قاتلت الملوك على الدين فقتلت وقتلت، وفرقةٌ قعدت في المدن يدعون إلى الدين ويبينونه ولم تقاتل، فأخذَتْها الملوك فنشرتها بالمناشير، وقتلوا، وفرقةٌ خرجت إلى الفيافي، وبنت الصوامع والديارات، وطلبت أن تسلم على أن تعتزل، فتركت، ولذلك تسمت بالرهبان، فهذا هو ابتداعهم.

﴿مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: لم نفرض الرهبانية عليهم ﴿إِلَّا﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكنهم ابتدعوها.

﴿ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ وهو امتثال أمره تعالى، واجتناب نهيه. وتقدم مذهب أبي بكر في ضم الراء من (رُضْوَانِ).

﴿فَمَا رَعَوۡهَا﴾ ما حفظ الرهبانية هؤلاء المعتدون ﴿حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾ لأنهم قصروا فيما ألزموا أنفسهم من الرهبانية، ورجعوا عنها، ودخلوا في دين ملوكهم، ولم يبق على دين النصرانية إلا اليسير، فآمنوا بمحمد ﷺ

قال ﷺ: «مَنْ آمنَ بي وصدَّقني، فقد رعاها حقَّ رعايتها، ومن لم يؤمنْ بي، فأولئك هم الهالكون»(١).

﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بمحمد ﷺ ﴿مِنۡهُمۡ﴾ أي: من العيسيين.

﴿أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ من العيسيين التاركي الرهبانية الكافرون بمحمد وعيسى عليهما السلام ﴿فَٰسِقُونَ﴾ خارجون عن حال(٢) الاتباع

وفي هذا التأويل لزوم الإتمام لكل من بدأ بتطوع ونفل، وأنه يلزمه أن يرعاه حق رعايته، واختلف الأئمة فيما إذا أنشأ صوماً أو صلاة تطوعاً، فقال أبو حنيفة: لم يجز له الخروج منه، فإن أفسده، فعليه القضاء؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٣]، وقال مالك كذلك، إلا أنه اعتبر العذر، فقال: إن خرج منه لعذر، فلا قضاء، وإلا، وجب، وقال الشافعي وأحمد: متى أنشأ واحداً منهما، استحب إتمامه، فإن خرج منه، لم يجب عليه قضاء على الإطلاق، وأما إذا كان التطوع حجاً أو عمرة، فيلزم إتمامه، فإن أفسده، وجب قضاؤه بالاتفاق؛ لوجوب المعنى في فاسده.

***

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾.

[٢٨] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بموسى وعيسى ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥٣١)، وفي «المعجم الصغير» (٦٢٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٧٧)، من حديث أبي مسعود رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٦٣): فيه عقيل بن الجعد، قال البخاري: منكر الحديث.

(٢) «حال» زيادة من «ت».

محمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ حظين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ بالإيمان بالكتابين.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ على الصراط ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

* * *

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ أي: ليعلم(١) ﴿أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ و(لا) صلة. قرأ ورش عن نافع، وأبو جعفر بخلاف عنه: (لِيَلاَّ) بإبدال الهمزة ياء مفتوحة، والباقون: بالهمز، والمراد: أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا.

﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: لا ينالون شيئاً ﴿مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾.

روي أنه لما نزل هذا الوعد للمؤمنين، حسدهم أهل الكتاب على ذلك، وكانت اليهود تعظم دينها وأنفسها، وتزعم أنها أحباء الله، وأهل رضوانه، فنزلت هذه الآية معلمة أن الله فعل ذلك، وأعلم به؛ ليعلم أهل الكتاب أنهم ليسوا كما يزعمون(٢).

﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ في تصرفه وملكه ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ لا اعتراض عليه؛ فإنه قادر مختار، يفعل بحسب الاختيار.

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾، والعظيم(٣) لا بد أن يكون إحسانه

---

(١) «أي: ليعلم» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٣٧)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٢٦٨).

(٣) «والعظيم» زيادة من «ت».

عظيماً، والمراد منه: تعظيم حال محمد ﷺ في نبوته وشرعه وكتابه.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «واسم الله الأعظم في أولِ سورة الحديد في ست آيات من أولها، فإذا علقت على المقاتل في الصف، لم ينفذ إليه حديد»[1]، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/٢٥٦). قال ابن عاشور في «التحرير والتنوير»: اشتمل هذا المقدار من أول السورة على معاني ست عشرة صفة من أسماء الله الحسنى، وهي: الله، العزيز، الحكيم، الملل، المحيي، المميت، القادر، الأول، الآخر، الظاهر الباطن، العليم، الخالق، البصير، الواحد، المدبِّر. وقول ابن عباس يعني مجموع هذه الأسماء.

سُورَةُ المجَادلة

مدنية، وحكى النقاش أن قوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ ﴾ الآية، مكي[١]، آيها: اثنتان وعشرون آية[٢]، وحروفها: ألف وسبع مئة واثنان وتسعون حرفاً، وكلمها: أربع مئة وثلاث وسبعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ﴾.

[١] ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ ﴾ أي: علم[٣] ﴿ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ ﴾ تحاورك.

﴿ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وقالون عن نافع، وعاصم، ويعقوب: (قَدْ سَمِعَ) بإظهار الدال عند السين، والباقون: بالإدغام.

نزلت في خولة بنت ثعلبة لما ظاهرَ منها زوجها أوسُ بن الصامت، وكانا من الأنصار، فأرادها، فأبت عليه، فقال: أنت علي كظهر أمي، فكان

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٢٧٢).

(٢) في «ت»: «عشرون وآيتان».

(٣) «أي: علم» زيادة من «ت».

أولَ ظهار في الإسلام، ثم ندم، وكان الظهار في الجاهلية يُحَرِّم، فأخبرت رسولَ الله ﷺ بذلك، فقال لها: «قَدْ حرمْتِ عليه»، فقالت: واللهِ ما ذكر طلاقاً، وراجعَتْه في الكلام، وشكت إلى الله الفاقة وشدة الحال(١)، فهذه مجادلتها.

﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ أي: مراجعتكما القول ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ لما تناجيه ﴿بَصِيرٌ﴾ لمن يشكو إليه.

***

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾.

[٢] ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ قرأ عاصم: (يُظَاهِرُونَ) بضم الياء وتخفيف الظاء والهاء وكسرها وألف بينهما في الموضعين؛ من ظاهرَ يُظاهر، وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف: بفتح الياء وتشديد الظاء وألف بعدها، وتخفيف الهاء وفتحها، أصله: يَتَظاهرون، أدغمت التاء في الظاء، وقرأ الباقون: بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء بلا ألف قبلها، أصله: يتظَهَّرون، أدغمت التاء في الظاء(٢)،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٣٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٢٧٣)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٢٧٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٨-٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٣٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٩٧-٩٨).

والمعنى على القراءات كلها؛ أي: يحرِّمون أزواجَهم بالظهار، والظهار: أن يشبه امرأته أو عضواً منها بظهر من تحرم عليه على التأبيد، أو إلى أمد، أو بها، أو بعضو منها، فإذا قال لزوجته: أنت علي كظهر أمي، أو كَيَدِ أختي، ونحو ذلك، أو حرام، فيحرم عليه وطؤها حتى يكفِّر بالاتفاق.

﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ﴾ أي: ليس قول الرجل لزوجته: أنتِ عليَّ كظهر أمي، أو كشيء من أعضائها، ويجعلها كأمه في الحرمة بصحيح.

﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ حقيقةً ﴿إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ﴾ والمرضعات، وزوجات النبي ﷺ ملحقات بالوالدات في الحرمة، وأما المظاهَرات، فأبعد شبهاً بالوالدات. واختلاف القراء في الهمز من (ٱلَّٰٓـِٔي) كاختلافهم فيه في حرف سورة الأحزاب [الآية: ٤].

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: المظاهرون ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ هو جعلُ الزوجةِ أماً تنكره الحقيقة ﴿وَزُورًا﴾ باطلاً.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ عما سلف من الظهار ﴿غَفُورٌ﴾ لمن تاب.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ تقدم اختلاف القراء في (يُظَاهِرُونَ).

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ أي: يريدون العود إلى التَّماسِّ، وهو كناية عن الجماع، فعند الإمام أحمد: العود: هو الوطء، وعند أبي حنيفة ومالك: هو العزم على الوطء، وعند الشافعي: هو أن يمسكها عقب الظهار زماناً

يمكنه أن يفارقها، ولم يفعل، فإن طلقها عقب الظهار في الحال، أو مات أحدهما في الوقت، فلا كفارة عليه.

﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ والكفارة على الترتيب يجب عليه عتق رقبة سليمة من العيوب الفاحشة بالاتفاق، مؤمنة عند الأئمة الثلاثة، وقال أبو حنيفة: لا يشترط الإيمان.

﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾ يتجامع المظاهِر والمظاهَر منها، فإن أقدم على الجماع قبل التكفير، استغفر الله تعالى، وليس عليه سوى الكفارة الأولى بالاتفاق.

﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ التغليظ بالكفارة ﴿ تُوعَظُونَ بِهِۦ ﴾ لتنزجروا عن الظهار.

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ لا يخفى عليه شيء.

* * *

﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ ﴾ الرقبة ﴿ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ ليس فيهما رمضان، ولا يوما العيدين وأيام التشريق عند الثلاثة، وعند أحمد: إن تخلل صومها صوم رمضان، أو فطر واجب كيوم العيد، لم ينقطع التتابع.

﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾ فلو أصاب المظاهر منها ليلاً أو نهاراً عمداً أو سهواً، انقطع التتابع عند الثلاثة، وقال الشافعي وأبو يوسف: إن جامع ليلاً عامداً، أو نهاراً، ناسياً، لم يستأنف، وله وطء غيرها من نسائه بالاتفاق.

﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ الصومَ لعذر ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ .

والمخرج في الكفارة ما يجزىء في الفطرة، فقال أبو حنيفة: لكل مسكين نصف صاع من بر، أو صاع من تمر أو شعير، والصاع عنده ثمانية أرطال بالعراقي، وعند أبي يوسف: خمسة أرطال وثلث، وقال مالك: لكل مسكين مد من عيش أهل البلد، فإن كان الشعير والتمر، أعطي لكل مسكين منه عدل الحنطة بمد هشام، وقدره مد وثلثان بمد النبي ﷺ، وهشام هذا الذي أضيف إليه المد هو هشام بن إسماعيل المخزومي، كان أميراً على المدينة من قبل هشام بن عبد الملك، وقال الشافعي: لكل مسكين مد مما يكون فطرة، وهو البر، والأرز، والشعير، والتمر، والزبيب، والأقط، وقدر المد رطل وثلث بالبغدادي، وهو مد رسول الله ﷺ، وقال أحمد: المخرج في الكفارة ما يخرج في الفطرة، وهو البر، والشعير، ودقيقهما، أو سويقهما، وهو برأو شعير يحمص، ثم يطحن، والتمر، والزبيب، والأقط، وهو شيء يعمل من اللبن المخيض، ولا يجزىء من البر أقل من مد، وهو رطل وثلث بالبغدادي، ولا من غيره أقل من مدين لكل مسكين، وتقدم ذكر الصاع والمد والكلام عليها مستوفىً بأتم من هذا في سورة المائدة عند ذكر كفارة اليمين، وفي سورة التوبة عند ذكر زكاة الفطر.

فإن دفع الكفارة إلى مسكين واحد في ستين يوماً، جاز عند أبي حنيفة، ولم يجز عند الشافعي ومالك، وقال أحمد: إن لم يجد غيره، أجزأه، وإلا فلا، ولو غداهم وعشاهم، جاز عند أبي حنيفة بشرط شبعهم[1] في الأكلتين، وعند الثلاثة: لا يجوز.

---

(١) «بشرط شبعهم» زيادة من «ت».

ويجوز دفع الكفارة لكافر، وإخراج القيمة عند أبي حنيفة؛ خلافاً للثلاثة.

ومن كفر بالإطعام، جاز له الوطء في خلاله عند أبي حنيفة والشافعي؛ خلافاً لمالك وأحمد، ونقل بعض المفسرين عن مالك أن من كفر بالإطعام، جاز له الوطء قبله؛ لأن الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس، ولم يقل في الطعام: قبل أن يتماسا، ومنقول مذهب مالك خلاف ذلك، فقد جزم علماء مذهبه في كتبهم أنه لا يجوز الوطء في خلال الإطعام كالصيام، فإن وطئ، بطل ما مضى من إطعامه، ولزمه ابتداؤها، وصرح ابن عطية المالكي في «تفسيره» عن مالك أنه قال: إطعام المساكين أيضاً هو قبل التماس حملاً على العتق والصوم(١).

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الرخصة والتسهيل في النقل من التحرير إلى الصوم والإطعام ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لتصدقوا ما أتى به الرسول من الله عز وجل، ثم شدد بقوله:

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ فالتزموها، وقفوا عندها.

﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: الذين لا يقبلونها.

واختلفوا فيمن ظاهر من أمته، فقال مالك: يصح، وقال الثلاثة: لا يصح، وعليه عند أحمد كفارة يمين.

واتفقوا على صحة الظهار من العبد، ويكفر بالصيام، وقال مالك: إن عجز عنه، فبالإطعام إن أذن له سيده، فإن منعه، انتظر القدرة على الصيام.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٧٥).

ويصح من الأجنبية عند مالك وأحمد، وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يصح منها، ويصح من الذمي عند الشافعي وأحمد، ويكفر بالمال، وعند أبي حنيفة ومالك لا يصح منه.

ومن كرر الظهار قبل التكفير، فكفارة واحدة عند مالك وأحمد، وعند أبي حنيفة بكل ظهار كفارة، ومذهب الشافعي إن كرره في امرأة متصلاً، وقصد تأكيداً، فظهار واحد، أو استئنافاً، فالأظهر التعدد، وإنه بالمرة الثانية عائد في الأولى، والله أعلم.

***

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥﴾.

[٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: يحاربونهما، ويخالفون أمرهما.

﴿كُبِتُوا۟﴾ أُهلكوا ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من كفار الأمم الماضية.

﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾ تدل على صدق ما جاء به الرسول.

﴿وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ نزلت هذه الآيات في المنافقين، وقومٍ من اليهود كانوا في المدينة يتمنون المكروه في رسول الله ﷺ والمؤمنين، ويتربصون بهم الدوائر، ويدبرون عليهم، ويتناجون بذلك، فنزلت هذه الآيات إلى آخر أمر النجوى فيهم[١].

***

---

(١) انظر: «تفسير الثعالبي» (٤/ ٢٧٦).

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ .

[٦] ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾ العامل فيه قوله: (مُهِينٌ).

﴿ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ﴾ توبيخاً لهم.

﴿ أَحْصَىٰهُ ﴾ حفظه ﴿ ٱللَّهُ ﴾ عليهم ﴿ وَنَسُوهُ ﴾ لتهاونهم به.

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ شهيد، لا يغيب عنه شيء.

* * *

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ .

[٧] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ كلياً وجزئياً.

﴿ مَا يَكُونُ ﴾ قرأ أبو جعفر: (تَكُونُ) بالتاء على التأنيث؛ لتأنيث النجوى، وقرأ الباقون: بالياء على التذكير[١]؛ لأن تأنيث نجوى غير حقيقي، وللفصل بـ(من)، المعنى: ما يقع.

﴿ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ ﴾ وجر (ثَلاثَةٍ) بإضافة النجوى إليها، وهي التناجي سراً.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٩٩).

﴿ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ بالعلم ﴿ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ وخصوا بهذا العدد؛ لأنها نزلت في المنافقين، وكانوا يتحلقون للمناجاة ثلاثة خمسة غيظاً للمؤمنين.

﴿ وَلَآ أَدْنَىٰ ﴾أقل ﴿ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ ﴾ قرأ يعقوب: (أَكْثَرُ) بالرفع عطفاً على موضع (مِنْ نَجْوَى)؛ لأن التقدير: ما يكون نجوى، وقرأ الباقون: بالنصب عطفاً على العدد المخفوض ﴿ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾ عالماً بهم.

﴿ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ لأن علمه تعالى لا يتفاوت باختلاف الأمكنة.

﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ تفضيحاً لهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

* * *

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] كان بين النبي ﷺ واليهود موادعة، فكانوا هم والمنافقون إذا رأوا بعض المسلمين تناجوا، فيظن المسلم أنهم يريدون قتله، فيترك الطريق خوفاً منهم، فنهاهم ﷺ عن التناجي، فلم ينتهوا فنزل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾(١) أي: يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها.

﴿ وَيَتَنَٰجَوْنَ ﴾ قرأ حمزة، ورويس عن يعقوب: (وَيَنْتَجُونَ) بنون ساكنة بعد الياء وبعدها تاء مفتوحة وضم الجيم على وزن ينتهون مستقبل انتجوا، وقرأ الباقون: بتاء ونون مفتوحتين وبعدها ألف وفتح

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٤٥ـ٣٤٦).

الجيم مستقبل تَناجوا[1]، ومعناهما: الحديث سراً.

﴿ بِٱلْإِثْمِ ﴾ أي: بما هو إثم ﴿ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ للمؤمنين ﴿ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ لأنه ﷺ نهاهم فلم ينتهوا. وقف ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: (وَمَعْصِيَهْ) بالهاء.

﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ ﴾ أي: اليهود ﴿ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ وهو قولهم: السام عليك يا محمد، والسام: الموت، وتقدم حكم سلام الذمي، والرد عليه، ومذاهب الأئمة في ذلك في سورة النساء.

﴿ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ إذا خرجوا: ﴿ لَوْلَا ﴾ هلاَّ ﴿ يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ كانوا يقولون: لو كان نبياً، لدعا علينا حتى يعذبنا الله بما نقول له.

﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ عذاباً ﴿ يَصْلَوْنَهَا ﴾ يدخلونها ﴿ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ جهنمُ.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٩ ﴾.

[٩] ثم نهى الله المؤمنين أن يفعلوا كفعل المنافقين واليهود، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ ﴾ قرأ رويس: (تَنْتَجُوا) على وزن تنتهوا[2].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٤٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٠١ـ١٠٢).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٠٣).

﴿ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ كفعل المنافقين واليهود.

﴿ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ ﴾ وهو ما يتضمن خيراً للمؤمنين ﴿ وَٱلتَّقۡوَىٰٓ ﴾ أي: اتقاء معصية الرسول.

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ تذكير بالحشر الذي معه الحساب.

* * *

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٠ ﴾.

[١٠] ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ ﴾ المحرمة ﴿ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ بتزيينه ﴿ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بتوهمهم. قرأ نافع: (لِيُحْزِنَ) بضم الياء وكسر الزاي، وقرأ الباقون: بفتح الياء وضم الزاي[١].

﴿ وَلَيۡسَ ﴾ التناجي ﴿ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ بمشيئة الله.

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾.

قال ﷺ: «إذا كنتم ثلاثةً، فلا يتناجى اثنان دونَ الثالث إلا بإذنه؛ فإن ذلك يحزنُه»[٢].

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٠٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٤٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بهذا اللفظ. ورواه البخاري (٥٩٣٢)، كتاب: الاستئذان، باب: إذا كانوا أكثر من ثلاث فلا بأس بالمسارَّة والمناجاة، ومسلم (٢١٨٤)، كتاب: السلام، باب: تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ نحوه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ ﴾ مجلس النبي ﷺ. قرأ عاصم: (الْمَجَالِسِ) بألف على الجمع؛ لأن لكل جالس مجلساً، معناه: ليفسح كل رجل في مجلسه، وقرأ الباقون: بغير ألف على التوحيد إرادة الجنس(١).

﴿ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾ في الجنة.

﴿ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ ﴾ ارتفعوا وانهضوا حتى توسّعوا لإخوانكم ﴿ فَٱنشُزُواْ ﴾ قرأ الكسائي، وهشام، ورويس: (قِيلَ) بإشمام الضم حيث وقع، والباقون: بإخلاص الكسر(٢)، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وعاصم، (انْشُزُوا) (فَانْشُزُوا) بضم الشين في الحرفين؛ بخلاف عن أبي بكر راوي عاصم، وقرأ الباقون: بالكسر فيهما(٣).

﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ ﴾ بإيمانهم وطاعتهم النبيَّ ﷺ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٠٤).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٠٣).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٤٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٠٤).

﴿ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ أيضاً على غيرهم من المؤمنين ﴿ دَرَجَٰتٍ ﴾ هنا وثَمَّ بما جمعوا من العلم والعمل[1].

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ تهديد لمن لم يمتثل الأمر.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ولما أكثر الناس على النبي ﷺ السؤال حتى أسأموه، نزل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ ﴾ أي: قبل ﴿ نَجْوَىٰكُمْ ﴾ إذا أردتم مناجاته ﴿ صَدَقَةً ﴾ على مستحقيها.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التقديمُ ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ لطاعتكم ﴿ وَأَطْهَرُ ﴾ لذنوبكم فلما نزلت هذه الآية، ارتدع الأغنياء عن السؤال شُحّاً، والفقراء عدماً، فنزل رخصة:

﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ ﴾ ما تتصدقون به ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لمناجاتكم النبي ﷺ بلا صدقة ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ حيث أباح لكم السؤال، وكان ذلك المنع عشرَ ليال.

* * *

﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ ﴾ أخفتم الفاقةَ ﴿ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ﴾ واختلاف القراء في الهمزتين من (أَأَشْفَقْتُمْ) كاختلافهم فيهما من ﴿ ءَأَنتَ

(١) «والعمل» زيادة من «ت».

﴿فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا﴾ في سورة الأنبياء [الآية: ٦٢] .

﴿فَإِذۡ لَمۡ﴾ أي: فإن لم ﴿تَفۡعَلُواْ﴾ ما أُمرتم به .

﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ تجاوز عنكم، ولم يعاقبكم بترك الصدقة، وفيه إشعار بأن إشفاقهم ذنبٌ تجاوزَ الله عنه .

﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الواجبةَ .

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضةَ، ولا تفرطوا فيهما ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في جميع الحالات، فهو كفارة ذلك ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ ظاهراً وباطناً .

* * *

﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ .

[١٤] ونزل في قوم من المنافقين تولَّوا قوماً من اليهود، وهم المغضوب عليهم: ﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم﴾(١) أي: المنافقون ﴿مِّنكُمۡ﴾ أيها المسلمون .

﴿وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ من اليهود، كما قال تعالى: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ [النساء: ١٤٣] .

﴿وَيَحۡلِفُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿عَلَى ٱلۡكَذِبِ﴾ وهو قولهم: والله إنا مسلمون .

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٤٩ـ٣٥٠)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٣٠٧) .

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون في حلفهم.

* * *

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا﴾ نوعاً من العذاب ﴿شَدِيدًا﴾ في غاية الشدة.

﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي.

* * *

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ﴾ الكاذبة ﴿جُنَّةً﴾ ترساً يقيهم السيف ﴿فَصَدُّوا۟﴾ المسلمين بحلفهم ﴿عَن﴾ قتلهم ونهبهم؛ فإنه جهاد في ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم.

* * *

﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ مقيمون؛ لأن الصحبة تدل على الملازمة.

* * *

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ العامل فيه (أَصْحَابُ) ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ أي: لله تعالى ثَمَّ إنهم مسلمون.

﴿ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ هنا ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ على فعل نافع من أيمانهم الكاذبة كما انتفعوا بها في الدنيا. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم، وحمزة: (وَيَحْسَبُونَ) بفتح السين، والباقون: بكسرها[1].

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ البالغون الغاية في الكذب؛ حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة، ويحلفون عليه.

***

﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ ٱسْتَحْوَذَ﴾ غلبَ واستولى ﴿ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بطاعتهم إياه.

﴿ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ﴾ معناه: تملَّكهم من كل جهة، وغلب على نفوسهم، وهذا الفعل مما استُعمل على الأصل؛ فإن قياس التعليل يقتضي أن يقال: استحاذ، وحكي أن عمر ـ رضي الله عنه ـ قرأ: (اسْتَحَاذَ)[2].

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ﴾ جنودُه.

﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لتفويتهم على نفسهم النعيمَ، وعرضها للعذاب.

***

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٠٦).

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٢٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٠٦).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ۝٢٠﴾.

[٢٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ معناه: يكونون في حد غير الحد الذي شرع الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾ المغلوبين.

* * *

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ۝٢١﴾.

[٢١] ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ أي: قضى ﴿لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ بالحجة كُلَّ مَنْ حادَّ الله ورسوله. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (وَرُسُلِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ على نصر رسله ﴿عَزِيزٞ﴾ غالب في مراده.

* * *

﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٢٢﴾.

[٢٢] ونزل في قتل أبي عبيدة بن الجراح أباه عبدَ الله بنَ الجراح يومَ أحد، وأبي بكر حيث أراد مبارزة ابنه يومَ بدر، ومصعبِ بنِ عمير وقتلِه

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٠٦).

أخاه عبيدَ بنَ عمير بأُحد، وعمرَ وقتلِه خالَه العاصَ بنَ هشام ببدر، وعلي وحمزة وقتلِهما الوليدَ بنَ عتبة وشيبةَ وعتبةَ ابني ربيعة ببدر:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[1] عاداهما وخالفهما. تلخيصه: من صح إيمانه، لم يواد المشركين، بل يقتلهم، ويقصدهم بالسوء ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾ كأبي عبيدة بن الجراح ﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ كأبي بكر ﴿أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ﴾ كمصعب بن عمير.

﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ كعمر وعلي وحمزة.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المذكورون.

﴿كَتَبَ﴾ ثبّت ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم﴾ قواهم.

﴿بِرُوحٍ﴾ أي: بنصر ﴿مِّنْهُ﴾ هو جبريل عليه السلام.

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعتهم.

﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بقضائه.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ أنصارُ دينه، والحزب: الفريق الذي يجمعهم مذهب واحد.

﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون ببغيتهم، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣١٢).

مُحتوى المجلد السادس

* * *